في رياض التفسير
للقرآن الكريم

الجزء السادس

تفسير مولانا الشيخ إبراهيم انياس الكولخي رضي الله عنه
مدينة كولخ عام 1383هـ

كتبه وخرج أحاديثه
محمد بن الشيخ عبد الله التجاني لطف الله به آمين
بمساعدة الولدين الأستاذين
أحمد بن الشيخ عبد الله
الشيخ باي بن أحمد

ملتزم الطبع والنشر
الإمام الشيخ التجاني علي سيس

الطبعة الثانية

1432 هـ = 2011 م

قام بها الإمام الشيخ التجانى سيس بإذن من الناشر

رقم الإيداع : 2011/7091

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة 139 - شارع 39 - مدينة 6 أكتوبر

☎ : ٣٨٣٣٨٢٤٠ - ٣٨٣٣٨٢٤٢ - ٣٨٣٣٨٢٤٤

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

الدرس الثامن والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين قوم لوط. سأل إبراهيم عن شأن المرسلين بعدما أخبروه خبرهم "لا تخف وبشروه بغلام عليم" تقدم أنهم أخبروه أنهم رسل إلى قوم لوط، وهذا السؤال الثاني ما خطبكم؟ أي ما يحملكم على التعجل عادة الكرام إذا كان عندهم ضيف وأرادوا أن ينصرفوا سريعا يقولون لهم ما هذه العجلة ما خطبكم تتعجلون؟ لم تتعجلون؟ «قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين» ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ وهذا كله وقع عند الله تبارك وتعالى ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أخبر الملائكة أنهم سيرسلون مطرا من حجارة من طين ليس حجارة من برد كما يقع "فيها من جبال من برد" تقدم[1]، هذه حجارة من طين من جنس الطين طبخ في النار، وكل حجر عليه اسم من يرمى به ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ القرى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين. لما أراد الله

[1] – في الدرس 35.

هلاك الكفار أخرج المؤمنين من القرى وبقي الكفار فأمطر عليهم ذلك المطر ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ولكن المؤمنين قليلون ليس إلا لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان تقدم بالأمس "قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم" الإسلام شيء والإيمان شيء آخر، أخبر أنه ما وجد غير بيت لوط من المسلمين والمؤمنين معا، وهم لوط وابنتاه ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ آثار هلاكهم موجودة إلى يومنا هذا. وأهل مكة يسافرون إلى الشام ويمرون بتلك الآثار فكيف لا يخافون؟ حتى لا يفعلوا مثل ما فعل أولئك فيهلكوا كما هلكوا. ﴿وَفِي مُوسَى﴾ وفي قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ملتبسا بحجة واضحة وقوة ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض فرعون عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مع جنوده لأنهم كانوا له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ كفروا بموسى واتهموه بالسحر أو الجنون على عادة الكفار مع الأنبياء ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ طرحناهم في بحر القلزم فغرقوا كلا ﴿وَهُوَ﴾ فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية، قالوا إن موسى مجنون، وقالوا إن نوحا مجنون، وحتى محمد قالوا إنه مجنون، كل الكفار يتهمون أهل الله بالجنون لأنهم يخالفون عوائدهم. ما تدركه عقولهم من الأشياء يتوجه الأنبياء إلى غيره. والجنون والجذب متشابهان، خطف نوراني وخطف ظلماني، إذا خطف العقلَ نور إلهي فهذا جذب، وإذا خطف العقل شيء ظلماني فهذا جنون. ولكن إذا سلب الإنسان عقله فالكافر يراه مجنونا فقط، والأنبياء كلهم وقع لهم هذا الخطف النوراني في بداية أمرهم ثم يكملون في أسرع وقت ليرجعوا إلى الخلق يأخذوا بأيديهم ويهدوهم، كما يتهم أولياء الله بالجنون إلى يومنا هذا، كل من وقع له هذا

الخطف النوراني، أهل العقول لا يرونه إلا مجنونا، ﴿وَفِي عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ مرت عليه ﴿إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ صيرته كالبالي المفتت ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم، كما في آية "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام" ﴿فَعَتَوْاْ﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي ثلاثة أيام ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ بالنهار ﴿فَمَا اسْتَطَاعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ على من أهلكهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ كذلك فأهلكوا. ذكر قصة إبراهيم وذكر اسم إبراهيم نبي الله وذكر موسى، وذكر عادا وثمود وما ذكر أنبياءهم لأن المقصود من القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بشيئين: نجاة الأنبياء ومن آمن بهم، وهلاك الكفار، ففي ذكر إبراهيم وموسى وإنجائهما وهلاك أعدائهما، وذكر عاد وهلاكها وذكر ثمود وهلاكها تسليةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم. في مجموع القصة تحقق صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء منصورون وكلهم ناجون هم ومن اتبعهم والكفار هالكون لا محالة، فكما وقع في هؤلاء فسيقع في النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذبه ومن آمن به، فهو ومن اتبعه سينجيهم الله من شر الكفار، والكفار سيهلكون لا محالة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ إن الله تبارك وتعالى بنى هذه السماء بأيد أي بقوة؛ أيد جمع يد ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قادرون. "بأيد"، ذكر تبارك وتعالى لنفسه يدا ويدين وأيد كثيرة "بل يداه مبسوطتان" واليد كما نعرف هذه الجارحة مستحيلة على الله تبارك وتعالى أن تكون عنده يد كيدي، ولكن له يدا كما وصف نفسه، وله يدان كلتاهما يمين، وله

أيد كثيرة كما ذكر هنا. فالعلماء على قسمين: أهل التفويض وأهل التأويل، أهل التفويض يؤمنون بقول الله على مراده، نؤمن أن لله يدا ويدين وأيد ليست كما نعرف بل كما أراد الله. وأهل التأويل يؤولون اليد بالقوة، فإذا كانت اليد القوة وهي صفة لله تبارك وتعالى، ما نفعل باليدين والقوة واحدة؟ وما نفعل بالأيدي؟ الصحيح أن لله يدا ويديْنِ وأيد كثيرة وليست كأيدينا. والعرب تقول اليد للجارحة، وتقول اليد للنعمة واليد التي للنعمة تجمع على أياد واليد التي للجارحة تجمع بأيد وهنا أتى بأيد، فهي أيد كثيرة وليست كأيدينا هذه.

"وإنا لموسعون" قادرون ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن، بنى السماء وفرش الأرض وأوسع السماء ومهد الأرض هذا التمهيد الحكيم، فنعم خالق هذا. كلها بالجمع. أهل الإنجيل ضلوا بقول الله تبارك وتعالى "نحن" و "إنا" قالوا إن هنالك ثلاثة، ونحن نعلم أنه واحد، والمفرد يعظم نفسه فيجمع، حالة الملوك يقولون نحن فلان. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ خلق السماوات سبعا وخلق الأرضين سبعا، وهذا أدل دليل على قدرته تبارك وتعالى يخلق الأشياء ويخلق أضدادها، خلق الليل والنهار والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والأرض والسواد والبياض والصحة والمرض والإيمان والكفر، والذكر والأنثى من كل حيوان، كل ما فعل فعل ضده. القادر على هذا متصف بالوحدانية وقادر على الإحياء بعد الموت ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه وحده ﴿فَفِرُّواْ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه. من أراد السلامة فلا ملجأ من الله إلا إليه، فروا إلى الله بطاعته وترك معصيته ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وصف المصطفى نفسه صلى الله عليه وسلم أنه نذير بين الإنذار آت من عند الله تبارك وتعالى ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وقل لهم

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ عادة المكذبين للأنبياء يرموهم بالجنون دائما ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِ﴾ هل الأمم تواصوا بهذه الكلمة أن كل نبي يقال إنه مجنون، بل وكل ولي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ اجتمعوا على الطغيان فاجتمعوا على هذا القول، جمعهم الطغيان على هذا القول ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ الرسول صلى الله عليه وسلم في غاية الخشية لله والتقوى، كان يجتهد في تبليغ الرسالة ومع ذلك يرى نفسه مقصرا حتى لا يستريح في أي وقت من الأوقات، ويظن أن عدم إيمانهم قصور منه صلى الله عليه وسلم في التبليغ فعليه ملام في ذلك، فأخبره الحق تبارك وتعالى أنه ليس بملوم، بل بلّغ الرسالة كما ينبغي، وإنما الله تبارك وتعالى لم يرد هدايتهم، فإن شاء أعرض عنهم لا ملام عليه، فلما قال «فتول عنهم» تُوهِم أن هذا انقضاء لشأنه وهو شأنه مستمر فخاطبه ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تول عنهم معناه استرح من هذا التكلف الشديد والحرص على هدايتهم، والله أرسله يبين الهداية ولا يخلق الهداية، فإذا بلغ فقد فعل ما عليه، فمن آمن فقد آمن، ومن لم يومن فالملام ليس على الرسول صلى الله عليه وسلم، ليس على الرسول إلا البلاغ، وعلمه تبارك وتعالى هنا أن الذكرى تنفع المؤمنين، فإذا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من الكفار ودخل واحد في الإسلام، آمن، هذا نفع للمؤمنين، وإذا ذكّر ولم يؤمن أي كافر فإن المؤمنين ينتفعون بذكراه. فالذكرى تنفع المؤمنين على كل حال إما بزيادة المؤمنين وإما بزيادهم هم "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم". فالذكرى تنفع المؤمنين ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر ألفا لم يؤمن إلا مائة، وإن ذكّر مائة لم يؤمن إلا عشرة أو عشرة لم يؤمن إلا واحد، فهذا نفع، وإن لم يؤمن أحد فهذا ينفع المؤمنين، فالذكرى تنفع المؤمنين على كل حال ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ إن الله تبارك وتعالى هو خالق الخلق إنسه وجنه، وخلقهم لعبادته لا غير، وهذا لا يعارض قوله تبارك وتعالى بالأمس "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، ولكن المقصود "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" والأتقى يعبد الله تبارك وتعالى، فوافق أنه ما خلق الخلق إلا للعبادة، وهذه العبادة التي خلق الخلق لها ما هي والشرائع مختلفة؟ هي تعظيم الخالق تبارك وتعالى والشفقة على خلقه. هذا في كل شريعة، تعظيم الخالق في كل شريعة والشفقة على عباد الله. وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع أو الهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان، ولكن كل الشرائع متفقة على تعظيم الخالق والشفقة على عباده "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" ما ذكر الملائكة لأن الملائكة وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فالجن والإنس هم الذين يقع فيهم كفار غير مؤمنين وغير عابدين فلهذا خصهم بالذكر، الجن والإنس فقط. أو الجن كل مستتر فدخل فيه الملائكة، فكل الخلائق خلقوا لعبادة الله تبارك وتعالى سواء الملائكة أو البشر أو الجن ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لي ولا لأنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أخبر تبارك وتعالى أنه خلق الخلق للعبادة فقط لا غير، لا يريد من العباد رزقا ولا أن يطعموه، والإطعام والزرق متباينان كما سنبين في التفسير، والله هو الرزاق الذي يرزق كل مخلوق. الإنسان يرزق نفسه ويرزق أهله، السلطان يرزق جيشه فعلى هذا الرازقون كثيرون ولكن الله هو الرزاق، صيغة مبالغة، هو الذي يرزق كل إنسان، وقوي على ذلك لم يقل القوي بل «ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» حتى يعلموا أنه قادر على هذا الذي تكفل به. أخبر أنه خلق الخلق للعبادة وهذه العبادة فسروها بالمعرفة، قال ابن

عباس: ليعبدوني ليعرفوني[1]. والعبادة والمعرفة غير متناقضتين، كلتاهما لازمة للأخرى. ولكن عادة الملوك أهم يكسبون العبيد، كل ملك لابد أن يكون له عبيد يقسمهم على أقسام: قسم يكسوهم ويطعمهم من طعامه ويحليهم ويجالسهم دائما، المقصود من هذا القسم تعظيمهم للملك فقط. حضور بين يديه، يعقدون اليمين على الشمال بين يديه تعظيما له لا يريد منهم غير هذا. وقسم يفرغهم لطلب الرزق، منهم من يزرع له، ومنهم من يبني له، ومنهم من يتجر، ومنهم من يصنع ليزيد في ماله. وقسم يشتغلون بإعداد الطعام له يطبخون ويصنعون الشراب. والله تبارك وتعالى ما أراد رزقا من عباده حتى يعملوا له ما يعطيه رزقا، ولا يأكل ولا يشرب حتى يصنعوا له طعاما أو شرابا، إذاً لم يبق له إلا القسم الأول الذين يحضرون بين يديه ويعظمونه، يعقدون اليمين على الشمال تعظيما له، وهذه هي العبادة. لما لم يرد رزقا ولم يرد طعاما، والملك لا يريد من العبيد إلا ثلاثة أصناف: صنف للتعظيم وصنف لرزقه وصنف لطعامه. هو لم يرد رزقا ولا طعاما، لم يبق له إلا صنف يعبده ويعظمه، فلهذا قال إنه ما خلقنا إلا للعبادة. ومن أراد أن يعبد الله تبارك وتعالى فقد تكفل له برزقه. في الآية بالأمس "وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق" وهنا «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين»، فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا اشتغل العبد بعبادة الله تبارك وتعالى كفاه الله مؤنة دنياه وجعل غناه في قلبه وإذا اشتغل بالدنيا وترك عبادة الله تبارك وتعالى ملأ يديه شغلا وقلبه هموما ولا يجد من الرزق إلا ما قسم له[2]. يقول:

---

1 - نقله الألوسي عن ابن عباس في روح المعاني ج15/ ص50 .

2 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعلْ ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك). سنن

(يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك)[1] من تولى الله تولاه الله تبارك وتعالى إن كان فقيرا فهو قنوع بما عنده، في راحة ويعبد ربه، ويثق بما قُدّر له من الرزق. ومن كان غير ذلك لو جمع واديين من الذهب لابْتغى لهما ثالثا ورابعا وخامسا ولا يملأ جوفه إلا التراب[2]. ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيبا من العذاب ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ الهالكين ﴿فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب إن أخرهم إلى يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ يَّوْمِهِمْ﴾ في يومهم ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يوم القيامة.

الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2390). وأخرج الحاكم في مستدركه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول ربكم تبارك وتعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا وأملأ يديك شغلا. المستدرك: كتاب الرقاق/ النبي صلى الله عليه وسلم أكل ولبس خشنا (7998).

1 – عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك" معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري/ باب ذكر النوع الخامس والعشرين من علم الحديث. وتقدم في الدروس 29، 30، 39 و45.

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن عطاء قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب ما يتقى من فتنة المال (6436) و لمسلم عن أنس في صحيحه: كتاب الزكاة/ باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا (1737). تقدم في الدرس 39.

سورة الطور

مكية سبع أو تسع وأربعون آية

هذه السورة لها خاصية أن من كان مسجونا وقرأها في مجلس واحد ستين مرة أخرجه الله من السجن في أسرع وقت. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ﴾ أقسم الجليل بالجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ القرآن أو التوراة كتاب الله الذي أنزله حتى صار مكتوبا على الورق هو هذا القرآن. أقسم الجليل بهذا الكتاب ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ أقسم بالبيت المعمور وهو في السماء السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك للطواف والصلاة ثم لا يعودون أبدا، وذلك البيت بحيال الكعبة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنه لو سقط لوقع على الكعبة[1]، هو كعبة الملائكة كما أن هذه الكعبة كعبة الإنس والجن. سمع عمر «والطور وكتاب مسطور» قال: هذا قَسم جد، حتى جاء الجواب إن عذاب ربك لواقع، خر عمر مغشيا عليه ظن أن العذاب

1 - أخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه. مسند أحمد: مسند المكثرين/ مسند أنس بن مالك (12100). وقد أخرجه الشيخان من حديث الإسراء، صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ ذكر الملائكة (3207) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات (234). وقال ابن حجر في شرحه: وأخرج الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها، يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا).

قد وقع[1]. هكذا الخوف من الله تبارك وتعالى ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ هو السماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء. أقسم بالطور وعرّفه «وكتاب مسطور في رق منشور» منكّر «والبيت المعمور» معرّف «والسقف المرفوع والبحر المسجور» إن الله تبارك وتعالى أقسم بهذه الأشياء الخمسة والجواب هو هذا ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ لنازل بمستحقه لا محالة ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ التنكير في الكتاب ليشمل كل مصحف، كل ما كتب من القرآن إلى آخر الدهر «مَا لَهُ مِن دَافِعٍ» ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ تتحرك وتدور ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ تصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ للرسل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي يتشاغلون بكفرهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ يدفعون بعنف حتى يقعوا في النار ويقال لهم تبكيتا ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ النار التي كذبتم بها في الدنيا هاهي ادخلوها ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ رميتم الأنبياء بالسحر هذه النار التي تحرقكم الآن أسحر هي؟ تبكيت. ﴿أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُواْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ﴾ صبركم وجزعكم سواء، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الجزاء من جنس العمل، قالوا لأنفسهم: "سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين"، وقال الله في حقهم "سواء عليهم آنذرتهم أم لم تنذرهم" فلما كان الإنذار وترك الإنذار سواء في حقهم بقول الله وبقولهم خوطبوا «اصْلَوْهَا فَاصْبِرُواْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ»، وقالوا لأنفسهم وهم في النار "سواء علينا أجزعنا أم

1 – نقل ابن كثير في تفسيره عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ "والطور" حتى بلغ "إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع" قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث مليا ثم رجع إلى منزله فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه. ابن كثير 241/4

صبرنا ما لنا من محيص" «فاصبروا أو لا تصبروا» فصبروا ألف سنة من سني الآخرة[1]، قالوا: نصبر فقط المسلمون ما وجدوا ما وجدوا إلا بالصبر فلنصبر فصبروا ألفا فلم ينفع، فقالوا نبكي ونتضرع المسلمون ما وجدوا ما وجدوا إلا بجزعهم في الدنيا وبكائهم وخوفهم فصاروا يبكون حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو أجريت سفن في دموعهم لجرت[2]، بكوا حتى صارت في خدودهم أخاديد وبعد هذا قالوا "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جزاءه ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ﴾ عادة القرآن إذا ذكر وعيدا أردفه بوعد وإن ذكر وعدا أردفه بوعيد ليجمع العبد بين الخوف والرجاء «فَاكِهِينَ» متلذذين ﴿بِمَا ءَاتَاهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ نجوا من النار ودخلوا في النعيم المقيم أبدا ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا﴾ مهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يأكلون ما اشتهت أنفسهم ويشربون كذلك، مهنئين «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» لا ينافي الحديث (لن يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[3] إذا تغمد الله العبد برحمته

---

1 - جاء في مجمع الزوائد: عن كعب بن مالك رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" قال يقول أهل النار: هلموا فلنصبر قال: (فصبروا خمسمائة عام)، فلما رأوا ذلك لا ينفع قالوا: هلموا فلنجزع قال: (فيكون خمسمائة عام) فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص". مجمع الزوائد: رقم الحديث (79011).

2 - أخرج الحاكم في مستدركه عن عبد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم يعني مكان الدمع). المستدرك: كتاب الأهوال/ صفة بكاء أهل النار (8830) وقد تقدم في الدرس22 .

3 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا،

يسر له العمل المؤدي إلى الجنة، فالجنة عطاء وجزاء عمل ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قرنّاهم بزوجات عظام الأعين حسانها ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إيمانا كاملا ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ الصغار والكبار ﴿بِإِيمَانٍ﴾ ناقص ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ إذا كان الأب مؤمنا إيمانا كاملا والولد إيمانه ناقص ألحِق بدرجة أبيه تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم، وتلحق بالذرية بالنسب الذرية بالمعنى، فالمريدون والتلامذة يلحقون بأشياخهم، وأشياخ أشياخهم يلحقون بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وعن ولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يا رب إني عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به تكريما له)[1] (...)[2] ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ عمل من خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ زدناهم وقتا بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم

ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب. صحيح البخاري: كتاب المرضى/ باب تمني المريض الموت (5673)، وفي صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (5037). تقدم في الدرس 24

1 - (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبيه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيومر بإلحاقهم به). للطبراني الكبير وابن مردويه عن ابن عباس، الجامع الكبير 56/1. وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز جل: "ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم" قال: إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل. المستدرك: كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الطور (3790).

2 - هنا سأل أحدهم مولانا الشيخ هل الذرية هنا تطلق على الآباء والأبناء؟، قال: [نعم تقدم أن الأبناء يلحقون بالآباء والناجي يأخذ بيد أخيه، الله كريم "وكان أبوهما صالحا" في سورة الكهف كان الجد السابع لهذين الولدين]. وهذا القول نقله القرطبي عن جعفر بن محمد ج38/11

يصرحوا بطلبه، إذا خطر ببال الولي في الجنة أنه يحب أن يأكل أي لحم حضر بين يديه بالطبخ الذي يوافقه من غير طلب ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ الجنة ﴿كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ يشربون الخمر فلهذا حُرِّمت في الدنيا، فمن شربها في الدنيا لم يشربها يوم القيامة. أهل الجنة يتنعمون بمعاطاة الخمر خمر ليست كهذه الخمر «لا لغو فيها ولا تأثيم» بخلاف خمر الدنيا، يتعاطون عبر بالتنازع وهذا في الشراب ولم يقله في الأكل لأن المنازعة في الشراب مستحسنة عند الأحباء بخلاف الطعام، المنازعة في الطعام غير محمودة ولكن المنازعة في الشراب تجري بها العادة عند الأحباء دائما، فلهذا وصف أهل الجنة بأنهم يتنازعون كأسا ولا يتنازعون طعاما ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقاء ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حسنا ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ إن الله تبارك وتعالى جعل أولاد المسلمين الذين ماتوا في الصغر يكونون ولدان الجنة يخدمون سادتهم، وغلمان خلقوا من الجنة نشأوا في الجنة كالحور العين يخدمونهم كلما أحبوا، والغلمان إذا رأيت واحدا منهم تظنه كالقمر ليلة البدر وكأنهم لؤلؤ مكنون، قالوا يا رسول الله إذا كان الغلمان هكذا فما بال السادة إذاً؟ قال: كالقمر ليلة البدر[1] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة. تذكرت يوم كنا في الدنيا كنا كذا، بعضهم يتذكر هذا وبعضهم ينساه يقول: لا، أنا نشأت هنا ما عرفت

---

1 - نقل الطبري عن قتادة قوله "ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون" ذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: (والذي نفس محمد بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب). تفسير الطبري ج27/ ص29.

ونقل القرطبي عن الحسن أنه قال: (يا رسول الله إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم فقال: ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب). الجامع لأحكام القرآن ج17/ ص69.

هذه الدنيا التي تذكر ﴿قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ كنا في الدنيا ونخاف من أحوال الآخرة ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ المتذكر يتذكر هذا، بعضهم يقول: لا لا لا، أنا ما خرجت من هنا قط. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿أَنَّهُ﴾ لأنه ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة ﴿فَذَكِّرْ﴾ دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا ليس كاهنا ولا مجنونا ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ وقد قالوا هذا: اتركوا محمدا حتى يهلك كما هلك الشعراء قبله فنستريح ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ فإني من المتربصين هلاككم معكم، فعذبوا بالسيف يوم بدر فهلكوا على كل حال ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُم بِهَذَا﴾ العقل يأمر بهذا؟ هذه التصرفات الغريبة التي يتصرف بها الكفار ليست من العقل في شيء ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ طغوا فحملهم طغيانهم على هذا العناد ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أم لم يصدقوا بأن القرآن آت من عند الله بل يظنون أن محمدا اختلقه من عند نفسه ﴿بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ استكبارا، هم يعلمون أن محمدا لو قدر على أن يقول مثل هذا الكلام لقدروا هم عليه فإنهم عرب مثله وكلهم عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا الكتاب، إذاً تكبروا فقط ولكن علموا أن الأمر من عند الله تبارك وتعالى ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِّثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ﴾ لا يأتون به أبدا ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أم يظنون أنهم خلقوا بلا خالق أنهم مالكوا أنفسهم؟ لهم خالق وذلك الخالق خلقهم ليدعوهم إلى عبادته والإيمان بنبيه ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أم خلقوا أنفسهم ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلابد لهم من خالق هو الله الواحد هم قبل

وجودهم معدومون، فالمعدوم لا يخلق شيئا، إذاً الذي خلق الأشياء من العدم هو الله الموجود قبل كل شيء ما يمنعهم من الإيمان والتوحيد؟ ﴿أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إن كانوا يترددون في أنهم لم يخلقوا أنفسهم ما عندهم شك أن هذه السماء التي ما أدركوها ليسوا هم من خلقها، وهذه الأرض كذلك، ما خلقوا السماوات والأرض ﴿بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ لو عرفوا هذا لآمنوا بنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة. أم خزائن النبوة، مفاتيحها بأيديهم فيخصون من شاءوا بالنبوة، ومحمد لا يحبونه لا يكون نبيا. لا يحبون محمدا ولكن خزائن النبوة بيد الله، والله إنما يحب محمدا، ما يمنعه من النبوة؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، أم لهم القهر كما لله؟ لا. ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ هل يمكنهم أن يضعوا السلالم ويصعدوا إلى السماء فيأتوا بالنبوة ويعطوا لمن شاءوا أو ينازعوا النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ من قدر منهم أن يذهب إلى السماء ويأتي بكتاب فينازع المصطفى فليأت به ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ يقولون إن الملائكة بنات الله، كيف يكون لله بنات وأنتم لا تحبون البنات والله هو المعطي؟ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين؟ أم هذا التمادي على الكفر سببه البخل، هل الرسول صلى الله عليه وسلم جعل عليهم غرامة لا يؤمن أحدهم إلا إذا دفع مالا كثيرا ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ فهم مثقلون من مغرم فخافوا من دفع الأموال فحبسهم ذلك الخوف عن الإيمان؟ لا ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أم عندهم علم الغيب حتى يمكنهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم في البعث وأمور الآخرة التي هي غيب، وما أطلع الله عليه إلا محمدا وهم لا علم لهم به فكيف ينازعونه؟ إذا أخبر بشيء من أمر الآخرة، ليس لهم إلا التسليم فقط لأنه يعلم ما

هنالك وهم لا يعلمون. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ لهلاك محمد أم أرادوا أن يهلكوا محمدا فيستريحوا ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هذا الكيد، اجتمعوا في دار الندوة، فأبرموا كيدا ولكن الذين كادوا هم الذين سيهلكون، حفظ الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأهلكهم يوم بدر، أهل دار الندوة جميعا قتلوا بالسيف ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أم عندهم إله آخر مع هذا، لا يمكن أيضا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْاْ كِسْفًا﴾ بعضا ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا "فأسقط علينا كسفا من السماء" تعذيبا لهم ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ طلبوا سقوط السماء عليهم لحماقتهم ولو سقطت السماء عليهم لقالوا مطر يأتينا فقط ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ اتركهم حتى يموتوا ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا نراك ونحفظك ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قل سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك أو من مجلسك أو إلى الصلاة روايات[1]، من مجلسك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه – وهو كلام اللغو الجلبة– فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا

1 – قال القرطبي في تفسيره ج78/17: اختلف في تأويل قوله: "حين تقوم" فقال عون بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابن الأحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه... ثم قال وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع: المعنى حين تقوم إلى الصلاة.. وقال أبو الجوزاء وحسان بن عطية: المعنى حين تقوم من منامك.

أنت أستغفرك وأتوب إليك، غفر له ما كان في مجلسه ذلك)[1]، كل من جلس مجلسا وختم بهذا القول كفّر الله له كل ما جرى في مجلسه. هذا حديث، ومن الأحاديث الصحيحة في كفارة المجلس: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) كان صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مجلس إلا قال هذه الكلمة: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور)[2] إذا قلت هذا حين تقوم من مجلسك كان كفارة لما جرى في المجلس. وحين تقوم من منامك أو حين تقوم إلى الصلاة ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صل ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فصل عقب غروب النجوم، في الأول العشاءين وفي الثاني ركعتي الفجر وقيل الصبح. إذاً أمر الله تبارك وتعالى عبده أن يكثر من الصلاة والتسبيح والحمد سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما يقول إذا قام من المجلس (3355). وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي الأحوص في قوله: "وسبح بحمد ربك حين تقوم" قال: إذا قمت فقل: سبحان الله وبحمده. كتاب الدعاء/ ما يدعو به الرجل إذا قام من مجلسه (25064).

2 – أخرج الترمذي في سننه عن ابن عمر قال: كان يعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما يقول إذا قام من المجلس (3356). وفي سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب في الاستغفار (1295) وفيه: (..إنك أنت التواب الرحيم).

كان إبراهيم كلما أصبح وأمسى يقول: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون" فسماه الله إبراهيم الذي وفّى[1]. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل عند انصرافه من الصلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين[2].

سورة النجم

مكية اثنتان وستون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه أول سورة جهر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها في المسجد الحرام أمام المشركين جميعا لم يتخلف أحد منهم فلما ختم السورة سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد المسلمون والكفار جميعا إلا أمية بن خلف أخذ حفنة من الأرض ووضع عليها جبهته وقال لا يعلوني دبري

---

1 - أخرج أحمد في مسنده عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ألا أخبركم لم سمى الله تبارك وتعالى إبراهيم خليله الذي وفى لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآية. مسند أحمد: مسند المكيين/ باب حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله تعالى عنه (15071).

2 - أخرج السيوطي في الجامع الكبير عن علي: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى يوم القيامة فليقل عند انصرافه من الصلاة "سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى آخر السورة. الديلمي عن علي. الجامع الكبير ج785/1

أبدا[1]. سبب نزولها أنهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تقوَّل القرآن من عند نفسه فأقسم الجليل ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا غاب، جواب القسم ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَى﴾ ما لابس الغي وهو الجهل. رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاد عن طريق الهداية وما جهل حتى يعتقد اعتقادا فاسدا ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ ما ينطق بما يأتيكم به عن هوى نفسه ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ إليه ﴿عَلَّمَهُ﴾ إياه ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة أو منظر جميل وذلك جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿فَاسْتَوَى﴾ استقر ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ أفق الشمس عند مطلعها على صورته التي خلق عليها. كان جبريل في غالب الأوقات يأتيه على صورة إنسان، على صورة دحية الكلبي غالبا ورآه الرسول صلى الله عليه وسلم على خلقته عنده ستمائة جناح[2] سد الأفق مرتين فرآه بحراء فسد الأفق من المشرق إلى المغرب فخر المصطفى مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بحراء[3]. فنزل جبريل له بصورة الآدميين ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه جبريل

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله رضي الله عنه قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فاسجدوا لله واعبدوا (4863). وقال ابن حجر في فتح الباري عند شرحه لهذا الحديث: وقع في تفسير ابن حبان أنه أبو لهب.

2 - روى مسلم عن عبد الله قال: "ما كذب الفؤاد ما رأى" قال رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح. صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب في ذكر سدرة المنتهى (254).

3 - أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربه قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرق قال فجعل يرتفع وينتشر قال فلما

﴿فَتَدَلَّى﴾ زاد في القرب ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. إن قلنا إن الرؤية هنا رؤية جبريل، فرؤية الملائكة إذا أمكنت أمكنت رؤية الباري تبارك وتعالى، فالرسول إذا كان رأى جبريل على صورته فقد رأى ربه أيضا[1]. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عنده ستمائة جناح.

رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقيه. مسند أحمد: من مسند بني هاشم/ (2812)

1 - تناول الحافظ ابن حجر في فتح الباري والنووي في شرح صحيح مسلم مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه كلاهما ببحث مستفيض أوردنا بعضه اختصارا قال ابن حجر: قد اختلف السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، واختلف عن أبي ذر، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه. وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه... (إلى أن قال) وممن أثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الإمام أحمد فروى الخلال في " كتاب السنة " عن المروزي قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت "من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " فبأي شيء يدفع قولها ؟ قال: بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي، قول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها. فتح الباري شرح الحديث رقم (4855) من صحيح البخاري.

وقال النووي في شرحه لترجمة الباب من صحيح مسلم معنى قول الله عز وجل: "ولقد رآه نزلة أخرى" وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء: أما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية. قال: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم) وعن عكرمة سأل ابن عباس رضي الله عنهما هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قال : نعم. وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه. وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه. والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فأخبره أنه رآه. ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لأن

عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا" ولقول الله تعالى: "لا تدركه الأبصار" والصحابي إذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة. وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد. وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئا نفاه [غيره] والمثبت مقدم على النافي، هذا كلام صاحب التحرير، فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم. وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه. ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها. فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى: "لا تدركه الأبصار" فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة، وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لا حاجة إليها مع ما ذكرناه، فإنه في نهاية من الحسن مع اختصاره. وأما احتجاجها رضي الله عنها بقول الله تعالى: "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا" الآية، فالجواب عنه من أوجه، أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام. الثاني أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة. الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة، وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملا ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا. وأما قوله تعالى: "أو من وراء حجاب" فقال الواحدي وغيره: معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه، وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا من موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم. والله أعلم. من شرح النووي على صحيح مسلم/ كتاب الإيمان.

العقل لا يتحمل هذه الخلقة، طائر له جناحان نعرفه، وإذا كان له ثلاثة لا نعرف أين يكون الثالث، وجبريل عنده ستمائة جناح كل جناح سد الأفق[1] فرآه الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الصورة مرتين؛ أو «ثم دنا» الرسول صلى الله عليه وسلم من الحق «فتدلى» ازداد قربا «فكان» منه تبارك وتعالى «قاب قوسين أو أدنى»، المقاربة بين شخصين لا يمكن أن تزيد على مقاربة قاب قوسين، إذا كان أدنى فما هناك ثان، قاب قوسين نظرا للإثنينية، أو أدنى عندما انمحق العبد في الرب ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿مَا أَوْحَى﴾ أبهم ما جرى بينهما تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم، انظر الفرق بين المقامين: موسى كلمه ربه وناجاه وقص علينا ما جرى بينهما في تلك المناجاة "وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" والمصطفى كتم سره فقال «فأوحى إلى عبده ما أوحى» لم يعرفه إلا الحبيب. بينهما بون بعيد.

مشهد: رأى الشيخ الأكبر مشهدا اجتمع جميع الأنبياء والمرسلين في صعيد واحد وهناك كرسي من الذهب طويل ينتظرون أن يأتي محمد صلى الله عليه وسلم فيجلس عليه فصار يتفكر سبحان الله، إبراهيم الخليل، موسى الكليم، عيسى روح الله كلهم جلوس على الأرض والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو وحده الذي يجلس على هذا الكرسي؟ قال: فكلمني هود، قلت له: ما هذا المجتمع و لم؟ قال: جميع الأنبياء والمرسلين اجتمعوا للشفاعة في الحلاج. الحلاج وقع له خاطر فقط لم يجر عليه لسانه أساء الأدب مع المصطفى صلى الله عليه وسلم، الحلاج قرأ حديث

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم. مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة/ باب مسند عبد الله بن مسعود (3561).

(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[1] فقال في خاطره فقط المصطفى صلى الله عليه وسلم قدره أجل من همته لأنه لو تعلقت همته بالشفاعة لجميع الخلق لكان له ذلك، فلم خص الشفاعة لأهل الكبائر فقط دون سائر الخلق؟ هذا خاطر، فوقف المصطفى صلى الله عليه وسلم بين يديه وقال له: إنا معشر العارفين نعتقد أن العبد إذا فني في ربه كان الحق هو لسانه الذي يتكلم به، هكذا؟ قال: نعم. قال: ما علي من ملام في كلام قلته والحق لساني فيه. قال: تائب لله، تائب لله. قال له: من شرط قبول توبتك أن تقتل بسيف شريعتي. قبل الحلاج فقتل ذلك اليوم. سكر وقال: أنا الحق ما في الجبة إلا الله. فأفتى علماء الظاهر والباطن بوجوب قتله فقتلوه، قال ومنذ ذلك اليوم وهو محجوب عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، والآن ثلاثمائة وتسعة وتسعون عاما فاجتمع الأنبياء والمرسلون للشفاعة فيه فشفعوا فيه فرفع الحجاب بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال فعلمت شيئين: جلالة قدر الحلاج حيث يستحق أن تجتمع الأنبياء والمرسلون لأجله هو فقط، وخطر من يسيئ الأدب مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ومع شريعته حيث أن هذا حجبه تلك المدة الطويلة. قال فسأل موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله أنت تقول علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: كمن منهم؟ أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الغزالي قال: كالغزالي هذا. قال موسى: أتأذن لي أن أسأله سؤالا؟ قال نعم، فسأله سؤالا وأجاب الغزالي عشرة أجوبة على سؤال واحد، قال له موسى: ما هكذا

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2359). وفي سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب في الشفاعة (4114). تقدم في الدرسين 7 و22.

الجواب، السؤال إذا كان واحدا يأتي الجواب واحدا هذا هو المطابق. قال له الغزالي: ولِم لما قال لك الحق "وما تلك بيمينك يا موسى" قلت "هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" قال موسى صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[1] ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ المصطفى صلى الله عليه وسلم رأى الحق و لم يشك فيه ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ موسى هو الكليم كلمه الحق تبارك وتعالى بعد أن صام أربعين ليلة أي ثمانين يوما يصوم النهار والليل، نحن نصوم النهار، إذا جاء الليل نفطر، موسى صام أربعين يوما بلياليها ليجد الكلام مع الحق. فذهب إلى الميقات كلمه الحق في الطور، فخر مغشيا عليه. هذا مناجاته في الطور، نمر بالطور في طريق الحج، أين هذا ممن مناجاته فوق العرش؟ وأين "فخر موسى صعقا" من "ما زاغ البصر وما طغى"؟ وأين "لن تراني" من «ما كذب الفؤاد ما رأى»؟ الفرق بين المقامين واضح. جعل بصره في فؤاده «ما كذب الفؤاد ما رأى» أو جعل فؤاده في بصره "ما زاغ البصر وما طغى" موسى خر صعقا، والمصطفى صلى الله عليه وسلم ما زاغ بصره وما طغى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ لما أسري به في السماوات وهي شجرة النبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ هنالك الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ من طير وغيره من

---

1 - الحديث: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: حرف العين (1744). تقدم في الدرس 24.

2 - قال النووي في شرح الحديث 234 من صحيح مسلم: قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها و لم يجاوزها أحد إلا رسول الله.

خلق الله ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ من النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا طَغَى﴾ مال بصره عن مرئيه ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ رأى عجائب الملكوت رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح. انتقل المصطفى صلى الله عليه وسلم بجميع جسده وتجاوز السماوات والعرش والكرسي ومستوى، ووصل إلى الحضرة ورأى ما رأى من الآيات من آيات ربه الكبرى. جعل «مِن» بخلاف مشاهدة إبراهيم "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض" ليس فيه «مِن»، ومحمد "لنريه من آياتنا" أو من آيات ربه. حقا إن إبراهيم رأى ملكوت السماوات والأرض ليس فيه تبعيض، والمصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رأى فيه «مِن» التبعيضية، ولكن المصطفى صلى الله عليه وسلم رأى آيات ربه، ليس ملكوت السماوات فقط، آيات الرب التي لا نهاية لها فلهذا دخل «مِن» هذا يؤكد أن مقامه فوق مقام الخليل ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ آلهتهم، ما أشد حماقتهم، كان عندهم أصنام من حجارة نحتوها واحدة تسمى اللات، والثانية العزى، ومناة، وهبل كان أكبرهم، ولهذا دفنه المصطفى في باب السلام نطأ عليه بالأقدام إلى يومنا هذا، ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ الله تبارك وتعالى هو الذي يرزقكم الأولاد تجدون أنتم الأولاد الذكور والله الذي هو المعطي يختص بالإناث؟ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ جائرة ﴿إِنْ هِيَ﴾ المذكورات ﴿إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها آلهة. هذه الآية بنفسها تكفي حجة على كذب حديث الغرانيق. الذين وضعوا حديث الغرانيق قالوا إن المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وذكر هذه الآلهة قال: تلك الغرانيق الأولى وإن شفاعتهن لترتجى. إن قال هذا في الآنِ وقال "إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ

وَءابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ " لتناقض القرآن، هذا مدح وذم في مقام واحد. هذا ما يمكن حديث الغرانيق كذب ما أتى به إلا الكلبي، وهو معروف بالكذب في الحديث[1]، «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس» ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء البرهان على لسان الصادق المصدوق لم يبق إلا الإيمان به، ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ الإنسان يتمنى ما شاء فهل يكون له؟ لا، كلنا لم يجد أمانيه ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ الدنيا والآخرة بيد الله لا يقع فيهما إلا ما يريده تبارك وتعالى، (يا ابن آدم تريد وأريد إن وافقتني فيما أريد أعطيتك ما تريد وإن نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد) هذا الملك الحق، الدنيا والآخرة لله تبارك وتعالى من أرادهما فليطلبهما أو إحداهما منه تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ كثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ حتى الملائكة المكرمون ليس لهم شفاعة إلا إذا أذن الله تبارك وتعالى في ذلك "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" معلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه" ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ الكفار يقولون إن الملائكة بنات الله ﴿وَمَا لَهُم بِهِ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فالمطلوب العلم لا الظن ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا﴾ تول عنهم لا خير فيهم، اتركهم تماما سيهلكون، المصطفى صلى الله عليه وسلم بالنسبة للخلق

---

1 - نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري عن البزار قوله: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال ابن حجر: والكلبي متروك ولا يعتمد عليه. فتح الباري: كتاب التفسير/ باب سورة الحج.

كالطبيب للمرضى، المرضى على درجات تجد مريضا يقول له الطبيب لا باس عليك، كل كذا واشرب كذا ولا تأكل كذا ولا تشرب كذا، لا يحتاج لدواء، هذا كمثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لما قال له المصطفى صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله إليك وإلى جميع الخلق، قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. ما احتاج لآية ولا دليل ولا إنذار ولا عقاب ولا شيء، مرضه خفيف. ومريض يأتي للطبيب يسقيه دواء ليخرج منه العلة، ومريض يأتي للطبيب فيرى فيه مرضا، عضوا فاسدا لابد أن يقطع إن لم يقطع هذا العضو سرى المرض في جميع الجسد فلابد أن يقطع ذلك العضو، فالمصطفى صلى الله عليه وسلم هو طبيب الأمة، فالمريض الأول مثل أبي بكر، قال له قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ومنهم من وعظه النبي وأتاه بالدليل وأنذره وبشره فآمن، هذا كالذي يعطى له الدواء فيبرأ. ومنهم من لا ينفعه شيء كالعضو الذي لا بد أن يقطع «فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» هذا الجنس الأخير يقاتله النبي صلى الله عليه وسلم ويقتله. أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبيا[1]. النبي عين الرحمة لا يقتل أحدا إلا من ليس يستحق شيئا من الرحمة. هذا الجنس أبو جهل وعتبة وشيبة ومن معهم، هم بمنزلة العضو الذي لابد أن يقطع كي لا يفسد الباقي، قطعوهم يوم بدر، «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا» ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ لا يعلمون من الأشياء إلا الدنيا فآثروها على الآخرة، ولو عرفوا الآخرة لآثروها لأن الآخرة خير

---

1 - أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيا وإمام ضلالة وممثل من الممثلين). مسند المكثرين/ باب مسند عبد الله بن مسعود (3674).

وأبقى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ عالم بهما ويجازيهما يوم القيامة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْحُسْنَى﴾ الجنة ومن هم المحسنون الذين لهم الجنة جعلنا الله وإياكم منهم؟ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ المحسنون هم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم. الكبيرة كل ما ورد في ذكرها وعيد والصغائر كالنظرة والقبلة واللمسة هذه الأشياء تُكفَّر باجتناب الكبائر. إنسان خلا بأجنبية، قبلها لمسها باشرها وكان قادرا على الإيلاج فخاف الله و لم يولج، فقد كُفّر له ما ارتكب من الصغائر، فلهذا وصف المحسنين فضلا وكرما منه أنهم "الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم" اللمم ما أخرجهم من عدد المحسنين ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بذلك حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر ويقبل التوبة في حق الكبائر. إذا تاب العبد بعد ذلك يكفر عنه. التوبة تجب ما قبلها[1]. وشرطها الندم والإقلاع وتدارك ما أمكن تداركه ورد حقوق الآدميين ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ نزل في قوم كانوا يذكرون صلواتهم: صلاتنا، صيامنا، حجنا، فعلنا كذا وكذا وكذا يصفون عملهم معجبون به. هو تبارك وتعالى «أَعْلَمُ» عالم «بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ» خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الله عرفكم من قبل، لما كنتم ترابا، لما كنتم في صلب آدم

---

1 – أخرج ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له). سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر التوبة (4240).

وفي أصلاب الرجال ولما كنتم أجنة في بطون الأمهات الله عرف خبركم في ذلك الوقت ﴿فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ﴾ إذا لا تحتاجون للإعجاب بأن تمدحوا أنفسكم. أما الاعتراف بالنعمة فحسن وأما الإعجاب بالعمل فمذموم نهانا تبارك وتعالى عن تزكية النفس، هذا بالقول، لا تمدح نفسك ولا تمدح غيرك كما يقول الرسول (إياك والمدح فإنه الذبح)[1] وقال: (احثوا التراب في وجوه المداحين)[2] وقال: "قد أفلح من زكاها" هذه التزكية بالفعل، أما التزكية فعلا فتهذيب النفس بالتوبة والإنابة والطمأنينة والرجوع إلى الله، النفس راضية مرضية هذه التزكية مأمور بها، أما المدح سواء مدحت نفسك أو مدحت أخاك في وجهه تقارضه المدح، تمدحه ويمدحك فهذا هو الذي نهيتم عنه «فلا تزكوا أنفسكم» والناس في المدح على ثلاثة أقسام: العامة الذين إذا مُدحوا عولوا على المدح ونسوا ما فيهم من العيوب والقبائح، وتعلقوا بما مدحهم الناس به يظنون أنهم كذلك، فهؤلاء المدح في حقهم كالذبح، وهذا غاية في الحماقة، إنسان يجهله إنسان ويصفه بأوصاف هو يتحقق أنها ليست فيه فيعتقد أنها فيه، كمن يقال له عذرتك طيبة أطيب من ريح المسك فيصدق بذلك؛ والزهاد إذا مُدِحوا انقبضوا يخافون ما ورد في المدح من المضرة للدين؛ والعارفون إذا مُدحوا انبسطوا لأنهم يرون أن ذلك من الحق على كل حال.

---

1 - أخرج ابن ماجه عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إياكم والتمادح فإنه الذبح. سنن ابن ماجه كتاب الأدب/ باب المدح (3733). وفي مسند أحمد: مسند الشاميين/ باب حديث معاوية بن أبي سفيان (16234).

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي معمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب وقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المداحين التراب. صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح (5322).

هم يحبون حتى أن يحمدوا بما لم يفعلوا لأنهم يرون أن المادح هو الله تبارك وتعالى، ما ثم متكلم غيره ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الإيمان، سبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة استمع لقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: هذا الكلام ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، هذا ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة ولا كذب، إن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وهذا الكلام يعلو ولا يعلى عليه[1] فانقطع عن المشركين أياما بقي في بيته فتحدثت قريش: صبأ الوليد ولتصبأن قريش جميعا، فسمعهم أبو جهل بن هشام فقال: أنا أكفيكموه، فأتى إلى الوليد قال له: ما الذي بلغنا عنك؟ قال: سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن إنما هو كلام رب العالمين، قال له: لهذا تحدثت قريش أنك الآن طفيلي على ابن أبي كبشة، طفيلي عند محمد. قال: مسكين محمد ماذا عنده حتى أكون طفيليا عليه؟ ليس عنده شيء. قال له: الناس هكذا يقولون. قال: لا، ولكني سمعت منه كلاما ما يمكنني إلا أن أومن به فقط وإلا أخاف العذاب كما يقول. قال له أبو جهل: إذاً اختر إذا آمنت بمحمد وصبأت نعزلك عن مرتبتك ونتركك ونحاربك. قال: ما أفعل بالعذاب الذي يخوفني منه محمد؟ قال له اعطني مائة من الإبل وأتحمل عنك جميع ذنوبك والعذاب يقع علي وتكون مرتدا، فقبل هذا، فأعطاه عشرة وبعد أيام امتنع قال: الكفر بمحمد لا أعطي فيه مالي، رجع إلى

1 - قال القرطبي: قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال مقاتل كان الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه. تفسير القرطبي: ج 17/ 111.

كفره قال تعالى "أفرأيت الذي تولى" عن الإيمان ارتد لما عُير به، وقال خشيت عقاب الله فضمن له المعيِّر وهو أبو جهل أن يحمل عنه عذاب الله، رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا[1] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ من المال، أعطى عشر ما تحمل ﴿وَأَكْدَى﴾ امتنع بعد ذلك ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ هل يعلم شيئا من الغيب، لا، حتى يعلم أن هذا العقد الذي تعاقد مع أبي جهل يصح، هذا لا يصح في الآخرة، ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ما قرأ الكتب المنزلة، كتب إبراهيم وكتب موسى. بدأ بصحف موسى لأنها أبين عند الناس، التوراة معروفة بخلاف كتب إبراهيم، أو من باب تقديم الأدنى فالأعلى ذكر موسى ثم ذكر إبراهيم الذي وفى، قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة وأربعة كتب: عشرة على آدم، خمسون على شئث بن آدم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاثون على أخنوخ إدريس، وعشرة على إبراهيم هذه مائة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان[2]. قال: ما كانت كتب إبراهيم؟ قال: كانت عبرا كلها، فعلى العاقل أن يكون مقبلا على شأنه لا يمشي إلا لدرهم لمعاشه أو زاد لمعاده، وعلى العاقل أن تكون عنده أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يعامل فيها خلق الله تبارك وتعالى، وساعة يخلو للذته من الحلال من مَطعمه ومَشربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وسيأتي في سورة الأعلى "إن هذا لفي

---

[1] - تقدمت قصته في الدرس 44.

[2] - في مسند أبي ذر من الجامع الكبير قال: قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله؟ قال: (مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شئث خمسين صحيفة وعلى أخنوخ (إدريس) ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان). مسند أبي ذر في الجامع الكبير للسيوطي ج2/646-647. تقدم في الدرس1.

الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" آخر تلك السورة من الصحف المتقدمة[1]. لم ينبأ بما في تلك الصحف، وما هو؟ ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ في كل الكتب المنزلة أن لا تحمل نفس ذنب غيرها ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ من خير فليس له من سعْيِ غيره شيء. وهذا كما قال ما في الصحف الأولى، ليس في حقنا نحن، أما نحن فلنا ما سعينا وما سُعي لنا. جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: مات أبي وعليه صيام أفأصوم عنه؟ قال: صم عنه. قال: مات أبي ولم يحج أأحج عنه؟ قال: (حجّ عنه)[2] والصلاة على الجنازة ليست من سعي الميت

---

1 – ومن حديث أبي ذر السابق كما نقله في الدر المنثور قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: أمثال كلها أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عونا لتلك الساعات واستجماعا للقلوب وتفريغا لها، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث مرمة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم. قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن أيقن بالموت ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ولمن أيقن بالقدر ثم ينصب ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل، قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى قال يا أبا ذر نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. الدر المنثور ج8/ 489.

2 – عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة فقالت إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت قال فقال وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: صومي عنها قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال حجي عنها. صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب قضاء الصيام عن الميت (1939). وفي

وهي له، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إذا تصدقت المرأة من مال زوجها فلها أجرها بما أنفقت وللزوج بما كسب وللخازن[1]. فهذه الأمة ورد فيها أشياء كثيرة تدل على أن العبد المسلم ينتفع بعمله وبعمل غيره. كانت عائشة تتصدق عن أخيها عبد الرحمن، وتذكر وتعتكف شهرا كاملا وتهدي ثواب ذلك لأخيها[2] عبد الرحمن «ليس للإنسان إلا ما سعى» في حق من قبلنا من الأمم، لا في حقنا نحن، فلهذا قال «أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى» ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ كل إنسان يلقى عمله يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ الأكمل ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ المرجع إلى الله تبارك وتعالى والمصير بعد الموت إليه تبارك وتعالى فيجازي كلا بعمله، وحق لعبد يعلم أنه إلى ربه منتهاه أن يقلل من الدنيا ويقبل على عمل الآخرة. وحسبك ما وقع لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم قد سيقت إليه الدنيا بحذافيرها، الفقر الذي يقال عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس بفقر هو أغنى الناس ولكنه لم يدخر شيئا،

صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه قال: (نعم) صحيح البخاري: كتاب الحج/ باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة (1854).

1 - أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها وله مثله وللخازن مثل ذلك له بما اكتسب ولها بما أنفقت. صحيح البخاري: كتاب الزكاة/ باب أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة (1440)، وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي (1701).

2 -- القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج17/ 114.

أتته الدنيا بحذافيرها، ترادفت عليه الفتوحات وأهدت له الملوك وأغنياء الصحابة، وقد مات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير لنفقة عياله[1]. دخل عليه عمر بن الخطاب وهو في عريش عند مسجده مضطجع على حصير رث حتى أن الحصير أثر في جلده الشريف، وهو من الجوع بحيث أن ربط حجرا في بطنه فقال عمر: يا رسول الله أنت خير خلق الله وأكرمهم على الله، وأنا دخلت على قيصر وعلى كسرى فرأيت ما هم فيه من النعيم وأنت سيد الخلق بهذه الحالة سل الله أن يرزقك طعاما تأكله، وهلا أعلمتنا قبل أن تضطجع على هذا الحصير فنفرش لك شيئا يقيك منه. قال له: (أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟)[2] أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ما لي وللدنيا؟ ما للدنيا ولمحمد ولآل محمد[3]؟ أما

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب (2916). تقدم في الدرس6.

2 - أخرج الشيخان عن عبد الله بن عباس عن عمر رضي الله عنهم في قصة المرأتين اللتين تظاهرتا حديثا مطولا جاء فيه قول عمر :

(... فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف...ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي...) صحيح البخاري: كتاب المظالم والقصب/ باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (2468). صحيح مسلم: كتاب الطلاق/ باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى وإن تظاهرا عليه (2707).

3 - (الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لأبي عبد الرحمن السلمي في الزهد عن عائشة. ج2/ رقم (4284).

رضيت أن تكون الدنيا لهؤلاء والآخرة لنا، إن إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا ما هو أشد من هذا، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى وأنا أخوف ما أخاف أن ألقاهم بين يدي الله تبارك وتعالى فيتفوقون علي، وقد توفي بعد شهر من هذا الكلام، هذا التفوق ما يمكن ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ «أضحك» من شاء أفرحه، «وأبكى» من شاء أحزنه، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ من مني، صب المني في الرحم فجاء هذا المني ذكرا وجاء هذا أنثى. ذكر الحكماء أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق إنسانا هنالك ملك موكل بالرحم يقول يا رب: نطفة يا رب نطفة، فإذا أراد الله إيجاد إنسان حسن المرأة في عين زوجها والزوج في عين المرأة فيقع الالتئام، قبل هذا التحسين من الله لا يمكن الوقاع، وإذا وقع ونزل المني يقول الملك يا رب تخلق منه خلقا أم لا تخلق منه خلقا؟ أخلق منه خلقا. قال: شقي أم سعيد؟ شقي أم سعيد. قال: غني أم فقير؟ فيكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد[1] فيضعه الملك في الرحم، فإذا أراد الله أن يكون هذا المني ذكرا يخرج المني من الخصية اليمنى فيدخل في المدخل الأيمن، فرج المرأة له مدخلان كخصيتي الرجل، فإذا خرج المني من يمين الرجل ودخل في يمين المرأة يكون الولد ذكرا كامل الذكورة، وإذا خرج من يمين الرجل ودخل في يسار المرأة يكون رجلا ولكن في

1 – عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكل الله بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه. صحيح البخاري: كتاب القدر/ باب في القدر (6595). صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله (4785). تقدم في الدروس 29، 33 و34.

طبع الأنثى. وإذا خرج من يسار الرجل إلى يمين المرأة يكون أنثى ولكن متخلقة بخلق الرجال. وإذا خرج من يسار الرجل إلى يسار المرأة تكون أنثى كاملة الأنوثة. وأما الشبه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة فيكون الولد يشبه أمه وأخواله، وإذا سبق ماء المرأة وعلا ماء الرجل يكون الولد يشبه أباه وأعمامه[1]. ماء مني واحد يختلف هذا الاختلاف، أليس القادر على هذا بواحد؟ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ البعث بعد الموت ذلك على الله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ أغنى الناس بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ قنية. ليس الغنى عن كثرة المال إنما الغنى غنى النفس[2]. منهم من كثر ماله وليس بغني، ومنهم من استغنى بما عنده فله الكفاية. القنية كثرة المال فقط ولو لم يستغن به صاحبه ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ هي كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية. قال مجاهد: كوكب، الشعرى العبور والشعرى الغميصاء، خصها بالذكر لأنها كانت تعبد في الجاهلية، كانت خزاعة تعبد هذا الكوكب خصوصا، هذا الكوكب ليس بإله إنما ربه هو الله ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ عاد

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة أن امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال: (نعم) فقالت لها عائشة: تربت يداك وألت، قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه). صحيح مسلم: كتاب الحيض/ باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها (472) وفي صحيح البخاري من حديث أنس قوله صلى الله عليه وسلم : (..وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت..) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "من كان عدوا لجبريل" (4480).

2 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب الغنى غنى النفس (6446). وفي صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب ليس الغنى عن كثرة العرض (1741).

قوم هود الذين هم أشد خلق الله، دمرهم أهلكهم الله تبارك وتعالى. عاد عادان: عاد الأولى قوم هود، وعاد الأخرى قوم صالح ﴿وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ منهم أحدا ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أهلكوا قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وهم مع عدم إيمانهم يؤذونه ويضربونه كل يوم ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ القرى ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة. قوم لوط لما عكسوا حكمة الله، إن الله خلق النساء للرجال فتركوا النساء وأتوا الرجال في أدبارهم عكس الله قراهم، قلع جبريل جميع القرى وحملها إلى السماء وأسقطها إلى الأرض مقلوبة ﴿فَغَشَّاهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّى﴾ فأمطروا ذلك المطر بعد ذلك فهلكوا. ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكَ﴾ الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَى﴾ تتشكك فيه، أي شيء يشكك الإنسان في قدرة القادر على هذا؟ ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ من جنسهم رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قربت القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ لأن القيامة كان من علاماتها خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر الذي سيأتي الآن. ولكن لا يجليها لوقتها إلا هو ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيبا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلاَ تَبْكُونَ﴾ بسماع وعده ووعيده؟ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا وإلا فتباكوا)[1]، (لو تعلمون ما

1 - عن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص وقد كف بصره فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: مرحبا بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا) سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب في حسن الصوت بالقرآن (1327).

أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)[1]. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)[2] وكثرة الضحك تميت القلب تورث قساوة القلب حتى لا تؤثر فيه المواعظ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من يأخذ عني خمسا فيعمل بها أو يعلم من يعمل بها وله الجنة. قال أبو هريرة أنا يا رسول الله، قال: اتق محارم الله تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحبّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، وإياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب)[3] «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ» القرآن «تَعْجَبُونَ» تكذيبا «وَتَضْحَكُونَ» استهزاء «وَلاَ تَبْكُونَ» لسماع وعده ووعيده ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ لاهون غافلون ﴿فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَاعْبُدُواْ﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

---

1 - عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) (6486) وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها من كتاب الكسوف/ باب صلاة الكسوف (1499) وقد تقدم في الدروس 22، 31 و42.

2 - أخرج الترمذي في سننه عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله). سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد/ باب ما جاء في الحرس في سبيل الله (1563).

3 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسا وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب. سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (2227). ولأحمد في مسنده: مسند المكثرين/ باب مسند أبي هريرة (7748).

سورة القمر

مكية إلا "سيهزم الجمع" الآية وهي خمس وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ نزلت هذه السورة لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش، دعاهم إلى الإيمان فقالوا: ما تيأس من إيماننا إلى الآن؟ والله يا محمد لا نؤمن بك أو تشق هذا القمر فلقتين فتقعان واحدة على جبل أبي قبيس والأخرى على قعيقعان، جبلان حول المسجد الحرام، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إذا شق القمر تؤمنوا؟ قالوا نعم. فدعا الله فانفلق القمر فلقتين حتى سقطت واحدة على جبل أبي قبيس والأخرى على قعيقعان قال اشهدوا، اشهدوا أنتم طلبتم الآية، قالوا: لا نؤمن هل شق القمر أم لا حتى يأتي وفود من خارج مكة ويقولوا إنهم رأوا هذا، وإلا يمكن أنك سحرت أعيننا فقط فرأينا شيئا لم يقع. فجاء القوافل من الغد فكلما سألوا قافلة قالوا رأينا عجبا، رأينا القمر انشق فلقتين وسقطتا في مكة، قالوا سحر مستمر، هذا سحر عم الدنيا كلها ولم يؤمنوا[1]. قال

1 - قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس في قوله: " اقتربت الساعة وانشق القمر" قال: اجتمع المشركون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاصي بن وائل والعاصي بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحرث فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إن فعلت تؤمنوا) قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي: (يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا). الدر المنثور ج671/7.

الله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قربت القيامة لأن من علاماتها بعث النبي صلى الله عليه وسلم، (بعثت أنا والساعة كهاتين)[1]. ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقعيقعان، آية له صلى الله عليه وسلم فقال اشهدوا ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾ الكفار ﴿ءايَةً﴾ معجزة له صلى الله عليه وسلم ﴿يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذا سحر قوي أو سحر دائم أو سحر عم، ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الدنيا سبعة أيام[2]، إن يوما عند ربك كألف سنة، كل يوم ألف سنة هذا معنى الدنيا جمعة أسبوع واحد، وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ستة آلاف سنة، بين آدم ونوح ألف سنة وبين نوح وإبراهيم ألف سنة وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وبين عيسى ومحمد ستمائة وخمس وخمسون سنة[3] الحاصل بعث النبي صلى الله عليه وسلم في الألف السادسة وقد مضى منذ هجرته الآن ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانون سنة وهي سبعة

1 - أخرج الشيخان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بعثت أنا والساعة كهاتين. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين (6504). وفي صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب قرب الساعة (5245). وقد تقدم في الدروس 20، 29، 33.

2 - (الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة). رواه الديلمي عن أنس كما في الجامع الصغير للسيوطي (4277). تقدم في الدروس13، 15، 23، 35و40.

3 - روى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان عمر آدم ألف سنة) قال ابن عباس: وبين آدم ونوح ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة، وبين موسى وعيسى خمسمائة سنة، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة. المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ باب ذكر مدة الفاصلة فيما بين الأنبياء عليهم السلام. ونقل القرطبي قولا لم يعزه أنه كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى أيضا ألف سنة. تفسير القرطبي ج4/ 107.

آلاف. إذاً لم يعلم أحد وقت قيام الساعة ولكنها قربت. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ لأهله في الجنة أو النار ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ زجر لهم ﴿حِكْمَةٌ﴾ هي حكمة ﴿بَالِغَةٌ﴾ تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ ما تنفع ﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير. المنذِرون إذا لم يؤمن الناس بهم ويتبعوهم فما تغنيهم؟ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ حيث لا ينفع النذر فأعرض عنهم فقط ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي﴾ هو إسرافيل ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ إلى شيء تنكره النفوس لشدته وهو الحساب ﴿خُشَّعًا﴾ ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾ الناس ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِي﴾ الذي هو إسرافيل ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب على الكافرين ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾ نوحا ﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ﴾ نوح مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ انتهروه بالسب ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ دعا الله ﴿أَنِّي﴾ بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ غُلبت فانصرني يا رب ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب انصبابا شديدا ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ التقى الماءان ماء السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ قضي في الأزل. كل ما نزل من الماء من السماء مقدَّر بمكيال يعرفه الملَك، وكل ما هب من ريح عند ملك يكيله، عنده مكيال يعرف كم مضى من الماء وكم مضى من الريح، إلا ما كان من طوفان نوح فإن الله أذن لخزائن الماء أن تخرج فقط بلا أمر الملائكة، وأذِن للسماء وللأرض حتى امتلأت الدنيا من الماء، وإلا ما وقع من ريح قوم هود، الريح التي دمرت عادا أيضا أذن لها خالقها فخرجت بدون إذن الملائكة. ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ نوحا ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ على سفينة ذات ألواح ﴿وَدُسُرٍ﴾ مسامير ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا ﴿جَزَاءً﴾ أغرقوا انتصارا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ﴿وَلَقَد

﴿تَرَكْنَاهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ معتبر ومتعظ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ إنذاري يقع موقعه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ احفظوا وتذكروا ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هودا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم وهو الأربعاء الأخيرة من الشهر ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم من الحفر التي حفروا لأنفسهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ منقلع ساقط على الأرض ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُواْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ نتبع بشرا ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ متكبر ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة كما طلبوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالح ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضره صاحبه ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار ليقتلها ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ قتلها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ صاروا كالهشيم الذي سقط ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميهم بالحصباء ﴿إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ﴾ لوط وابنتاه ﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ وقت السحر ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ أنعمنا وهو مؤمن ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا ﴿فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ﴾ بالإنذار ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ بأن يخلي بينهم وبين القوم ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ صباحا ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ دائم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ وَلَقَدْ جَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه ﴿النُّذُرُ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ﴾ حتى لا تهلكون ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ في الكتب الأولى ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: نزلت هذه الآية وما أعرف معناها حتى يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقرأ «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فهزموا فعلمت أنه معنى ذلك[1]. ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمَرُّ﴾ أشد مرارة ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك ﴿وَسُعُرٍ﴾ نار مسعرة ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ في الآخرة ويقال لهم ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلاَّ﴾ مرة ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة أو أسرع: كن، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وهو في قبة يوم بدر: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم) فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله ألححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر" صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: "بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر" (4875). قال ابن حجر في شرحه: وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة أن عمر قال: لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع) الآية.

الذنوب والعمل ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ في الكتب في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مجلس حق ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ» في الجنات «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» هذا فوق الجنة. الجنة جنتان جنة النعيم، ومقعد صدق عند مليك مقتدر. هذا لأهل الله تبارك وتعالى. أهل الجنة في الجنان وأهل الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، الرحمن. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

الدرس التاسع والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة الرحمن

مدنية ثمان وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾ عادة القرآن كلما ذكر وعيدا أردفه بوعد، إذا ذكر عظمة وجبروتا وقهرا ذكر رحمة ولطفا، سورة القمر سورة قهر وجبروت تكرر فيها "فكيف كان نذيري" ثلاث مرات، ورحمته سبقت غضبه[1] فأتى بسورة الرحمن، كرر فيها "فبأي آلاء ربكما تكذبان" ثلاثين مرة صارت إحدى وثلاثين مرة، إحدى وثلاثين مرة بمقتضى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، إذا كان الوعيد مرة يكون الوعد عشر مرات. آخر سورة القمر يناسب

---

1 - كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي) صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم (7422). ولمسلم عن أبي هريرة بلفظ: قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي) صحيح مسلم: كتاب التوبة/ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (4940). وقد تقدم في الدروس16، 20، 32، و34.

أول سورة الرحمن، آخر سورة القمر "في مقعد صدق عند مليك مقتدر". الناس يحشرون إلى المحشر ثلاث فرق: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وفريق في مقعد صدق عند مليك مقتدر. الصادقون كما قال الجنيد: من إذا طلبوا في النار لم يوجدوا وفي الدنيا لم يوجدوا وفي الجنة لم يوجدوا بل هم "في مقعد صدق عند مليك مقتدر"[1]، هم الصوفية، يقول سيدنا علي: صوف ثلاثة حروف لابد من صبر وصدق وصفاء، ولابد من ود وورد ووفاء، ولابد من فقر وفرد وفناء[2]. الصادقون في كل أقوالهم وأعمالهم. ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنّ فيه كان منافقا ومن كانت فيه واحدة كانت فيه خصلة من خصال النفاق: من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر[3]). في مقعد صدق عند مليك مقتدر تلك حضرة الرحمن. «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ» الملائكة «الْقُرْءَانَ» أو علم محمدا القرآن أو علم الأمة القرآن ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ ذكر القرآن في الكتاب أربعا وخمسين مرة ما فيه ذكر أن القرآن مخلوق، وذكر الإنسان على الثلث من

---

1 - أخرج الحكيم الترمذي عن ثور بن يزيد رضي الله عنه قال: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة فيقولون: إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا فيقال لهم: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد مع الحبيب وهو قوله: "إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر". الدر المنثور ج687/7

2 - روح البيان ج287/9.

3 - أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها). صحيح البخاري: كتاب الجزية/ باب إثم من عاهد ثم غدر (3178)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان خصال المنافق (88).

ذلك ثماني عشرة مرة في كل مرة صرح أن الإنسان مخلوق. بهذا تبين أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وجرى بهذا النمط في هذا المكان أيضا[1] «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان» صرح بخلق الإنسان وتعليم القرآن "اقرأ باسم ربك الذي خلق" "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" بدأ بذكر الخلق في سورة العلق قبل تعليم القرآن، وهنا بدأ بالتعليم قبل خلق الإنسان. الله تبارك وتعالى علّم آدم الأسماء فاستحق سجود الملائكة والخلافة عن الله تبارك وتعالى، وعلَّمنا مباشرة القرآن كما علَّم آدم، فبهذا كنا خير أمة أخرجت للناس. وذكر القرآن أنه تبارك وتعالى علّم عباده القرآن فلولا تيسير الله وتسهيله ما صح لأحد منا أن يحفظ القرآن. ما حُفظ القرآن إلا بتعليمه تبارك وتعالى، وما فُهم إلا بتعليمه. فالذين علّمهم الله القرآن فحفظوه والذين فهّمهم معاني القرآن ففهموه، هم خاصة الله تبارك وتعالى وأهله[2]، جعلنا الله وإياكم منهم. «علم القرآن خلق الإنسان» ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق، علم الإنسان البيان هو النطق، الفرق بين الإنسان والحيوان هو النطق، فالإنسان لا يكمل إلا باللسان ولا يفسد أيضا إلا باللسان،

---

1 - استدل به الثعالبي في تفسيره قال: ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكر القرآنَ في كتابه في أربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه، وذكر الإنسانَ على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو. تفسير الثعالبي ج4/ 240.

2 - عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله أهلين من الناس) قالوا يا رسول الله من هم قال: (هم أهل القرآن أهل الله وخاصته) سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة/ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (211). وللحاكم في مستدركه: كتاب فضائل القرآن/ باب قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) (2083) وقد تقدم في الدرس33.

المرء بأصغريه القلب واللسان[1] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الشمس والقمر يجريان بالتناوب والنجم ما لا ساق له من النبات والشجر ما له ساق يسجدان. ذكر الملكوت الأعلى، العلويات والسفليات في أتم بيان وأوجز كلمات «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان» هذا الملأ الأعلى والأسفل «علمه البيان الشمس والقمر بحسبان» الملأ الأعلى «والنجم والشجر يسجدان» الملأ الأسفل. الله تبارك وتعالى لما خلق الإنسان وعلمه البيان سخر له الشمس والقمر يجريان في فلكهما لخدمة الإنسان «والنجم» الشجر لا ساق له «والشجر» الشجر الذي له ساق «يسجدان» يخضعان لما يراد منهما ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ ذكر الملأ الأعلى أيضا ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل بين خلقه. ذكر الميزان في هذه الآيات مكررا والمعاني مختلفة. وضع العدل ﴿أَلاَّ تَطْغَوْاْ﴾ أي لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ فيما يوزن به ﴿وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ﴾ العمل ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلاَ تُخْسِرُواْ الْمِيزَانَ﴾ لا تنقصوا الموزون. الميزان الأول العدل، والميزان الثاني الآلة التي يوزن بها «وأقيموا الوزن»: العمل، «ولا تخسروا الميزان» لا تنقصوا الموزون. إقامة العدل بشيئين: بالقرآن الذي بيَّن الحلال والحرام وبالميزان الذي هو آلة يمكن بها إقامة العدل والقسط. فالإنسان لا غنى له عن القرآن، ليعلم الحلال والحرام، ولا غنى له عن الوزن، لأن كل إنسان يتعامل مع الآخر، ولا يرضى أحد بالغبن. والغبن يوجب العداوة والبغضاء فيما بين الناس فلولا القسط والوزن بالقسط، لوقع تغابن يوجب عداوة وبغضاء وشرورا لا نهاية لها. فبالقرآن والميزان حصل الصلاح

---

1 - (المرء بأصغريه) أورده العجلوني في كشف الخفاء ثم أضاف: أي بلسانه وقلبه. قال النجم ذكره السيوطي في مختصر النهاية من زياداته عليها، ونقل تفسيره المذكور عن الفارسي وابن الجوزي والله أعلم. كشف الخفاء: حرف الميم (2705).

للجميع، والقسط هو العدل، أن تأخذ قسطك وتعطي قسط غيرك، هذا هو القسط، إن الله يحب المقسطين ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق الإنس والجن وغيرهم ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ الفواكه كثيرة على وجه الأرض ومنها وهو أعزها «النخل ذات الأكمام» أوعية طلعها ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التبن ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الورق المشموم، كل هذه نعم من الله تبارك وتعالى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ نِعَم ربكما أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ هذه النعم كلها ثابتة موجودة حسا، كيف تكذباها أيها الإنس والجن، ذكرت إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة أي كررت ثلاثين مرة بعد الذكر الأول. قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتا؟ لَلجن كانوا أحسن منكم ردا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة «فبأي آلاء ربكما تكذبان» إلا قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد[1]. إذا قيل «فبأي آلاء ربكما تكذبان» نقول: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد. كررها ثلاثين مرة أي ذكرت إحدى وثلاثين مرة لعلة أو لغير علة. إن قلنا لعلة "فكيف كان نذير" تكرر ثلاث مرات فذكرت أربع مرات في سورة القمر، والحسنة بعشر أمثالها فجاءت هذه ثلاثين. ومن المفسرين من يقول: طبقات النيران سبعة، ودرجات الجنان ثمانية والإنس والجن قسمان، باعتبار نصيب كل منهما في الجنان والنيران تكون إحدى وثلاثين مرة، وهذا تفسير ضعيف جدا

1 - أخرج الترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الرحمن (3213).

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. إن الله تبارك وتعالى خلق آدم أبا البشر من طين، وُصف الطين بأوصاف في القرآن: من طين لازب، ومسنون، وصلصال كالفخار، أولا كان عجينا يلصق باليدين، وبعد ذلك كان مسنونا، وبعد ذلك صار طينا يابسا على هيئة الفخار. الفخار قِدر الماء سمي فخارا والفخار صيغة مبالغة من الفخر، لأن الطين الذي كان يبله الماء إذا صار بحالة يحمل الماء ولا يتضرر كأنه صار يفتخر على جنسه. وآدم خلق من طين هكذا صار كالفخار. أربعين سنة لازبا، أربعين سنة مسنونا، أربعين سنة طينا يابسا كالفخار ثم نفخ فيه الروح. فرغ الله من خلق آدم بعد مائة وعشرين سنة، ثلاث أربعينات فلهذا جاءت خلقة أولاده أربعين ليلة نطفة، أربعين ليلة علقة، أربعين ليلة مضغة، ثم نفخ فيه الروح[1] تلك الأربعون ثلاث مرات أربعة أشهر، وهي العلة في أن المرأة إذا توفي زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرا. العشر زيدت احتياطا، أما أربعة أشهر إذا مضت للحمل لابد أن يتحرك الجنين حيا فيتحقق الحمل وإلا عرفنا أن الرحم برئت. أربعون ليلة بالنسبة إلينا أربعون سنة بالنسبة إلى آدم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾

1 – ورد حديث صحيح بذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح...الحديث. صحيح البخاري كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (3208) وفي صحيح مسلم كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (4781). تقدم في الدروس6 و8 و 26 و46.

كذلك مغرب الشتاء ومغرب الصيف. هو الرب في كلتا الحالتين، والرب عنوان الداعي. الإنسان إذا أراد أن يرسل إلى أحد يجب أن يعرف أولا عنوانه، ومن أراد أن يدعو الله فعنوانه تبارك وتعالى رب، يا رب، ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. في بعض البلدان تجد بحرا تغرف من هنا وتشرب حلوا وتغرف من هنا وتشرب ملحا ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لاَ يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به. العذب عذب والملح ملح دائما وليس ثم حاجز إلا قدرة الله تبارك وتعالى ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الإنس والجن. وكذلك بحر الحقيقة وبحر الشريعة، «مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان»، لا يسطو واحد منهما على الآخر. فالشريعة بحر والطريقة سفينة والغاية هي الحقيقة ﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ من كلا البحرين، هذا هو المراد الحقيقة ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من المفسرين من يؤول «مرج البحرين» أن البحرين علي وفاطمة «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين، وهذا من تفاسير المحبين، وليس بعلم قوي، «فبأي آلاء ربكما تكذبان» ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن ﴿الْمُنشَأَتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ﴾ كالجبال عظما وارتفاعا. إن الله تبارك وتعالى خلق لنا هذه الجواري، سمى القرآن الفلْك فلكا في بعض الآيات وسفينة في بعض الآيات وجارية في بعض الآيات. سفينة عندما صنعت، وفلك عندما وضعت في البحر، وجارية حينما تجري. الله تبارك وتعالى خلق لنا هذه الجواري فالسفن الكبار محدثات تجري في البحر كالأعلام كالجبال الراسيات تحمل بني آدم وما عندهم من الآلات والحاجات ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الأرض من الحيوان ﴿فَانٍ﴾ هالك. وعبر بمن تغليبا للعقلاء وإلا فالعقلاء وغير العقلاء سواء في هذا

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ كل ما على وجه الأرض من عقلاء وغيرهم فانٍ، يقول العلماء: سيفنى، وهو في الحال فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال ما ثم إلا هو تبارك وتعالى. فانٍ في الماضي والحال والاستقبال، والذي بقي في الماضي وفي الحال ويبقى دائما هو وجه ربك ذو الجلال والإكرام. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام)[1] يقول بعض العلماء إنه الاسم الأعظم[2]. ذكر حالة الجلال والجمال، ذو الجلال العظمة والإكرام الجمال. ذكر المظهرين مظهر الجمال ومظهر الجلال، والعارفون تجاوزوا النظر إلى المظهرين بل شاهدوا الكمال المطلق في الجلال والجمال ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بنطق أو حال مما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك كل من في السماوات والأرض يسأل الله حاجته، هذا سواء فيه العقلاء وغير العقلاء. الحيوانات والبشر سواء في هذا، وكل يسأل بلغته. البشر لهم لسان يسألون الله بنطق يا الله يا رب. وغير البشر بلسان الحال. لسان الحال هو ما ينطق به حال الشخص. إذا كنا كلنا مفتقرين إلى

---

1 – أخرج الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ (3448) وأخرجه أحمد في مسنده عن ربيعة بن عامر من مسند الشاميين/ حديث ربيعة بن عامر (16935)

2 – أخرج الترمذي والنسائي في سننهما، واللفظ للترمذي، عن أنس قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه اللهم لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أتدرون بم دعا الله دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى). سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب خلق الله مائة رحمة (3467) وفي سنن النسائي: كتاب السهو/ باب الدعاء بعد الذكر (1283). ونقل الطبري في تفسيره ج163/19 عن مجاهد قوله "الذي عنده علم الكتاب" قال الاسم الذي إذا دعي به أجاب وهو يا ذا الجلال والإكرام.

الله تبارك وتعالى فهذا الفقر سؤال، إذاً الإنسان لم ينفك من سؤال الله تبارك وتعالى بنطق وبغير نطق. وغير الإنسان من باب أولى لأنه لا نطق عنده. نسأله تبارك وتعالى الرزق والقوة على العبادة والمغفرة والنجاة من النار ودخول الجنة والقرب منه تبارك وتعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ كل وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يسألونه كل وقت والوقت هنا عبارة عن أقل من ثانية جزء دقيقة أي أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك. وقف الخضر بمجلس عالم يدرس فسأله ما معنى «كل يوم هو في شأن» وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف[1]؟ هو في أي شأن الآن وقد فرغ من كل شيء؟. فتحير العالم لم يعرف جوابا فنام فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له: قل له (شؤون يبديها لا يبتديها). فلما أصبح ورجع السائل قال له: شؤون يبديها لا يبتديها. قال صل على من علمك الجواب[2]. كان السائل الخضر وقد عرف أن الجواب أتى من قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم. أنا فسرت هذا في بعض مقالاتي «كل يوم هو في شأن» أن هذا الشأن الذي هو فيه سوق المقادير الأشياء إلى مواقيتها الزمانية والمكانية. لم يبق إلا ذلك. جلس عالم في زمن مالك بن أنس، ومالك غلام صغير في سن سبعة أعوام، طلع العالم على منبر الرسول

---

1 – قد طرح هذا التساؤل أيضا عبد الله بن طاهر على الحسين بن الفضل كما جاء في القرطبي فأجابه بقوله: وأما قوله كل يوم هو في شأن فإنها شئون يبديها لا شئون يبتديها. تفسير القرطبي ج167/17

2 – جاء في حاشية الصاوي: حكي أن ابن الشجري كان يقرئ في درسه هذه الآية فجاء الخضر وقال: ما شأن ربك اليوم؟ فأطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فعرض عليه السؤال، فقال له: السائل ذلك الخضر فإن أتاك وسألك فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها، يرفع أقواما ويضع آخرين، فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بذلك فقال له: صل على من علمك الجواب. حاشية الصاوي على الجلالين ج155/4.

صلى الله عليه وسلم وقال: أيها العلماء في أي شأن هو الآن؟ «كل يوم هو في شأن» في أي شأن هو الآن؟ فسمع صوت صغير يقول: أنت سائل أم مجيب؟ فقال بل أنا سائل، قال: إن كنت سائلا فانزل على الأرض واجلس متواضعا، فنزل العالم وجلس متواضعا فطلع الغلام الذي هو مالك على المنبر، قال له: سل عما شئت، قال: في أي شأن هو الآن؟ قال: يخفض ويرفع رفعني وخفضك. هذا هو الذي صنع الآن. علموا أن الغلام سيصلح للتعليم. «كل يوم هو في شأن» في أربع وعشرين ساعة الإنسان يتنفس في كل يوم أربعة وعشرين ألف نفَس في كل نفس تحمل مائة ألف امرأة ويولد مائة ألف ولد ويعز مائة ألف ويذل مائة ألف ويمرض مائة ألف ويموت مائة ألف على الأقل[1]. لهذا قال «كل يوم هو في شأن» ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ نقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ﴾ الإنس والجن. سميا الثقلين لأنهما أثقلا الأرض، أو الثقلان لأنهما ثقلا بالذنوب، ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُواْ﴾ أمر تعجيز ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة ولا قوة لكم على ذلك. إن الله تبارك وتعالى في المحشر يخاطب عباده بعدما حشر جميع الإنس وجمعهم في صعيد واحد، وحشر جميع الجن. والإنس عشر الجن. جاءت الجن فدارت على الإنس عشرة أضعاف، وحشر الملائكة الذين على وجه الأرض. والجن والبشر عشر ملائكة الأرض، داروا عليهم بعشرة أضعاف. ثم ملائكة السماء الدنيا كذلك، ثم الثانية، ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم

---

1 - الصاوي على الجلالين ج155/4.

السابعة نسبة كل سماء لما تحتها كنسبة الجن من الإنس[1] والبيت المعمور كذلك والكرسي بما فيه من الملائكة كذلك وسرادقات العرش ستمائة ألف سرادق كل سرادق كذلك. إذا الإنس والجن الذين هم الجبابرة أحيط بهم حيث لا مفر لهم، لم يجدوا منفذا، يخاطبهم الحق إن قدرتم أن تخرجوا فاخرجوا. ما قدروا حولهم الجن وحولهم الملائكة لم يجدوا طريقا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ والقرآن تفسيره يتجدد دائما مع الوقائع بالعلم الحادث، صاروا يصنعون سفنا تخرج إلى الفضاء الخارجي حول الأرض فيدورون ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ فتحترق السفن حتى ترجع وهي لهيب واحد ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ لا تقدران على أن تمتنعا من ذلك. سئل الراكب الروسي الذي دار حول الفضاء ما كان في خاطره؟ قال: قدّرْ إنسانا يعيش وسط لهيب من النار يكون في أشد الخوف «يرسل عليكما شواظ من نار» هو لهبها الخالص «ونحاس» دخان لا لهب فيه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ محمرة السماء الدنيا هذه حمراء إنما صبغتها الصخرة التي تحت الأرض بلونها فإذا جاء يوم القيامة وعاد كل شيء إلى لونه الأصلي تتجلى هذه السماء محمرة ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كالأديم الأحمر على خلاف العادي فما أعظم الهول في ذلك اليوم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ

---

1 - عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله عز وجل جزأ الخلق عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءا سائر الخلق، الملائكة عشرة أجزاء فتسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزء واحد الذين وكلوا بخزائن كل شيء، الجن والإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء الجن، وجزء واحد الإنس، فإذا ولد ولد من الإنس ولد معه تسعة أجزاء من الجن، والإنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج، وجزء واحد سائر الناس.. كنز العمال: كتاب خلق العالم من قسم الأفعال/ جامع الخلق (15253) لابن عساكر في تاريخه.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾ الإنسان يأتي وكل ما عمل بين يديه، لا يسأل عن شيء، لا ينافي قوله تبارك وتعالى "فوربك لنسألنهم أجمعين" لأن ذلك السؤال توقيف على أعمالهم وتبكيت، ليس سؤال تعلم، لم يتعلم منهم فلهذا يقول لم يسألهم ولكن يسألهم إقامة للحجة عليهم، فقال إنه يسألهم إذا سألهم يقولون "والله ربنا ما كنا مشركين" فختم على أفواههم فنطق كل عضو بما صنع ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ من رأى كافرا يوم القيامة يعرفه في الحال بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أخذُ الملائكة للكفار كيفيته أنه يأخذ بلمة الكافر ويجمعها مع قدميه ويكتفه ويلقيه في النار ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فلما ألقوا في النار يقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ قلتم في الدنيا أن لا بعث ولا حساب ولا عذاب، هذه جهنم ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ شديد الحرارة يُسقوْنه إذا استغاثوا من حر النار ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ لكل منهم أو لمجموعهم. كل عبد يخاف من الوقوف بين يدي ربه تبارك وتعالى حتى ترك معصيته فله جنتان عند الله تبارك وتعالى ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ جنة النعيم وجنة الإرث كل أحد يملك دارا لنفسه ودارا يرثها من كافر ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ كلتا الجنتين لها أغصان ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا﴾ في كلتا الجنتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ تجريان لسقي أولياء الله، معهم على الدور والفرش والطرق أينما ساروا سار الماء معهم ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ لهم من الفواكه كل نوع رطب ويابس والمر في الدنيا كالحنظل يكون حلوا يؤتون بالفواكه على هيئة الفواكه في الدنيا لأن الإنسان جبل على حب مألوفاته التي كان يعرفها في الدنيا، يؤتون

بفواكه الجنة على هيئة الثمار في الدنيا، فإذا رأوها يقولون هذا يشبه ما كنا نعرف في الدنيا، وإذا ذاقوه يعلمون أنه ليس هو، أحلى مه ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ﴾ يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن ﴿وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور صارت درجات أربعا ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ نساء عيونهن قاصرة على أزواجهن عكس نساء الدنيا ورجال الدنيا، كلهم يطمح إلى غير زوجه، في الآخرة المرأة نظرها مقصور أو قاصر على الزوج لا تبغي به بدلا ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يفتضّهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ﴾ سلمن من مجامعة الجن عكس نساء الدنيا، فإن الجن يجامع النساء وهذا ما يضر بنسلهن في بعض الأوقات[1]. ونساء الجنة مصونات لم يطمثهن إلا أزواجهن ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ صفاء، والمرجان اللؤلؤ بياضا ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ بالطاعة ﴿إِلاَّ الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم. «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» فسر بكثير من التفاسير[2] أحسنها: «هل جزاء الإحسان» هل جزاء قول كلمة لا إله إلا الله «إلا الإحسان» الذي هو الجنة[3] (مفتاح الجنة لا إله إلا الله[1]) (من قالها مخلصا دخل

---

1 - تفسير القرطبي ج181/17 عن مجاهد والترمذي الحكيم.

2 - قال الفخر قوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" فيه وجوه كثيرة حتى قيل أن في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول إحداها قوله تعالى: "فاذكروني أذكركم" وثانيتها "وإن عدتم عدنا" وثالثتها "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان". تفسير الثعالبي ج247/4.

3 - أخرج السيوطي في الدر المنثور ج714/7 عن ابن عباس في قوله: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" قال رسول الله: (هل جزاء من أنعمت عليه ممن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة). ونقل مثله القرطبي عن عكرمة ج182/17.

الجنة[2]) والإحسان عند الصوفية أن تعبد الله كأنك تراه[3] كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم مراقبة الله تبارك وتعالى برفض كل ما سواه وعدم رؤية ما سواه. هذا الإحسان من العبد ليس له جزاء إلا الإحسان من الباري وهو أن لا يرى إلا هو، من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا إلى آخر الحديث[4]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِن دُونِهِمَا﴾ دون تلك الجنتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمن خاف مقام ربه، درجات الجنان ثمان: الجنتان اللتان كنا نقرأ صفتهما فلهما درجتان، تلك أربع، وهاتان الجنتان دون تلك الجنتين وهي أربع أيضا فصارت مراتب الجنان ثمانيا: الجنتان اللتان وصفتا فرغنا من وصفهما أعلى من هاتين الجنتين الآتيتين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرهما. تلك ذواتا أفنان، وهاتان

---

1 - أخرج أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث معاذ بن جبل (21086).

2 - في الجامع الصغير للسيوطي عن أبي سعيد: (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) حديث صحيح رقم 8896 ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي طلحة الأنصاري: كتاب التوبة والإنابة/ باب من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة (7713) وقد تقدم في الدرسين 32 و42.

3 - طرف من حديث مقامات الدين الثلاثة في الصحيحين، صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان (50). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). وقد تقدم في الدروس5، 24، 33، 39.

4 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. صحيح البخاري: كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه"(7405). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب الحث على ذكر الله (4832). تقدم في الدروس 5، 6، 11، 18، 20، 21، 39 و46.

مدهامتان سوداوان ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ هذا دون تجريان، هناك "فيهما عينان تجريان" وهاتان فوارتان بالماء لا تنقطعان ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ تلك "من كل فاكهة زوجان" هذه «فاكهة ونخل ورمان» ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ﴾ الجنتين وما تضمنتا ﴿خَيْرَاتٌ﴾ نساء خيرات أخلاقا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوها ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها، مستورات في الخيام لأزواجهن الفرق بين المرتبتين: النساء في الجنان السابقات قاصرات الطرف طبعا وهؤلاء مقصورات أي محبوسات، على كل حال مصونات لأزواجهن. ورد أن أقل أهل الجنة نساء من يتزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب، ومائة من الحور، اثنا عشر ألفا ومائة حوراء[1]، ونساء الدنيا أحسن من الحور العين في الجنة، لأن الله تبارك وتعالى يدخر للمرأة كلما صلت أو صامت أو حجت أو تصدقت أو تعبت في خدمة زوجها كل هذه يدخر لها خزائن من الجمال. إذا أتت المحشر ألقى الله عليها ذلك الجمال فيفتن الحور العين. في الحديث أن الحور العين يأخذ بعضهن أيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق أحسن منها ولا مثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبدا، نحن المقيمات فلا نظعن أبدا، نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدا، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام. قالت عائشة: إذا قلن ذلك أجابهن المؤمنات: نحن المصليات وما صليتن، ونحن

1 - قال ابن حجر في عدد زوجات أهل الجنة: وأكثر ما وقفت عليه من ذلك ما أخرج أبو الشيخ في "العظمة" والبيهقي في "البعث" من حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه (إن الرجل من أهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء أو أنه ليفضي إلى أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب) . فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (3245).

الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، قالت عائشة فنغلبهن لأن أعمالهن كلا تصير لهن جمالا[1] ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ﴾ أزواجهن ﴿عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمع رفرفة أي بسط ووسائد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ جمع عبقرية أي طنافس، كل شيء جاء على شكل بديع تعبر عنه العرب بالعبقرية حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم في عمر (فلم أر عبقريا يفري فريه)[2] فكل ما حسن يقال له عبقري. والطنافس في الجنة والوسائد ذكر القرآن أنها عبقري في غاية الحسن ﴿فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم. تبارك اسم ربك أي ربك الذي بذكر اسمه الرحمن عقبه هذه النعم كلها وهي كثيرة.

---

1 - قال القرطبي في تفسيره ج187/17: وفي الحديث إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط أبدا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ونحن الخالدات فلا نموت أبدا، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدا، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام. خرجه الترمذي بمعناه من حديث علي رضي الله عنه، وقالت عائشة رضي الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، فقالت عائشة رضي الله عنها: فنغلبهن.

2 - طرف من حديث صحيح أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذَنوبا أو ذَنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غَرْبا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عمر بن الخطاب (3406) وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عمر (4407).

سورة الواقعة

مكية إلا "أفبهذا الحديث" الآية و "ثلة من الأولين" الآية

وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إذا قامت القيامة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه ينظر إليه بعينه فليقرأ سورة الواقعة)[1] «إذا وقعت الواقعة» قامت القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ لا توجد نفس تكذِّب وجود القيامة في ذلك اليوم، النفي في الدنيا فقط أما إذا وقعت فلا يوجد من يكذب ﴿خَافِضَةٌ﴾ هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ﴿رَافِعَةٌ﴾ لرفع آخرين بدخولهم الجنة ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ إذا حركت حركة شديدة بخروج الموتى من قبورهم ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ فتتت ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غبارا ﴿مُنبَثًّا﴾ منتشرا ﴿وَكُنتُمْ﴾ أيها الناس في القيامة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿ثَلَاثَةً﴾ ينقسم الناس على ثلاث فرق ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ بدخولهم الجنة ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أصحاب الشمال الذين يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى الخير وهم الأنبياء ﴿السَّابِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ينقسمون أزواجا ثلاثة: أصحاب الميمنة هم أهل التوبة المذنبون الذين تابوا، المستغفرون، وأصحاب المشئمة الذين ماتوا كافرين،

---

1 – ورد في مصنف ابن أبي شيبة قول مسروق: من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة. مصنف ابن أبي شيبة: ما جاء في لزوم المساجد (30661).

والمقربون السابقون السابقون الأنبياء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ جماعة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ قليل من هذه الأمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال الرسول: (يا رب زد أمتي) فتجده يكرر الآية ويقول ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ حالان من الضمير ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون أبدا ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرى أو خراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدا ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ ليس في شرب ذلك الخمر صداع ألم الرأس ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا يسكرون أيضا بذهاب عقولهم بخلاف خمر الدنيا شاربها يأخذه الصداع ويسكر ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ﴾ ضخام العيون ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ في الجمال ﴿جَزَاءً﴾ جعلنا لهم ما ذكر للجزاء وجزيناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشا من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ما يؤثم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولا ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ يسمعونه من كل جانب. الملائكة يدخلون عليهم السلام عليكم، وهم يقولون بعضهم لبعض السلام عليكم و"سلام قولا من رب رحيم" حتى الرب يقول لهم السلام عليكم. ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَّخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ﴾ بالحمل من أسفله إلى أعلاه ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ دائم ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جار دائما ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن، بخلاف فاكهة الدنيا كل فاكهة لابد لها من زمن لا توجد فيه ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بثمن، بخلاف فاكهة الدنيا ممنوعة لا

توجد إلا بثمن. أصحاب اليمين هم الذين أذنبوا وتابوا، عصوا واستغفروا الله، وتشير إليه الآية بإشارة دقيقة حيث وصفتهم بسدر مخضود. السدر شجرة لها شوك «مخضود» أي أزيل شوكها، أذنب العبد أولا واستغفر، السدرة صارت ليس بها شوك ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السرر، طول الفراش ما بين السماء والأرض[1] عليها سبعون ألف فراش، قيل يا رسول الله هذا فراش طويل كيف يصعد الإنسان على هذا الفراش؟ قال ينخفض الفراش حتى يجلس عليه الولي ثم يرتفع به. مثاله حال الجمل إذا أراد الإنسان أن يركب بعيره ينخفض له البعير حتى يركبه فيقوم به كذلك فرش الجنة ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ الحور العين من غير ولادة كوّهن الله تبارك وتعالى بقدرته ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، عذارى دائما كلما أتاها الزوج عادت عذارتها بلا ألم ولا دم ﴿عُرُبًا﴾ متحببات لأزواجهن عشقا لهم ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ يذكر حديث في سن أربع عشرة سنة دائما[2] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد ﴿لاَّ بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلاَ كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ منعّمين لا يتعبون في الطاعة ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ من هنا أخذ بعض المفسرين تحريم ذات

---

1 - روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة الواقعة (3216).

2 - ذكر الألوسي في روح المعاني عن بعض التفاسير أنهن بنات ست عشرة سنة ورجالهن أبناء ثلاث وثلاثين. روح المعاني ج18/30.

الدخان[1] "وظل من يحموم" هذا دخان المدخن. هي اسمها الخبيثة وصفتها كذلك خبيثة وكل خبيث حرام. شيخنا يقول التبغ حرام، والأصل في حرمتها قوله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر حرام)[2] وهي من المسكرات. إن كانت مسألة خلاف بين غير من ينتسب إلى طريقتنا فلا خلاف فيها عندنا أنها حرام بنص كلام الشيخ. «وكانوا يصرون على الحنث العظيم» الذنب الكبير وهو الشرك ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لا، ﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ كذلك يبعثون؟ لا يمكن هذا ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ بيان للشجر ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ من الشجر مع قبحها لشدة جوعهم يكابدون أكلها حتى يأكلون ملء بطونهم ولا يشبعون ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الزقوم المأكول ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ماء حار ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ يشربون كالإبل الهيم العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى. مرض يقع للإبل تشرب حتى تموت ولا ترتوي[3] ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ لولا صدقتم بالبعث، إذ القادر

---

1 – إسماعيل حقي البروسوي في روح البيان ج9/ 328.

2 – أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي موسى قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن فقلت يا رسول الله إن شرابا يصنع بأرضنا يقال له المِزْر من الشعير وشراب يقال له البِتْع من العسل فقال: (كل مسكر حرام). صحيح مسلم: كتاب الأشربة/ باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (3729) وفي صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (3997).

3 – نقله ابن كثير عن السدي. تفسير ابن كثير ج4/ 296.

على الإنشاء قادر على الإعادة ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تريقون من المني في أرحام النساء ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ إذا أراق الرجل منيه في فرج امرأته، هل الرجل هو الذي خلق ذلك المني وجعله بشرا؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ الله الذي خلق المني وجعله إنسانا هو الذي يميتكم ثم يحييكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين ﴿عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ الله تبارك وتعالى قادر على أن يبدل أمثال الموجودين الآن يهلكهم ويأتي بآخرين، تلك عادته ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ من الصور كالقردة والخنازير لو شئنا ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ عرفتم أن أصلكم من المني، هلا تذكرتم؟ الإنسان لا ينبغي له أن يتكبر أوله مني يتقذره كل أحد وآخره جيفة، وهو فيما بين هذين يحمل العذرة دائما. عرفتم أصلكم مني فقط، هلا اتعظتم؟ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ إذا حرث أحد فلاة وألقى بذرا في الأرض وجلس في بيته ونبت بستانه، هذا من عمله؟ هو الذي أنبته؟ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ والنبات عندما حسن إن شاء الله أيبسه في الحين ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أقمتم نهارا كاملا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون من ذلك وتقولون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نفقة زرعنا، خسرنا، أنفقنا في هذا البستان كذا وذهب هباء منثورا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون من الرزق ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ الماء البارد هذا الذي نشرب وهو أعز مفقود وأذل موجود، أنتم الذين أتيتم بالماء من المزن أم نحن؟ ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ لو شاء الله لجعل الماء ملحا لا يقدر أحد أن يشربه ﴿فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾ إذا لما شربت الماء البارد ليس عليك إلا أن تشكر الله تبارك وتعالى وتؤمن به وتوحده

وتعلم أن القادر على سقي الماء قادر على ما يشاء. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أول ما يسأل عنه يوم القيامة أن يقال للعبد: ألم نصحّ جسمك ونروك من الماء البارد؟)[1] بلى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تخرجون من الشجر الأخضر ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ كالمرخ والعفار والكرخ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَاعًا﴾ بُلغة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ المسافرين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ سبح بربك، كلمة اسم زائدة، العظيم الذي هو الله قل سبحان ربي العظيم ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة أقسم ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ مساقطها لغروبها. أقسم الجليل بالموقع الذي تقع فيه النجوم عند غروبها ﴿وَإِنَّهُ﴾ هذا القسم ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو علمتم حقيقة ذلك المحل، حقيقة ذلك الشيء لعلمتم أنه قسم عظيم ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون هو المصحف ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث، المصحف لا يمسه إلا المطهر من كل حدث ﴿تَنزِيلٌ﴾ منزل ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون مكذبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تكذبون بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا. إذا وقع المطر يقول الرب: "أصبح من عبادي مؤمن وكافر. أما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك

---

1 ـ أخرج الترمذي عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ من سورة ألهاكم التكاثر (3281).

مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"[1]
﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿الْحُلْقُومَ﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إذا حضر وفاة أحد منا وأقاربه حوله، وبلغت الروح التراقي ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ لا تعلمون ذلك ﴿فَلَوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا﴾ فلولا ترجعوها، هلا رجعتم الروح فيبقى الرجل حيا «إن كنتم غير مدينين» إذا كان البعث كذبا فانفوا الموت قبل البعث؟ إذا جاء الموت وأنتم حضور، والرجل لابد أن يموت ماذا تفعلون؟ هلا ترجعون الروح إلى الجسد ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم؟ لا تقدرون فالهالك لابد أن يهلك في ذلك الوقت. هذا كقوله "وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق" ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من عباد الله الصالحين ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ جعلنا الله من أهل ذلك ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَـ﴾يقال له ﴿سَلاَمٌ لَّكَ﴾ من العذاب ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ حال كونك من أصحاب اليمين ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ فيقال له ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قِراهُ ماء حار شديد

---

1 – عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب). متفق عليه صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال ابن عباس شكركم (1038). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (104). تقدم في الدرس36.

الحرارة ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ دخول النار ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

سورة الحديد

مكية أو مدنية ثمان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نزهه كل شيء في السماوات والأرض جيئ بـــ "ما" دون "مَن" تغليبا للأكثر. كل ما في السماوات والأرض من عاقل وغيره سبح لله تبارك وتعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيُحهم" ﴿وَهْوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ قال المفسر بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس ﴿وَهْوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قرر توحيده تبارك وتعالى «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» الموجود إما أن يكون أولا أو آخرا أو ظاهرا أو باطنا. لا شيء غير هذا، وأتى بـــ"ألْ" الإستغراقية «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» هو كل شيء ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق به، قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة[1]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ كل ما يدخل في الأرض كالمطر والأموات

---

1 - أخرج اللالكائي عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال له: يا أبا عبد الله استوى على العرش كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه

والنباتات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ قال جلال بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الله تبارك وتعالى يعلم كل ما يدخل في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وما يعرج فيها هو الأعمال الصالحة، قال جلال: والسيئة، وما فهمت كيف تصعد السيئة إلى السماء وهو يقول "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" إن الإنسان إذا عمل عملا صالحا يتقبله الله ويرفعه إلى السماء إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. فلهذا تجد الصالحين يتكلمون في هضم النفس حتى يتكلمون بالكذب والكذب لا يجوز، وهضم النفس لا يجوّز الكذب، ورأينا صالحين يصفون أنفسهم بأوصاف نتحقق أنها كذب فكيف هذا؟ سبب هذا أن الإنسان إذا عمل خيرا وتقبله الله يرفع كل ما عمل من خير، إذا رفعه إليه نسيه العبد فيبقى العبد لا يتذكر لنفسه خيرا عمله. ومن لم يعمل أي خير فهذا فاسق هذا ناقص، كل ما وصف نفسه به من النقصان فهو حق وهو لا يرى لنفسه عملا، العمل رفع إلى حيث لا يتذكره، إذا نظر و لم ير شيئا من خير عمله يصف نفسه بأنه لا خير فيه هذا تأويل كذبهم. المعية قال العلماء إنها بالعلم وقال العارفون: المعية بالذات. تكلمتُ مع رجل يقول إنه عارف أو هو قطب، قطب الزمان كما يقول عن نفسه، قال لي: شيخك يقول إن المعية بالذات؟ قلت نعم. قال: أنت تقول بما يقول؟ قلت نعم. قال لي: لا. قلت: ليس معنا بذاته؟ قال:

الرحضاء يعني العرق، وأطرق القوم قال: فسري عن مالك فقال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج. الدر المنثور ج473/3.

لا. قلت: ما الذي معنا؟ قال: آثار قدرته. قلت: الآثار هو مؤثرها؟ قال لي: نعم. قلت: أين ذهب؟ هذا أثره وهو لا ينتقل، أنا أقدر أن أؤثر في محل وأذهب وأترك أثري، والله لا ينتقل، هذه آثاره أين ذهب هو إن كان معنا بعلمه؟ قلت له علمه صفة؟ قال لي: نعم. قلت له: الصفة لا تفارق الموصوف، الصفة إن فارقت الموصوف فسدت الصفة وفسد الموصوف. إن كان معنا بعلمه فهو معنا بذاته. قلت له: أنا أجد الآن أحدث المحدَثات هذه الدقيقة التي نعيش فيها الآن مع كل أحد بذاته، لم أقل هذا النهار لأننا في نهار وغيرنا في ليل، ولكن هذه الدقيقة هي آخر ما حدث، هي أحدث الحادثات، وهي مع كل أحد بذاته، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنت تصلي؟ قال: نعم. قلت: تقرأ التشهد؟ قال: نعم. قلت: اقرأ التشهد فقرأ حتى السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله، قلت: السلام عليك أيها النبيء ورحمة الله ضمير الخطاب يوجهه العربي إلى الغائب؟ قال: لا. قلت له: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا مع كل مصل فكيف بخالقه؟ وتقرأ في حديث البخاري: إن الإنسان إذا دخل قبره يقال له ما علمك بهذا الرجل؟ فإذا رسول الله جالس، مئات الألوف من الموتى الذين يدفنون في كل لحظة كل قبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال: ما علمك بهذا الرجل؟ وهذا حديث صحيح في البخاري[1]، هذا من جهة العقل أما من جهة النقل فالله يقول: "فلنقصن

---

1 - روى الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعا وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة

عليهم بعلم وما كنا غائبين"، "فنحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" حتى قال صحح لي إيماني. فهذا هو الصواب. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ءَامِنُواْ﴾ دوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم. الإنسان لا يملك شيئا إلا وقد خرج من أحدٍ قبلَه إليه، إذا الإنسان مستخلف في ماله لولا انتقاله من غيره ما وصل إليه وسينتقل منه أيضا إلى غيره. إذا فالسعيد الموفق من أنفق مما له، قدمه بين يديه قبل أن يفقده لأنه لابد فاقده ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ فيه إشارة إلى عثمان رضي الله عنه أنفق في غزوة تبوك، أعطى ألف دينار، وأعطى ألفا من الإبل بأحمالها وأعطى مائة فرس بأحلاسها. ذكر القرآن «فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ» ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ﴾ والرسولِ ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي مريدين الإيمان فبادروا إليه ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِۦ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلاَّ تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إن بخلتم بما عندكم عن الإنفاق فستموتون ويكون الله هو الوارث ولو أنفقتم تؤجرون، إن لم تنفقوا فالله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ

بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين. صحيح البخاري: كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع حفق النعال (1338). وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (5115). تقدم في الدرس28.

أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ من أنفق أمواله قبل فتح مكة ﴿وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ﴾ بعد فتح مكة قوي الإسلام، فمن أنفق بعد ذلك وقاتل فهو دون من أنفق وقاتل قبل ذلك ﴿وَكُلاًّ﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ كلهم إلى الجنة إن شاء الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله، أيكم يقرض الله بأن يخرج صدقة لله؟ سماه قرضا لتتحقق بالجزاء فالإنسان إذا طلب منك عطاء لا تنتظر منه الجزاء، وإذا طلب منك شيئا على وجه القرض تتحقق أنه يقضيك، فلهذا سمى ما تدفع للمسكين قرضا، فهو يقضيه لك تبارك وتعالى. يقال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقفه المولى بين يديه يا عبدي مرضت فلم تعدني، استطعمتك فلم تطعمني، استسقيتك فلم تسقني. قال كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلان ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي[1]. نزّل المسكين منزلته تبارك وتعالى فكل ما عملت للمسكين فقد عملته له جل وعلا. الملك متصل بالملكوت من لم يعامل الحق في ملكه فلم يعامله أبدا. إذا أخذ الإنسان الصدقة ووضعها في يد الفقير فقد وضعها في يد الله تبارك وتعالى. حتى المسكين يقول أعطاني الله وهو يعلم أن المعطي فلان،

---

1 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب فضل عيادة المريض (4661). تقدم في الدرس 23.

هذا شيء دقيق، لهذا أخرجت عائشة يوما صدقة ورجعت أخذت طيبا فضمخت الصدقة بالطيب قبل أن تدفعها للمسكين، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: و لم هذا؟ قالت لأن الصدقة تسبق في يد الله قبل أن تصل إلى يد المسكين فطيبتها ليد الجليل التي ستمر بها، قال: الآن فقهت يا عائشة. الفقه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ من عشر إلى سبعمائة كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضى وإقبال. اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يكون بأيماهم ويقال لهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ دخولها ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ انظُرُونَا﴾ أبصرونا أي أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ارْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل هو سور الأعراف ﴿لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّى جَا أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان. إن الله تبارك وتعالى ذكر أن المنافقين يخادعونه وهو يخادعهم أي يكافئهم على المخادعة. عندما قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس حقا عندهم، سلموا من سيف الشارع ما قتلوا وسلمت أموالهم ولكن هذا مدة حياهم، سيموتون وسيبعثون، فإذا بعثوا وأرسل الناس على الصراط الكفار يجدون الصراط ظلمة شديدة لا يقدرون على المشي عليه فيسقطون في النار، ومن قال لا إله إلا الله استنار أمامه، فالمسلمون

يسلكون الصراط ونور لا إله إلا الله محمد رسول الله أمامهم، وعن أيمانهم وشمائلهم وخلفهم، والمنافقون كذلك قالوها، سبق لهم نور أيضا حتى دخلوا الصراط فطفئ نور المنافقين لأنهم قالوها باللسان فقط وما وصل إلى القلب فصاروا يرجعون يسقطون في النار وينادون المؤمنين ارجعوا وراءكم حتى نقتبس من نوركم لأن أنوارنا طفئت[1]. قيل لهم «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» ارجعوا إلى الدنيا لتطلبوا النور هنالك. هؤلاء أهل النار خدعوا الله وخدعهم. لما استنار لهم الطريق فوق الصراط ظنوا أنهم غبنوا وأنهم وجدوا مرادهم ولكن انطفأ نورهم نعوذ بالله ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزلت في الصحابة كانوا أكثروا المزاح حتى صاروا كأبناء الدنيا لكثرة المزاح والحديث والضحك ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ الزمن ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ اعْلَمُواْ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم يردها إلى الخشوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدالة على قدرتنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ سيذكر الصدقة حتى نظن أن لا قربة إلا الصدقة «إن المصدقين»

---

1 – قال السيوطي في الدر المنثور ج53/8: أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم سترا منه على عباده وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: انظروا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا، فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا.

المتصدقين من الرجال ﴿وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ اللاتي تصدقن من النساء ﴿وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد دفعوا الصدقة عن طيب نفس، من أطيب مال، ابتغاء وجه الله، هذا هو القرض الحسن ﴿يُضَاعَفُ﴾ قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ تزيين ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الاشتغال فيها وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ الزراع ﴿نَبَاتُهُ﴾ الناشئ منه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ أحمر ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ فُتاتا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الدنيا هكذا الإنسان يولد في الدنيا وهو يلعب في سن الصغر إلى سبع سنين لعبا، لعب الصغير ليس فيه شهوة ولا شيء، يتحرك في شيء لا يعرفه، وإذا بلغ سبع سنوات يشتغل باللهو وهو له فيه شهوة، وإذا بلغ واحدا وعشرين سنة يصير شابا يشتغل بالتزين يحب الزينة والخيلاء "وتفاخر بينكم" إذا بلغ ثمانا وعشرين سنة يحب الفخر. سبع سنوات أخر يحب التكاثر في الأموال والأولاد فيبلغ خمسا وثلاثين سنة، فإذا بلغ خمسا وثلاثين سنة ينبغي أن يترك اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد ويتجه إلى ربه، هذا بلغ أشده لاسيما إن بلغ أربعين سنة فهو كزرع حان حصاده وأحوال الدنيا لا تساوي شيئا في الآخرة. قال علي كرم الله وجهه: الناس يشتغلون بالدنيا ومرادهم فيها خمسة أشياء: المأكل والمشرب والمركب والملبس والمنكح. قال: أحلى ما يأكل الإنسان العسل والعسل غائط ذبابة فقط، والشراب أعز ما يشرب الماء يستوي فيه الإنسان والبهائم والطيور والوحوش

كلهم يشرب الماء، والمركب أغلى ما يركب الجواد وعلى ظهره قتل كثير من الرجال، والملابس أحسنها الحرير وهو كذلك غائط دودة فقط، والمنكح مبال في مبال[1]. أي شيء من هذا يساوي ما عند الله تبارك وتعالى؟ لا تحول هذه الأشياء التي ليست بشيء بين العبد وبين ربه.. ذكر القرآن أن هذه الأشياء في الدنيا مثالها مثال غيث مطر نزل فأخرج النبات فبعد ذلك ييس النبات وصار مصفرا تذروه الرياح، ومع ذلك في الآخرة عذاب شديد لمن آثرها على طاعة الله تبارك وتعالى ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثرها عليها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ والإنسان إذا عَمَّر آخرته أحب الانتقال إلى الله تبارك وتعالى ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2]. كان ملك من الملوك الجبابرة أراد سفرا فقال: آتوني بلباسي فكلما أتوه بلباس حقره ورده وقال: آتوني بأحسن من هذا، آتوني بأحسن من هذا حتى أتوه بأحسن ما يلبس فلبسه وقال آتوني بمراكبي كلما أتوه بمركب

1- نقل القرطبي عن علي رضي الله عنه قال لعمار: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها. الجامع لأحكام القرآن ج255/17. وقد تقدم تحقيقه من حاشية الصاوي ج174/1 في الدرس 8.

2 - حديث صحيح متفق عليه، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (6508). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (4848). تقدم في الدرسين 32 و47.

حقره ورده حتى أتوه بأحسن المراكب عنده فركب، فنفخ الشيطان في قبله فتكبر من الكبر ما لم يقع لأحد قبله فصار يمشي كأنه مجنون تكبرا، فعرض له شخص في الطريق قال له: لي إليك حاجة، قال: أما تعرفني؟ قال: نعم أنا لي إليك حاجة. قال: حتى أصل إلى المحل الذي أقصد. قال: لا، هنا. قال: أقول لك لا لا أنا مِلك لا يمكن أن تناجيني هكذا. قال أنا أقول لك كلمة خفيفة فقط. قال: قل، قال له في أذنه: أنا ملك الموت جئت لآخذ روحك. قال: لا، أرجعُ إلى منزلي وأستعد، لا، انتظرني. قال: لا، فقبض روحه هنالك. وسار ولقي أحدا من أولياء الله فقال له: لي إليك حاجة. قال: قل لي. قال: أنا ملك الموت. قال: مرحبا طالما انتظرتك واستعجلتك. ما تقول؟ آخذ روحك؟ قال: نعم خذ. قال: أقدر أن أمهلك فتقضي كل ما تريد من حوائجك. قال: ألك ذلك؟ قال: نعم. قال: ليس لي أي حاجة ولكن إن كان لك شيء من الإمهال أمهلني أتوضأ وأصلي ركعتين، وفي السجود اقبض روحي هنالك. الفرق بين الرجلين «وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور سابقوا إلى مغفرة من ربكم» ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر الله تبارك وتعالى عباده بالمسابقة، القرآن يأمرنا بالمبادرة والمسارعة "سارعوا" والمسابقة "سابقوا" هذا لم يقبل التسويف ولا التأني ولا الهوينى، بل الجد، المسابقة من يسابق غيره ويحب أن يسبقه ويخاف أن يسبقه الغير، هكذا الأمر، (عليكم بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[1] «جنة عرضها كعرض السماء والأرض» خاطب بقدر عقول الناس أن ما يعلم الناس

1 - أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة). صحيح البخاري: الإيمان/ باب الدين يسر (39).

أعظمه السماوات والأرض، وإلا فموضع سوط العبد في الجنة خير من الدنيا وما فيها[1] ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ نخلقها. كذلك النعمة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هين على الله أن يفعل مثل هذا فعل ذلك وأخبر به ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ﴾ لكي لا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ الكل بقدر الله تبارك وتعالى (ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك)[2] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على

---

1 - أخرج البخاري عن حميد قال وسمعت أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب الحور العين وصفتهن (2796).

2 - طرف من حديث أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن . الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة / ذكر الكلام بين ابن عباس ومعاوية في استلام الركنين (6355). وقد تقدم تخريجه في الدرس22 من مسند أحمد عن حديث زيد بن ثابت: مسند الأنصار/ باب حديث زيد بن ثابت (20626) وفي الدرس 28 من سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت: كتاب السنة/ باب ما جاء في

الناس ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به لهم وعيد شديد جوابه محذوف ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ دائما يقارن بين الكتاب والميزان، لأن الكتاب به الهداية والميزان به القسط الذي هو العدل؛ لولا الكتاب ما عرفنا الحلال ولا الحرام، ولولا الميزان لوقع التغابن المؤدي إلى العداوة والبغضاء، فنعمة الميزان كبيرة بعد نعمة الكتاب ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أنزل الله تبارك وتعالى الحديد. من نعمه تبارك وتعالى أن أوجد الحديد ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كاد أن لا يوجد عمل في الدنيا إلا بواسطة الحديد أو بما صنع من الحديد. فالله أنزل الحديد بكثرة في الدنيا، لأن الناس محتاجون إليه، والله تبارك وتعالى من كمال رحمته أن كل ما اشتدت حاجة الناس إليه يكثره وييسره، وكل ما قل احتياج الناس إليه يكون عزيزا غاليا. فالناس أحوج ما يحتاجون إليه هذا الهواء الذي يتنفسون به. لو انقطع هذا الهواء لمات كل إنسان في أسرع وقت، فالتنفس بالهواء ليس دونه شيء لا تطلبه ولا تتكلف شيئا أنت على أي حال مقابل للهواء تتنفس كيف شئت، ولا يوجد ملِك جبار يبيع الهواء للناس أو يجعل عليه ضريبة لأنه شيء لا غنى للناس عنه. وبعد الهواء الماء. الناس أحوج إلى الماء بعد الهواء حاجتهم إلى الهواء أشد من حاجتهم إلى الماء، لأن الماء تقدر أن تصبر عنه أوقاتا، فلهذا صعب الماء قليلا، لابد أن تحفر بئرا وترِد وتتناول وتشرب، ولكن الماء أيضا سهل رخيص كثير، وبعد هذا الحديد. لا

الرضا بالقضاء (4078)، وفي الدرس34 من مستدرك الحاكم عن ابن عباس: كتاب معرفة الصحابة / ذكر الكلام بين ابن عباس ومعاوية في استلام الركنين (6355).

تجد عملا إلا وفيه الحديد. أمهات الحرف أربع: الزراعة والحياكة والبناء والسلطنة. هذه أصل الأعمال كلا؛ الزراعة لأن الإنسان لابد له من طعام "وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام" فلهذا لابد من الزراعة والزراعة لا تمكن إلا بالحديد، بالحديد تحرث الأرض وتقلب وتلقي البذر وتنقي ما حول النبات، فإذا حان حصاده لابد من حديد، فإذا حان درسه وطحنه لابد من حديد أو شيء صنع بالحديد، فإذا أرادوا الطعام لابد من عجن وخبز كل هذا لابد فيه من الحديد. وبعد الزراعة الحياكة، فالإنسان ليس كالبهائم يمشي متجردا لابد له من ستر، فإذاً لابد من الحياكة النسج. النسج لا يمكن إلا بالحديد. وبعد هذا البناء، البنّاء والنجّار كلاهما لابد له من الحديد. و لم البناء؟ لأن الإنسان لابد له من بيت يسكن فيه، لا يسكن في الفلاة كسائر الحيوانات. والسلطنة لابد منها، لأن الإنسان لا يمكنه أن يعيش منفردا، لابد من التمدن، لابد من الانتماء لجماعة في قرية، فإذا اجتمع جماعة لابد من ظلم بعضهم لبعض، ولابد لهذا الظلم من رافع، وهذا يقتضي سلطنة. فالسلطان لا يمكن أن يكون سلطانا إلا بالحديد، وكل سلاح من الحديد، فلما كان الحديد في الدرجة الثالثة من احتياج الخلق إليه خلقه الله بكثرة ويسره تيسيرا، كل أحد يقدر أن يشتري منه ما شاء بخلاف الذهب. لو لم يكن الذهب في الدنيا ما ضر بالناس، فلهذا طالب الذهب كأنه مترَفه متكبر، فجاء الذهب صعبا عزيزا غاليا. هذه القطعة من الحديد تشتريها لحراثتك. لو أردت أن تشتري قدرها من الذهب لعلمت أن الله يسر الحديد جدا. هكذا كل شيء نحتاج إليه بكثرة وبشدة ييسره الله تبارك وتعالى، ونحن أحوج ما نحتاج إليه إلى رحمته تبارك وتعالى، عسى أن يؤديها لنا بكثرة، قال «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ بإنزال الحديد الذي منه القوة، علم الله

من ينصر دينه بآلات الحرب في الجهاد وينصر رسله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها. من ينصر الله إنما يطلب منه النصر فقط.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان كلها نزلت في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أولاد إبراهيم فيهم المهتدون ولكن أكثرهم فاسقون ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ واحدا بعد واحد ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ آخر الأنبياء قبل محمد ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ عيسى كان في قلبه رأفة ورحمة شديدة ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية ما أنزلها الله في الإنجيل، إنما ابتدعوها من قِبل أنفسهم فلهذا ضاعت، لا رهبانية في الإسلام، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أول إنشائهم للرهبانية، قصدهم طلب رضوان الله تبارك وتعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ولكنهم غيروا وبدلوا، ما رعوا الرهبانية حق رعايتها، كفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم. والذين بدلوا واتخذوا دين ملكهم هو دين عيسى هم الذين بقوا في الضلالة إلى يومنا هذا كل وقت يغيرون ويبدلون ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الذين آمنوا منهم بقوا على دين عيسىٰ، هم لما رفع عيسى افترقوا أربع فرق. نسطورية وملكانية ويعقوبية وإسرائيلية[1]. الإسرائيلية فقط على دين عيسى.

1 - تقدم في الدرس 14 نقلا عن القرطبي ج6/ ص24

ونسطورية تقول إن الإله ثلاثة. ملكانية تقول إن عيسى ابن الله. يعقوبية تقول إن عيسى هو الله فضلُّواْ جميعا. والإسرائيلية التي بقيت على أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها كان من بقيتهم النجاشي الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى ﴿اتَّقُواْ اللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالنبيين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّئَلاَّ يَعْلَمَ﴾ أعلمكم ذلك ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَّشَاءُ﴾ فيؤتي المؤمنين أجرهم مرتين ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

الدرس الخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري　　لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة　　تأتي لنـــا بالظفـــر

سورة المجادلة

مدنية ثنتان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت في خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت، كان أوس بن الصامت في عقله خفة وبه لمم، لمم ليس معناه الجنون، لو كان الجنون لما وقع الظهار، ولكن خفة وميل إلى النساء، وكانت خولة جميلة دخل عليها زوجها ليلا وهي تصلي فراعه جمالها عندما سلمت راودها عن نفسها وهي في أثناء صلاتها فامتنعت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، وبعد ذلك ندم على ذلك وكان الظهار هو الطلاق في الجاهلية وفي بداية الإسلام، أشد الطلاق، إذا أراد الإنسان أن يطلق أشنع طلقة يقول لزوجته: أنت علي كظهر أمي. فلما قال ذلك ذهبت خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله إن أوسا تزوجني صغيرة واستولدني حتى ولدت أولادا كثيرا والآن لما ذهب شبابي وكبرت سني طلقني، قال لي أنت علي كظهر أمي، ولي

أولاد إن ضممتهم إلى نفسي جاعوا، ما عندي شيء، وإن تركتهم مع أبيهم ضاعوا، فهل ترى لي من فرج؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما رأيتك إلا حرمت عليه). قالت: لا يا رسول الله، لي صبية إن تركتهم مع أبيهم ضاعوا، وإن ذهبت بهم جاعوا. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما رأيتك إلا حرمت عليه) وفي أثناء ذلك تتضرع إلى الله تبارك وتعالى يا رب أشكو إليك فقري وفاقتي وصبية إن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا وإلي جاعوا يا رب. ففي أثناء ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأخذه في حالة نزول الوحي فنزلت عليه هذه الآيات[1] ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في حال زوجها المظاهر منها ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحْدتَها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمتهم إليه ضاعوا وإليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم ﴿الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ يظاهرون ﴿مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ في التحريم ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ إلا اللواتي ولدنهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ الرجال بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ قول الرجل لزوجته أنت علي كأمي زور ومنكر من القول ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة ﴿وَالَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ على الزوج أن يعتق رقبة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ بالوطء

---

1 – أخرج ابن ماجه في سننه عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله". سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق /باب الظهار (2053).

﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ من قبل أن يتماسا ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نزلت الكفارة للمظاهر فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم أوسا قال له تقدر أن تعتق رقبة؟ قال لا، قال: أو تصوم شهرين متتابعين؟ قال لا، إن لم آكل في اليوم مرتين كل بصري، لا أقدر أن أرى شيئا. قال: أتطعم ستين مسكينا؟ قال: ما عندي شيء. أعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فطلب هو خمسة عشر أخرى فأطعم ستين مسكينا، فحلت زوجته له، هذا حكم الظهار. فالمظاهر الأفضل له أن يعتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، وإن لم يجد فإطعام ستين مسكينا. ومن ضعف عن الصيام بأي حال من الأحوال فيجوز له أن ينتقل إلى الإطعام بدليل أن المكفر المفتقر لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: تقدر أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، أنا من الصيام أُتيت. هو صام يوما ولم يصبر حتى واقع امرأته في النهار قال لا يمكنني أن أصوم شهرين متتابعين. فمن قوي شبقه[1] وشهوته حتى لم يصبر على هذه المدة يجوز له أن ينتقل إلى إطعام ستين مسكينا لكلٍ مدّ، وإن دفع ستين مدا لمسكين واحد لم يجز عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة يجزي، لأن الله أمر بإطعام ستين مسكينا فإن أطعم مسكينا ستين مرة فيجزي عند أبي حنيفة، فهو نظره إلى الإطعام والأئمة

1 – في اللسان لابن منظور: شبق الشبق شدة الغلمة وطلب النكاح يقال رجل شبِق وامرأة شبِقة وشبق الرجل بالكسر شبقا فهو شبق، اشتدت غلمته وكذلك المرأة وفي حديث ابن عباس: أنه قال لرجل محرم وطئ امرأته قبل الإفاضة شبق شديد.

الباقون قالوا لا يجزي هذا، ومعلوم أن نفع ستين مسكينا أفضل من نفع مسكين واحد. فالكفارة أفضلها عتق رقبة لأن من أعتق رقبة، الرقبة فيها كل عضو في المعتِق فكل عضو كفارة لعضو، فإن لم يجد هذا فصيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا هذا حكم الظهار. ففرج الله على المرأة، علم من هذا أن العبد إذا انقطع رجاؤه من كل مخلوق وتعلق بالحق تبارك وتعالى فرج الله عليه. إن خولة لما أجابها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها حرمت على زوجها توجهت إلى الله تبارك وتعالى واشتكت فسمع الحق تبارك وتعالى شكواها ففرج عنها. كان عز الدين بن عبد السلام يدرس في مجلسه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق وآلى وظاهر وراجع كل هذا فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هناك تلميذ حاذق رجع إليه في الليل وخلا به وقال له يا أيها الشيخ أنا سمعتك تقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج وطلق وآلى وظاهر فأنا أظن أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ظاهر. قال له: ما الدليل على ذلك؟ قال قوله تعالى: «وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا» أظن أن هذا لا يمكن أن يصدر من الرسول صلى الله عليه وسلم. فتفكر الشيخ ورجع إلى قول التلميذ وعلم أن الظهار من النبي صلى الله عليه وسلم ما يمكن لقوله تعالى «ليقولون منكرا من القول وزورا» هذا لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم. كان عمر في خلافته يسير معه الجيش وهو راكب حمارا وحوله عظماء الصحابة فتلقته هذه المرأة وهي عجوز وقالت له: قف يا عمر فوقف، فقالت له: اتق الله يا عمر واحمد الله تبارك وتعالى كنت صغيرا تدعى عميرا وبعد ذلك يقال لك عمر والآن يقال لك أمير المؤمنين، اتق الله يا عمر وأعدل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فصارت المرأة تعظ عمر، فوقف عمر وقوفا طويلا فتعجب الناس. قالوا يا أمير المؤمنين هذه العجوز توقفك هذا الوقوف الطويل في

الشمس مع المسلمين. قال: أما تعرفون هذه المرأة؟ والله لو أوقفتني من الفجر إلى المغرب لا أزيد إلا أن أؤدي فريضتي وأرجع إليها، هذه المرأة التي سمع الله قولها من فوق سبع طباق، هذه خولة بنت ثعلبة التي قال الله في حقها "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" هذه لو أمسكتني اليوم كله لا أذهب عنها إلا لأداء صلاتي[1].

«ذلك» التخفيف في الكفارة «لتؤمنوا بالله ورسوله» خفف الله على المؤمنين ليؤمنوا بالله ورسوله لأنه لو كلفهم فوق ما يطيقون لأخل ذلك بإيمانهم، والكفارة إذا ظاهر الرجل من المرأة وأراد أن يراجعها تجب عليه الكفارة ويجبر عليها وتمنع المرأة من مقاربته قبل التكفير، ولا توجد كفارة يجبر عليها الإنسان إلا هذه الكفارة

---

1 - جاء في ترجمة خولة بنت مالك بن ثعلبة في الإصابة: روى خليد بن دعلج عن قتادة قال خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا بامرأة برزة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام فقالت هيها يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تروع الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت فقال الجارود قد أكثرت على أمير المؤمنين أيتها المرأة فقال عمر دعها أما تعرفها هذه خولة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات فعمر أحق والله أن يسمع لها. الإصابة في تمييز الصحابة: ترجمة خولة بنت مالك بن ثعلبة. وفي أحكام القرآن لابن العربي قوله: روي أن خولة بنت ثعلبة جاءت إلى عمر بن الخطاب وهي عجوز كبيرة والناس معه وهو على حمار قال فجنح إليها ووضع يده على منكبها وتنحى الناس عنها، فناجاها طويلا، ثم انطلقت فقالوا يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز. قال: أتدرون من هي؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فوالله لو قامت هكذا إلى الليل لقمت معها إلى أن تحضر صلاة وأنطلق لأصلي وأرجع إليها. ابن العربي في أحكام القرآن ج4/ 1746-1747.

كفارة المظاهر لأن فيها حق المرأة[1] «وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم» ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ﴾ أذلوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في مخالفتهم رسلهم، عادة الله أن المكذبين لرسل الله وكذلك أوليائه يذلهم الله ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ الله أحصى كل عمل الإنسان ﴿وَنَسُوهُ﴾ هم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذه نزلت في المتناجين، أهل النجوى كانوا يتفرقون فرقا فرقا، يتناجون بعضهم بعضا، في اغتياب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهم المنافقون. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إذا تناجى ثلاثة فالله هو رابعهم ﴿وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ذكر في هذه الآية أن المتناجين إذا جلسوا ثلاثة يكون الله هو رابعهم وإذا جلسوا خمسة يكون الله هو سادسهم، وما ذكر أنه إذا جلس اثنان يكون ثالثهم لأن الله نفى حكم النصارى "إن الله ثالث ثلاثة" "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" ثالث ثلاثة غير مقبول شرعا لأنه موافق لعقيدة النصارى، وإن كان الله ثالث ثلاثة فالشريعة رفضت هذا، فلهذا لم يأت في الآية قال «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم» ولم يقل اثنان إلا هو ثالثهم إبطالا لعقيدة التثليث. وفيه حكمة

---

1 – قال النسفي في تفسيره ج223/4: إذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه، ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأنه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع.

دقيقة أن ثلاثة إن جلسوا إن بقي اثنان منهم يتناجيان بقي واحد منفردا فيكون ذلك مدخلا الشكوك في قلبه فيورثه الوحشة، فجاء الله رابعهم ليكون مع المنفرد الذي ترك وحده. وإذا كانوا خمسة وخلا كل اثنين للمناجاة بقي الخامس ليس معه أحد فيكون الله معه تبارك وتعالى. فكل واحد فالله معه، وإن كان اثنان فالله معهما ولكن لا يقال إن الله ثالث ثلاثة، وإذا كان ثلاثة فهو رابعهم، خمسة هو سادسهم، أقل من ذلك وأكثر أيضا هو معهم. هذه المعية بالذات عند المحققين، وبالعلم عند العلماء وليس بمفهوم، «أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم» ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُواْ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ نهاهم الله تبارك وتعالى عن النجوى وهم دائما يفعلون ما نهوا عنه ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة، نهاهم الله عن ذلك ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ نزلت في المنافقين اليهود، كانوا إذا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يقولون السام عليك، السام معناه الموت. جلس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عائشة فجاء يهودي وقال: السام عليك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وعليك، فقالت عائشة: وعليك الموت ولعنة الله وغضبه، تغيظت عليه فسألها الرسول صلى الله عليه وسلم ما حملها على هذا الغضب؟ قالت: أما سمعت ما قال لك؟ قال لك السام عليك، السام الموت، قال الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا رددت عليه قلت له وعليك ويستجيب الله دعائي ولا

يستجيب دعاءه هو[1] فنزل ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم السام عليك ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ إن قالوا هذا في حق النبي وذهبوا بعيدا يقولون هو نبي الله ونحن نؤذيه ولا يصيبنا شيء قال تعالى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي النار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾ أنتم ﴿فَلاَ تَتَنَاجَوْاْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعل اليهود والمنافقون ﴿وَتَنَاجَوْاْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ هذا التناجي كلا جاء من قبل الشيطان بغروره ﴿لِيُحْزِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لأنهم إذا رأوا المنافقين يتناجون في تدبير المكائد عليهم ذلك يحزن ضعفة القلوب منهم ﴿وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجْلِسِ﴾ مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، كان الناس يتنازعون في طلب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول هو (ليلني ذوو الألباب والأحلام منكم ليحملوا عني)[2] فكان في مجلسه كبراء الصحابة

---

1 - أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم قال: (مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في). صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا (6030).

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثلاثا وإياكم وهيشات الأسواق). صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب تسوية الصفوف وإقامتها (655). ورواه الترمذي في سننه وقال في تعليقه عليه: وقد روي

يجلسون قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم والكل يحب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم. إذا جاء أحد وطلب أن يفسح له فسح له وبعض الناس يمتنع من أن يفسح للداخل، الذي ينبغي أن كل من دخل يفسح له ولا يقوم غيره ليجلس هو بل "فافسحوا يفسح الله لكم" وقيل إن عليا دخل في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفسح له أحد ففسح له أبو بكر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يعرف الفضل من الناس إلا ذووه)[1] الفضل لا يعرفه إلا أهل الفضل والآية خطاب لهم «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ» توسعوا «فِي الْمَجَلِسِ» مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه مجلس الذكر ومجلس العلم والمجلس في الجهاد ﴿فَافْسَحُواْ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة أو في الدنيا، فمن فسح لأخيه الداخل يتسع المحل ما داموا يفسح بعضهم لبعض فالمجلس يسعهم ببركة رحمة الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُواْ﴾ قوموا إلى الصلاة أو غيرها من الخيرات أو الجهاد ﴿فَانشُزُواْ﴾ وهذا لا يقتصر على ظاهر الآية فقط في التفسح في المجلس بل في كل إدخال السرور إلى قلب المسلم، وفي كل إعانة لمسلم وفي كل مساعدة (الله في عون العبد

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعجبه أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه. سنن الترمذي: كتاب الصلاة/ باب ما جاء ليلني منكم أولو الأحلام والنهى (211).

1 - (إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء: حرف الهمزة مع الميم (655) وقال معلقا: رواه العسكري في الأمثال بهذا اللفظ عن أنس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ أقبل علي رضي الله عنه فسلم ثم وقف ينظر موضعا يجلس فيه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في وجوه أصحابه أيهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال ههنا يا أبا الحسن فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر فعرف السرور في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا أبا بكر إنما يعرف الفضل- الحديث، وهو عند الديلمي في مسنده عن أبي سعيد رفعه بلفظ: (يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لذوي الفضل أهل الفضل).

ما دام العبد في عون أخيه)[1] فمن سعى مع أخيه في حاجته قضيت أو لم تقض فإن الله تبارك وتعالى يقضي حاجته في الدنيا وفي الآخرة وهذا إلى الأبد مستمر إذا فسحتم لإخوانكم في أي شيء فإن الله تبارك وتعالى يفسح لكم في الدنيا وفي الجنة ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك، إن المؤمنين لهم درجات عاليات يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ ويرفع الذين أوتوا العلم ﴿دَرَجَاتٍ﴾ المؤمنون درجاتهم عالية جميعا، وأهل العلم منهم يخصهم الله بأعلى الدرجات يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)[2] والعلم مهْما ذكر في القرآن فالمقصود العلم النافع، العلم الذي تقارنه خشية الله وطاعته، العلم المتعلق بمعرفة الله ومعرفة دينه، هذا هو العلم النافع، وقد أطنبنا في ذكر فضائل العلم

---

1 - طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4867). وقد تقدم في الدرس 39.

2 - أخرج الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير) سنن الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2609).

في آية "وعلم آدم الأسماء كلها" فالعلماء هم ورثة الأنبياء[1] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنا معشر الأنبياء لا نورث)[2] نفى الإرث بالانتساب وقال (العلماء ورثة الأنبياء). أثبت الإرث بالاكتساب وجعل آدم أول خليفة، ولما انتقد الملائكة خلافة آدم بقولهم "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" علم الله آدم الأسماء كلها، فلما علِم آدم ولم تعلم الملائكة قامت الحجة على الملائكة بثبوت خلافة آدم بالعلم «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم" في المرتبة الثالثة "إنما يخشى الله من عباده العلماء" يقول علي: عليكم بالعلم فإن العلم خير من المال. الناس يتنافسون في الأموال والمال ينتقص بالإنفاق، والعلم يزداد بالإنفاق. والمال يتعبك بأنك حارسه دائما والعلم هو حارسك والمال تفارقه عند الموت والعلم يصاحبك في القبر وفي المحشر وفي الصراط إلى أن تدخل الجنة فالعلم خير من المال[3]. العلماء أحياء وإن ماتوا

---

1 - (العلماء ورثة الأنبياء) طرف من حديث أبي الدرداء أخرجه الترمذي في سننه (2606) وأبو داود (3157) وأورده البخاري في صحيحه في ترجمة باب: العلم قبل القول والعمل. وقد تقدم في الدروس: 10، 13، 19، 23، 24، 32، 36و42.

2 - أخرج البخاري عن عائشة ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا نورث ما تركنا صدقة) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة (3307)، وفي صحيح البخاري: كتاب الفرائض/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة (6730) وجاء في رواية لأحمد عن أبي هريرة: (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مئونة عاملي ونفقة نسائي صدقة) مسند أحمد: مسند المكثرين/ (9593).

3 - نقل الإمام الغزالي في الإحياء ج1/ ص7 عن علي رضي الله عنه قوله لكميل: يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق. تقدم في الدرسين 3 و42.

والجهلاء أموات وإن بقوا في قيد الحياة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ سبب نزولها أن جماعة أكثروا المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أتعبوه وكان لا يدعوه أحد إلا وأجابه ولا تستوقفه أمَة إلا ووقف لها صلى الله عليه وسلم، وكل من أخذ أذنه للمناجاة أطاعه صلى الله عليه وسلم من كرم أخلاقه. والأغنياء يكثرون المناجاة معه حتى غلبوا على الفقراء في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية فلما نزلت ضن الأغنياء عن هذه الصدقة والفقراء ما وجدوا شيئا قال علي هي آية ما عمل بها غيري[1]، نزلت وعندي دينار فبعته في عشرة دراهم فدخلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنفقت درهما ثم دخلت وأنفقت درهما حتى نفد الدينار فما عمل به أحد فنسخت. فقال علي إن الرسول صلى الله عليه وسلم استشاره قال: ما تراني أجعل قدر هذه الصدقة، ترى أن أجعلها دينارا؟ قال علي: لا. قال: درهما؟ قال: لا، الناس لا يقدرون. قال: كم؟ قال: حبة من شعير. قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنك لرجل زهيد[2] مسكين ليس عندك شيء فلهذا قدرت الصدقة بهذا المقدار

---

1 - عن علي قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى: "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة" الآية، قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت: فلم يعمل بها أحد فنزلت: "أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات" الآية. مستدرك الحاكم: كتاب التفسير/ باب تفسير سورة المجادلة (3840).

2 - أخرج الترمذي في سننه عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ما ترى دينارا؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد، قال: فنزلت "أأشفقتم أن

على قدر فقرك. فنسخت لم يعمل بها إلا علي ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أطهر لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم فلا عليكم. ثم نسخ بقوله ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ خفتم ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الأغنياء يخافون على غناهم من هذا والفقراء ما عندهم شيء ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ دوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزل في عبد الله بن نبتل كان منافقا شريرا أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يدخل عليكم رجل لسانه لسان شيطان وقلبه قلب شيطان، فدخل فبش رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه فقالت عائشة: سبحان الله، قلت في الرجل ما قلت وأظهرت له البشاشة ما هذا؟ قال: (إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم)[1] فنزلت هذه الآية[2] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ﴾ هم المنافقون كعبد الله بن نبتل

تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية" قال فبي خفف الله عن هذه الأمة. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة المجادلة (3222).

1 - جاء في صحيح البخاري في باب المداراة مع الناس من كتاب الأدب قوله: ويذكر عن أبي الدرداء (إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم). وأخرجه العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: (إنا لنبش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم).

2 - أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين تولوا قوما" الآية قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل وكان رجلا من المنافقين. الدر المنثور ج8/85 وفي تفسير أبي السعود ج8/221: روى أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه

وأشباهه ﴿قَوْمًا﴾ يتولون اليهود أعداء الرسول ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّاهُمْ﴾ المنافقون ﴿مِنكُمْ﴾ ليسوا من المؤمنين في شيء ﴿وَلاَ مِنْهُمْ﴾ وليسوا من اليهود أيضا بل هم مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ قولهم إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي ﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها المؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الجهاد فيه بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ من الإغناء ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ إذا جاءوا يوم القيامة فعلوا كعادتهم يحلفون لله أنهم مؤمنون كما كانوا يفعلون للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كانوا يحلفون للناس، والناس لا يطلعون على ما في قلوبهم فأرادوا أن يفعلوا بالله ما فعلوا بالناس ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كذبهم الله تبارك وتعالى لأنه يعلم ما في سرائرهم ﴿اسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ هم أتباعه ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خسروا في الدنيا والآخرة، فقدوا نعيم الجنة وصاروا إلى نار مؤبدة عليهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين من خالف الله ورسوله فمآله إلى الغلبة سيُغلب ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى في الأزل ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي﴾ الله هو الغالب ورسله وأنصار

وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا.

رسله بالحجة عندما تكلموا وبالسيف عندما وقع الجهاد ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء. ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَاءَهُمْ﴾ هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة: في أبي عبيدة بن الجراح قتل الجراح أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق دعا عبد الرحمن ولده للبراز يوم بدر فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم متعني بنفسك ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير أخوه الشقيق ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة والوليد وهم عشيرتهم أبناء عمهم، وعمر بن الخطاب قتل العاص بن هشام خاله دنية شقيق أمه حنتمة بنت هشام[1]، فقال الله تبارك وتعالى «لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ» يصادقون «مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» من كفر بالله وبرسوله، لا تجد مؤمنا بالله يحبه بقلبه وإرادته «وَلَوْ كَانُواْ ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» الدين هو الراجح عند المؤمنين، جانب الدين مقدم عند المؤمنين، هؤلاء هم أخص القرباء إذا كانوا كفارا، أعداء الله ورسوله، فالمؤمن يرفض قرابتهم ويتمسك بدينه فلا تجده

---

1 - روى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: "ولو كانوا آباءهم" يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد "أو أبناءهم" يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر "أو إخوانهم" يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد "أو عشيرتهم" يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة. تفسير البغوي ج312/4. وللقرطبي مثله ج307/17.

يصادقهم أبدا. ما معنى هذه الآية؟ فقد جوز القرآن كما سيأتي في سورة الإنسان الآن معاملة الكفار ومعاشرتهم. ولكن هذه الموادات التي حرمت هي الإرادة القلبية النفع للكافر في دينه ودنياه. وإلا فمعاملتهم من غير محبة قلبية، فالشريعة ترخص في هذا، أما المحبة فلا تمكن من مؤمن بالله أن يحب كافرا بالله أبدا ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أكرمهم بكرامات، أثبت في قلوبهم الإيمان هذه واحدة، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أنزل عليهم نورا ربانيا يؤيدهم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ والثالثة هم من أهل الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الرابعة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ الخامسة ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذا في مقابلة "أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون" هؤلاء حزب الله «أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

سورة الحشر

مدنية أربع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نزلت في بني النضير، الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة وجد فيها اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير هاجروا من أرض الشام إلى المدينة لما قرأوا في الكتب أن النبي الذي يخرج في آخر الزمان هذا مهاجره، فجلسوا هناك ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به وكذبوه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى للمدينة تعاهد معهم

أنه لا يحاربهم ولا يحاربونه، ولا ينصر عليهم ولا ينصرون عليه، وأن بينهم التعاون إذا وجبت دية على المؤمنين أعانهم اليهود وإذا وجبت دية على اليهود أعانهم المسلمون، فكانوا كذلك فلما وقعت غزوة بدر فرح اليهود، قالوا هذا هو النبي الذي ذكر في التوراة وأيدوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقعت غزوة أحد وانهزم المسلمون، قالوا هذا ليس بنبي، لو كان نبيا ما خذله الله هكذا. وركب كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ومالك بن الصيفي هم سادتهم أحبارهم الذين يشرعون لهم غير شريعة الله في أربعين من ساداتهم إلى أبي سفيان وبايعوه على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم وسجدوا للجبت والطاغوت، وهم علماء التوراة، وفضلوا الكفر على دين النبي صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إلى المدينة[1]. فلما خرج الأحزاب لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم، قريش والأحابيش وهوازن وغطفان انضمت قريظة والنضير معهم لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم. وهزم الله الأحزاب ورجعوا إلى بلادهم يجرون أذيال الخزي والهوان، بقي اليهود في المدينة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

---

1 - جاء في تفسير البغوي ج313/4 في سورة الحشر: قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة..

بيته فدخل بيت زوجه أم سلمة يغتسل حتى غسل نصف جسده صلى الله عليه وسلم، مر جبريل وقال: أنتم المؤمنون وضعتم السلاح، أما الملائكة فما وضعوا السلاح بعد. فقال: الرسول صلى الله عليه وسلم: إلى أين؟ قال: إلى بني قريظة. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا ينادي في الناس: لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة[1] فساروا إلى بني قريظة، ما صلوا العصر إلا بعد العشاء امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أوّلَ أنه مقصوده المبادرة فقط فصلوا وذهبوا ولحقوا بالناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الكل أداء. من صلى قبل خروجه ومن صلى بعد العشاء كلهم أداء ليس قضاء لأنهم ممتثلون أمر الشارع. فحاصر بني قريظة وفي الليلة الأخيرة تكلم لهم كعب بن أسد وكان سيدهم قال لهم: يا قوم اقبلوا مني النصيحة، هذا هو النبي الذي قرأنا صفته في التوراة، علمتموه كما أعلمه فلنترك الشيطان والنفس، ونذهب ندخل في دينه معه، نسلم في الدنيا وفي الآخرة، قالوا: لا، لا نترك ديننا القديم ونسلك دينا جديدا هذا لا قائل به. قال لهم: إذاً فاقبلوا مني أحد ثلاثة أمور: الليلة ليلة السبت، يعلم الرسول أننا لا نقاتل في السبت بقي هو وأصحابه في راحة نفسد سبتنا الليلة ونأتيه غيلة نصيب منهم، قالوا: لا، لا، لا نترك سبتنا. قال: إذاً نقتل نساءنا وأولادنا الصغار كلا حتى لا يبقى إلا من يرفع السلاح فنقدر أن نقاتل هؤلاء الذين لا يبالون بالموت لأننا لا نلتفت إلى شيء يشوش علينا. قالوا: ما فائدة العيش بعد قتل الزوجات والأولاد؟ هذا لا نقبله، قال: إذاً ما رأيت لكم إلا أن تقبلوا النزول على

---

1 - السيرة النبوية لابن هشام ج192/4.

حكمه على الأقل يحكم ما أراد فينا ونقبله[1]، قالوا: لا نقبل حكم النبي صلى الله عليه وسلم لأنه حكمه غليظ، فأرسل لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: انزلوا على حكمي، قالوا: لا يا أبا القاسم، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل سعدا بن معاذ وكان صديقا لهم في الجاهلية: إن الحرب خدعة اذهب إلى القوم فاخدعهم فجاء وتكلم لهم نصحهم نصائح قبل رجوع الأحزاب فأيقنوا بصداقة سعد لهم وقالوا للرسول لا نقبل حكمك ولكن نقبل حكم سعد فينا. – إذا حكم سعد فيكم شيئا تقبلوه؟ – نعم. أرسل الرسول إلى سعد وسعد ما جاء لقريظة كان به جرح أصابه يوم الخندق فكان يبرأ تارة وينكأ تارة فلما رجع من الأحزاب وسمع قول الرسول لا يحاربونكم إلا إذا جئتموهم أنتم أما هم فلا يأتون بعد. قال يارب إن كانت أيام نبيك صلى الله عليه وسلم وحروبه انقضت فنكئ جرحي هذا الذي أصابني يوم الخندق حتى أموت شهيدا وإن بقي شيء من حروبه فأخرني لها فنكئ جرحه فتخلف عن قريظة. فلما اختار القوم حكمه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فحمل على حمار فجاء فلما وصل إلى الرسول قال: قوموا إلى سيدكم، فقامرا وأنزلوه فقال: سعد احكم في قريظة. قال: حكمي أن يقتل كل من يحمل السلاح منهم، كل رجل يقدر على حمل السلاح يقتل والنساء والصبيان أسارى غنيمة للمسلمين قال: فوالذي نفسي بيده لقد حكمت بالحكم الذي

1 – نقل ابن حجر في شرحه للحديث(4122) عن ابن إسحاق قوله: فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم ويخرجوا مستقتلين ليلة السبت، فقالوا لا نؤمن، ولا نستحل ليلة السبت، وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟.

ارتضاه الله على سبع طباق[1]، فأمضى فيهم رسول الله هذا الحكم فأُخرِج مقاتلوهم فإذا هم ستمائة مقاتل فسلمهم إلى علي فقتلهم جميعا وجعلهم في القليب وأسر الباقون.

أما بنو النضير فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة لا أساكنكم بعد، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق: لا تخرجوا لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتم لننصرنكم، لا تخرجوا فبقوا في حصنهم وامتنعوا من الخروج فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم وحرْق ثلل من أغنامهم نكاية لهم لكي يخرجوا، وأن كل ثلاثة بيوت يشتركون في بعير واحد ويوقرون ذلك البعير بما أمكنهم من مالهم وما سوى ذلك فلبيت مال المسلمين فأخرج النضير بعضهم رجع إلى الشام وبعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى العقيق فتفرقوا فأنزل الله هذه السورة في قضيتهم[2] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

---

[1] - راجع حكم سعد بن معاذ في بني قريظة عند الإمام أحمد في مسنده. مسند أحمد: مسند الأنصار/ 23945.

[2] - قال البغوي في تفسيره: ...ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة .. فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف قالوا يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية قال نعم قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم نأتمر بأمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ... فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نزهه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بنو النضير إنما أخرجهم الله من أرض المدينة ﴿مِن دِيَارِهِمْ﴾ من مساكنهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في الحشر الأول حشروا من المدينة إلى خيبر فطردهم عمر من خيبر فرجعوا إلى الشام، وفي آخر الزمان تأتي نار وتحشرهم إلى المحشر.

هو الذي أخرجهم لأول الحشر ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ﴾ كانوا يعتقدون أن حصونهم تمنعهم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ لم يخطر ببالهم ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ قذف الله في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

أما كعب بن الأشرف فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري أنه يحتال في قتله قال: (من لي بكعب بن الأشرف)؟ وقف على المنبر: من لي بكعب بن الأشرف؟ قال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، قال اقتله. فذهب ورجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له ائذن لي في كلمات أقولها كذبا تمهيدا لقتله قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: لك ذلك. فذهب إلى كعب

من المدينة على ما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك أعطي كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاه ففعلوا وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب يعني بني النضير من ديارهم التي كانت بيثرب قال ابن إسحاق كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان. تفسير البغوي ج313/4

بن الأشرف قال له: ما أتى بك؟ قال له: أتى بي أن صاحبنا يكلفنا بالأموال طلب منا، وأنا أحب أن تسلفني شيئا. فضحك وقال والله لتملنه. قال: لا، نحن دخلنا في أمره والآن ليس لنا إلا أن نصبر وننتظر ما سيؤول إليه أمره، لا يحسن بنا أن نتركه أسلفني فقط. قال له: أعطني رهنا؟ قال: أي شيء؟ قال: ارهن لي زوجتك. قال: مثلك في الجمال لا ترهن له النساء هذا لا قائل به، أنت أجمل الناس وأطيبهم رائحة كيف ترهن النساء إليك، لا يمكن هذا. قال: ارهن لي ولدك. قال: هذا قبيح يعيره الناس غدا إن أباك احتاج ورهنك، هذا غير حسن ولكن إن أحببت أن أرهن لك درعي وسيفي. قال: نعم، آت بهما. فذهب إلى المدينة وتهيأ. أخذ درعه وسيفه وأتى ليلا فإذا كعب قد نام، أغلق داره وهو في غرفة فطلع على السلم فدق عليه الباب، وكانت امرأته كاهنة قالت له: لا تجب من دعاك، سمعت قطرات الدم من صوت هذا الرجل الذي دق الباب. قال: لا هذا صاحبي الأنصاري الذي كلفه محمد ببعض المال فجاء يطلبه مني فطلبت منه رهنا وها قد أتاني بالرهن فقط، وسأخرج إليه فخرج وهم في ظلمة فقال: كعب بن الأشرف؟ قال: نعم. فضربه بسيفه فسقط فصاح: قتلني عدو الله. وكان محمد بن مسلمة قد قفل الباب حتى لا يأتي أحد. فقال: قتلني، قتلني. فاستخفى محمد بن مسلمة في جانب من البيت حتى سمع له حركة فضرب مرة أخرى وضرب وضرب حتى مات، فقطع رأسه وجعله في أخلاطه فنزل فرحا بموته واستعجالا للوصول إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ونسي السلم، فلما أتى للباب سقط على الأرض فكسرت قدمه فصار يحبو حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له قتلت عدو الله هذا رأس كعب بن

الأشرف، ولكن انكسرت ساقي فمسحها النبي صلى الله عليه وسلم فبرئ من حينه[1]. فلما وقع قتل كعب هكذا قذف الله في قلوب اليهود جميعا الرعب، فلما طردهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة خرجوا بأجمعهم ولحق بعضهم بخيبر فلما جاء زمن عمر دعاهم عمر وقال لهم اخرجوا من خيبر. قالوا لا وزوروا كتابا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقرهم في خيبر إلى يوم القيامة فنظر عمر فإذا الكتاب مطبوع بخاتم كأنه خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم وكاد أن يصدقهم في هذا، ولكن نظر في التاريخ، فإذا كاتبه عكرمة بن أبي جهل، عكرمة بن أبي جهل كان من كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن أخيرا، هو ما

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن عمرو سمعت جابرا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله) فقال محمد بن مسلمة يا رسول الله أتحب أن أقتله قال: (نعم) قال ائذن لي فلأقل قال: (قل) فأتاه فقال له وذكر ما بينهما وقال إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني؟ قال: ما تريد، قال ترهنني نساءكم، قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا؟ قال له ترهنوني أولادكم، قال: يسب ابن أحدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح، قال فنعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قال سفيان قال غير عمرو قالت له امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم قال فقتلوه. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (3359). صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب قتل كعب بن الأشرف(4037). وقد أورد ابن حجر في شرحه لهذا الحديث ذكر روايات مختلفة فيها قطع رأس كعب بن الأشرف وإحضاره إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها إصابة ساق أحد رفاق محمد بن مسلمة بذباب سيفه ومسْح الرسول صلى الله عليه وسلم عليها فبرئت.

أسلم إلا في فتح مكة وهذا الكتاب ادعوا أنه كتبه لهم الرسول يوم دخوله المدينة، فنظر عمر فقال كذبتم يا أعداء الله هذا ليس من النبي صلى الله عليه وسلم، عكرمة حقا من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لكن بعد فتح مكة، وهذا مكتوب في أول الهجرة، كذبتم اخرجوا، وأنا تذكرت يوم قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أخرجتم من خيبر ماذا تصنعون؟ قالوا: تلك هزيلة من أبي القاسم. قال عمر: لا كذبتم فطردهم عمر من خيبر أيضا[1] ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأنهم لما يئسوا من النصرة صاروا يفسدون بيوتهم بأيديهم حسدا أن يتملكها المسلمون بعدهم، «وأيدي المؤمنين» يخرب المسلمون وهم يخربون «فاعتبروا يا أولي الأبصار» ﴿وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمين ﴿مِن لِّينَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي خيركم. لما أمر الرسول

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا فقال عمر أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال كانت هذه هزيلة من أبي القاسم قال كذبت يا عدو الله فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك. صحيح البخاري: كتاب الشروط/ باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك (2730). وقد تقدم في الدرس40.

صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل شك بعضهم هل هذا يجوز أم لا يجوز فأذن الله في ذلك. كلُّ ما وقع اليأس من تملُّك المسلمين له فيجوز إفساده من أموال الكفار وما رجوا أن يبقى لهم يجوز أن يقوه ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ الله وليخزي بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود لما اعترضوا قطع الشجر فأباح الله قطعه هذا خزي عليهم ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ نزلت في الغنائم التي غنمت من بني النضير. قال الرسول صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار إن شئتم أن تشاركوا المهاجرين في أموالكم ودياركم وتشاركوهم في الغنيمة فلكم ذلك، وإن شئتم تبقوا على ممالككم ودوركم وتبقى الغنيمة للمهاجرين الذين بقوا ليس عندهم شيء. قال الأنصار: يا رسول الله نحن نخرج من ديارنا نتركها للمهاجرين ونصنع دورا جديدة ونطلق أزواجنا إذا اعتدَّت كل امرأة تزوجها مهاجر ونترك لهم الغنيمة، فوصفتهم الآية "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"[1] فأنزل الله ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه فيختص به النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ كالصفراء

---

1 - قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا" يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره كذلك...، قال: وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم ثم قال إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كان ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار). الجامع لأحكام القرآن ج23/18.

ووادي القرى وينبع ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ﴾ لئلا يكون ﴿دُولَةً﴾ متداولا ﴿بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ إذا بقيت الغنيمة في أيدي الكبراء يكون دولة للأغنياء ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من الفيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ﴾ اعجبوا للفقراء ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ المهاجرون عجب الله منهم لأنهم خرجوا من مكة وتركوا أموالهم وديارهم وعائلاتهم طلبا لرضوان الله ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المهاجرون هم الصادقون في إيمانهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُواْ الدَّارَ﴾ المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ ألفوا الإيمان ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا ﴿مِمَّا أُوتُواْ﴾ مما آتاهم النبي صلى الله عليه وسلم من أموال النضير ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ويوثرون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا محتاجين أولئك وقاهم الله شح أنفسهم ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إن الله تبارك وتعالى مدح المهاجرين والأنصار؛ والرسول صلى الله عليه وسلم لما أخذ أموال بني النضير أخذ بساتينهم، حازها صلى الله عليه وسلم لنفسه وكان يخرج منها نفقة عياله سنة، كل زوجة من زوجاته يعطيها نفقة سنة كاملة[1]، إلا عائشة لقوة توكلها ما كان الرسول صلى الله

---

1 – أخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم. صحيح البخاري: كتاب النفقات/ باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال (5357). وفي حديث آخر اتفق عليه الشيخان عن عمر قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله. صحيح البخاري:

عليه وسلم يقسم لها لأنها تعلم أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أنها واثقة بالله. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر أموال بني النضير وصار يتصرف فيها كما كان يتصرف فيها النبي صلى الله عليه وسلم. فلما توفي أبو بكر أخذها عمر فأتى العباس وعلي إلى عمر ووجدا ستة من المهاجرين منهم عثمان بن عفان، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، دخل غلام عمر وقال: يستأذن ستة من المهاجرين: عثمان وعدّ القومَ، فأذن لهم، ثم دخل وقال: يستأذن العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب. فقال: ادخلا فدخلا وقالا لعمر: جئناك لتسلم لنا مال رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا المال الذي أخذه الرسول صلى الله عليه وسلم من بني النضير مال الرسول صلى الله عليه وسلم. قال العباس: أنا عاصب الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليّ قال إنه يطلب نصيب امرأته فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: أيها النفر الستة أنشدكم بالله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخرج بني النضير من أرض المدينة استولى على أموالهم وكان ينفق على عياله ويقضي حوائج اليتامى من بني هاشم ويزوج من أراد التزويج منهم من هذا المال ويعطي المساكين والفقراء من هذا المال، كان يتصرف فيه صلى الله عليه وسلم هكذا إلى أن لقي الله؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكما أنتما بالله هل هكذا؟ قالا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ذلك صادق بر راشد وأخذ المال وكان يتصرف فيه كما كان يتصرف فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم. أنشدكم بالله هل هكذا؟ قالوا: نعم. أنشدكما أنتما بالله هل هكذا؟ قالا: نعم.

كتاب الجهاد والسير/ باب المجن ومن يترس بترس صاحبه (2904). صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير (3301).

قال فلما مات أبو بكر قلت: أنا خليفة أبي بكر واتخذت المال وكنت أفعل في هذين العامين كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان يفعل أبو بكر. واليوم جئتما كلمتكما واحدة، هذا يطلب نصيبه من ابن أخيه، وأنت تطلب نصيب زوجتك من أبيها. أنا لا أسلم لكما المال إلا أن تأخذاه وتفعلا فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما كان يفعل أبو بكر وكما كنت أفعل أنا. إن قدرتم أن تتولوا هذا العمل الذي كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأنا أسلم المال لكما بذلك. وإن عجزتما أن تقوموا فيه بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وفعل أبو بكر وفعلت أنا فاتركاني أكفكماه. قالا: نقدر أن نفعل كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأنت. فقال: سلّمتُ المال إليكما بذلك الشرط. والنفر الستة شهود. فذهبا، ثم تخاصم العباس وعلي وأتيا إلى عمر: احكم بيننا. فقال عثمان: احكم بينهما أرح أحدهما من الآخر، فإنهما منذ خرجا وخصومتهما شديدة في هذا المال. قال عمر: أنتم الستة تشهدون، رجع إلى الكلام من أوله إلى آخره وتشهدون أنهما جاءا وكَلِمَتهما واحدة يطلبان مني هذا المال وسلمته لهما بشرط أن يقوما فيه كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله هل سلمت المال إليهما بهذا؟ قالوا: نعم. تريدان قضاء مني غير هذا؟ والله لا أقضي فيه بقضاء غير هذا، لا يكون فيه اسم القسم، الرسول صلى الله عليه وسلم قال (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) هذه صدقة الرسول صلى الله عليه وسلم إن قدرتم أن تضعوها مواضعها كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل فقد أرحتماني وإلا فارجعاه

إلي أكفكماه[1]، فأرجعاه. وهذا المال كان حبسا وكان عمر يتورع من أن يضع اسم التقسيم عليه وهو حبس فليبق حبسا فقط سواء بيد عمر أو بيد علي أو بيد

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه قضية نزاع العباس وعلي رضي الله عنهما واحتكامهما إلى عمر رضي الله عنه: قال مالك بن أوس بينا أنا جالس في أهلي حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه حتى أدخل على عمر فإذا هو جالس على رمال سرير ليس بينه وبينه فراش متكئ على وسادة من أدم فسلمت عليه ثم جلست فقال يا مال إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات وقد أمرت فيهم برضخ فاقبضه فاقسمه بينهم فقلت يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري قال اقبضه أيها المرء فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون قال نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفا يسيرا ثم قال هل لك في علي وعباس قال نعم فأذن لهما فدخلا فسلما فجلسا فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بني النصير فقال الرهط عثمان وأصحابه يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر قال عمر تيدكم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس فقال: أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره ثم قرأ وما أفاء الله على رسوله منهم إلى قوله قدير فكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حياته أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا نعم ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك؟ قال عمر ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولي أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عمل فيها أبو بكر والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد جئتني يا عباس تسألني

غيره. هذا هو المال الذي أفاءه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم. ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدا ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ نزلت في المنافقين كانوا يقولون لليهود "لئن أخرجتم لنخرجن معكم" "وإن قوتلتم لننصرنكم" وهذا كذب، قال الله تبارك وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ إلى المنافقين ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي جاءوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ هاربين، وهكذا كما وقع ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ لَأَنتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ في صدور المنافقين ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يخافون المؤمنين أشد من خوفهم لله

نصيبك من ابن أخيك وجاءني هذا يريد عليا يريد نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط نعم، ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فإني أكفيكماها. صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس/ باب(3094). وفي رواية عند النسائي ذكر طلحة ضمن الحاضرين عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير: أنشدكم بالله الذي قامت له السموات والأرض سمعتم النبي يقول: (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة) قالوا اللهم نعم. سنن النسائي الكبرى: كتاب الفرائض/ ذكر مواريث الأنبياء (6266).

تبارك وتعالى، لأن الله يؤخر عذابه، والسيوف قائمة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ لأن المنافقين لا يفقهون أبدا ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يتحصنون بحصونهم ولكن لا يواجهونكم بالسيوف ﴿بَأْسُهُمْ﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة خلاف الحسبان ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ مثلهم مثل الكافرين الذين أهلكوا يوم بدر ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا وفي الآخرة النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، مثلهم أيضا ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ الغاوي والمغوي ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُاْ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا في شيطان مخصوص وإنسان مخصوص. هذه نزلت في برصيصا، برصيصا كان راهبا من رهبان بني إسرائيل في صومعته يتعبد وكان مجاب الدعوة، وكان ملك ذلك الزمان عنده بنت جميلة أصيبت بالجنون، فسمع بالراهب أن دعوته مستجابة فأرسل البنت إلى الراهب ليدعو الله لها الشفاء، وكانت المرأة إذا صرعها الجني تتكشف من لباسها فوقع لها ذلك بحضرة الراهب فدعاه الشيطان إلى مواقعتها فواقعها فحملت منه، فلما حملت أتاه الشيطان قال له مثلك يسمع في الدنيا أنه أحبل امرأة، هذا الموت خير منه اقتلها قبل أن يعرف الناس أنها حبلى وتستغفر الله ويغفر الله لك؛ فقتلها ودفنها حول صومعته، وبعد أيام جاء الشيطان إلى الملك قال له: أرسل إلى الراهب فسله عن خبر بنتك. فأرسل يسأل عن البنت. قال الراهب: إن الشيطان الذي كان يصرعها قتلها، ماتت. فرجع الرسول بالخبر فصدق الملك بهذا الخبر، فجاء الشيطان وقال: لا، لم تمت بسبب صرعها، إنما الرجل أحبلها وقتلها فأرسل المفتشين

يفتشون ففتشوا فرأوا القبر فاستخرجوها فإذا الخبر كما قال الشيطان، حبلى وقتلت. فأرسل الجيش وأخذوا الراهب وأسروه وصلبوه على جذع النخلة ليقتلوه بعد أيام فتظاهر له الشيطان، شيطان اسمه الأبيض، قال له يا برصيصا الآن لا يخرجك مما أنت فيه إلا أن تسجد لي سجدة أشفع لك عند الأمير يطلق سراحك وتتوب إلى الله وتسلم فسجد للشيطان[1]. زنى وقتل النفس وكذب وسجد لغير الله قال الله تبارك وتعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ أي اسجد لي سجدة ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ أي سجد له ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ لما سجد قال له خلاص تم عملي فيك، ﴿إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ الغاوي والمغوي ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الناس على أربعة أقسام: قسم سعيد في لبسة السعادة وقسم سعيد في لبسة الشقاوة وقسم شقي في لبسة السعادة وقسم شقي في لبسة الشقاوة. سعيد في لبسة السعداء كالأنبياء ومن تبعهم هم سعداء في الأزل وهم يعملون عمل الآخرة ملابسهم ملابس السعادة، وقسم أشقياء في لبسة السعداء كإبليس وبرصيصا وبلعم بن باعوراء كلهم كان يعبد الله

---

1 - قصة برصيصا الراهب مع الشيطان وأنهما المقصودان في قوله تعالى: " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك.." نقلها عن ابن عباس رضي الله عنه كل من القرطبي في أحكام القرآن ج37/18 والبغوي في تفسيره ج322/4. وقال السيوطي في الدر المنثور ج117/8: أخرج عبد الرزاق وابن راهويه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر والحاكم صححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب أن رجلا كان يتعبد في صومعة وأن امرأة كان لها إخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فجاءه الشيطان فقال اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاؤوه فأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال إني أنا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة أنجيك فسجد له فذلك قوله: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر.."

عبادة حسنة كلهم في ظاهره يلبس لباس السعادة ولكنه شقي آخِر أمره مال إلى الشقاوة، وقسم شقي في لباس الشقاوة كالكفار نشأوا في الكفر وعاشوا في الكفر وماتوا في الكفر، وسعيد في لبسة الشقاوة من كان كافرا في بدايته وآل أمره إلى أن يسلم ويتوب. فهؤلاء برصيصا وبلعم بن باعوراء وإبليس كانوا أشقياء في الأزل ولكن لبسوا لبسة السعادة في بداية أمرهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ جاء وفد من مضر وهم عراة عليهم بؤس شديد وهم من المسلمين فتمَعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أن تجمع لهم صدقة فنزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم الغد ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فصار الرجل يأتي بالصدقة حتى جمع من اللباس والنفقة شيء كثير فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم الصدقة بينهم، صار يقول (اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة)[1] ﴿وَلاَ تَكُونُواْ

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه: عن المنذر بن جرير عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ("يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" إلى آخر الآية "إن الله كان عليكم رقيبا" والآية التي في الحشر "اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله" تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة) قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء). صحيح مسلم: كتاب الزكاة/ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (1691).

كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ﴾ قرأه جبريل ووضع يده على رأسه وفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما فعل، قال: من قرأ هذه الآية إلى آخر السورة واضعا يده على رأسه فإن الله يخرج من جسده كل علة لا يكون في جسده مرض إلا شفاه الله إلا السام[1]، «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ» وجعل فيه تمييزا كالإنسان ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ حتى الجبل لو سمع هذا القرآن كما تسمعونه أنتم لخشع لله تبارك وتعالى وتشقق ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا مثل أن قلوب بني آدم أشد قسوة من الحجارة فإن الحجارة لو سمعت هذا القرآن لتخشعت ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿السَّلاَمُ﴾ ذو السلامة من النقائص، الله اسمه السلام سلام ذاتا سلام صفة سلام فعلا ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله بخلق المعجزة أو المصدق

---

1 - أخرج السيوطي في الدر المنثور عن الخطيب البغدادي في تاريخه قال: أنبأنا أبو نعيم الحافظ أنبأنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن يوسف بن جعفر المقري البغدادي يعرف بغلام ابن شنبوذ أنبأنا إدريس بن عبد الكريم الحداد قال: قرأت على خلف فلما بلغت هذه الآية "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل" قال: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على سليم فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على الأعمش فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على يحيى بن وثاب فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك فإني قرأت على علقمة والأسود فلما بلغت هذه الآية قالا: ضع يدك على رأسك فإنا قرأنا على عبد الله فلما بلغنا هذه الآية قال: ضعا أيديكما على رؤوسكما فإني قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك على رأسك فإن جبريل لما نزل بها إلي قال لي: ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السام والسام الموت. الدر المنثور ج8/121

للمؤمنين ما وعد لهم ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب على كل شيء ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ تجبر على خلقه، يجبر خلقه على ما يريد ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[1] ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذه الآية عظيمة الموقع «لو أنزلنا هذا القرآن» إلى آخر السورة قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من قرأ هذه الآية بعد أن قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة). صحيح البخاري: كتاب الشروط/ باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم (2736) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (4836). وفي سنن الترمذي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور). سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء في عقد التسبيح باليد (3429).

ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة)[1] وقال ابن جزي قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد بسنده إلى ابن مسعود قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت هنا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضع يدك على رأسك، قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ فقال: قرأ جبريل القرآن فلما انتهى إلى هذه السورة قال لي:ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى أقرأني القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى هذه الآية آخر سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت يا رب ولِم ذاك؟ قال: لأنه شفاء من كل داء إلا السام[2]، السام الموت، لابد لكل أحد أن يموت.

---

1 - عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة). سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر (2846).

2 - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج112/4. (ط دار الكتاب العربي).

سورة الممتحنة

مدنية ثلاث عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ سبب نزول هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة. كان الرسول صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية بعد بيعة الرضوان وصالح قريشا كان في جانبه عرب يقال لهم خزاعة، انضموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا حاربه قريش هم ينصرونه وانضم بنو بكر بن وائل إلى قريش فتعاهد النبي صلى الله عليه وسلم وخزاعة على أنهم إن حاربتهم بنو بكر بن وائل سيقوم بنصرهم كما تحالف بنو بكر مع قريش. فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية أشهر قتل قتيل في خزاعة حلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم قتل منهم أعداؤهم قتيلا فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا شعرا مضمونه أن قريشا لو حاربوه أو فتكوا بقومه فإنهم سينصرون النبي صلى الله عليه وسلم، وها أعداؤهم قتلوا منهم، فهل ينصرهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنصركم ولو كنت وحدي فوا الذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي لنصرتكم ولا نصرني الله إن لم أنصركم)[1] وكان إذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معاونة

---

1 – ذكر ابن حجر في الفتح في شرح باب غزوة الفتح من كتاب المغازي نقلا عن ابن إسحاق قوله: وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيّت خزاعة على ماء لهم يقال له الوتير، فأصاب منهم رجلا يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال،

خزاعة ستخرج قريش إلى معاونة بني بكر بن وائل فتكون الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش. فتجهز النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة رأسا لقتال قريش، وكان صلى الله عليه وسلم يواري عن غزواته يكتم سره ويقول: (من كتم سره ملك أمره). إذا أراد الغزو لهذا الجانب يسأل عن المشارب والمناهل من الجانب الآخر إخفاء لشأنه إلا فتح مكة. تجهز الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من دخل عليه من الصحابة يبايعه ويقول له تهيأ أنا أحارب قريشا. سمع أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم متجهز لقتال قريش في مكة فأتى ولم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسأل عائشة فقالت له: اجلس حتى يأتي تسأله إن كان عزم على شيء يخبرك به. لم تشأ أن تفشي سر زوجها حتى أتى الرسول صلى الله عليه

وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية، فلما انقضت الحرب خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فقال:

يا رب إني ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
إن قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نصرت يا عمرو بن سالم" فكان ذلك ما هاج فتح مكة.

وفي رواية أخرى نقلها القرطبي في تفسيره ج66/8 عن محمد بن إسحاق ومجاهد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعد سماعه لهذا الشعر]: (لا نصرت إن لم أنصر بني كعب) ثم نظر إلى سحابة فقال: (إنها لتستهل لنصر بني كعب) يعني خزاعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء ومن معه إن أبا سفيان سيأتي ليشد العقد ويزيد في الصلح وسينصرف بغير حاجة؛ فندمت قريش على ما فعلت فخرج أبو سفيان إلى المدينة ليستديم العقد ويزيد في الصلح فرجع بغير حاجة كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسلم فقال له: تهيأ يا أبا بكر لقتال قريش بمكة، فتجهزوا إلى فتح مكة، فسمع أهل مكة بذلك فبعثوا أبا سفيان أنه يأتي للرسول صلى الله عليه وسلم يجدد معه كتاب الصلح، ويغيرون الشروط كما أحب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحاربهم. فأتى أبو سفيان و لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم، فكلم أبا بكر فقال له: أنا أمرٌ بينك وبين رسول الله لا أتكلم فيه. فأتى لعمر قال له عمر: كل عهد بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل الله ما تجدد منه أن يبليه الله وما كان موصولا أن يقطعه الله ولا وجدتم صلحا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أبدا، قال له جازاك الله شرا يا عمر. فذهب إلى علي قال له: قم في هذا، قال علي ليس هنا أحد يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يفعل نحن نمتثل أمره ولا نأمره بشيء، فقال: مر ولديك الحسن والحسين هما سيدا القبيلة يسعيان في الصلح بيننا وبين محمد صلى الله عليه وسلم. قال: لا، هما صبيان لا شأن لهما بهذا، فدخل بيت بنته أم حبيبة فأراد أن يجلس على الفراش فدفعته وطوت الفراش وقالت له: تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت نجس؟ تعلم أن هذا لا يكون أبدا، طردته من بيتها فرجع إلى علي وقال له: أنا ما وجدت سبيلا لمقابلة محمد ماذا أفعل؟ قال له علي: تقف هنا في الجماعة وتقول إنك جددت الصلح فقط. قال له: هذا ينفع؟ قال له: لا ينفع ولكن ما رأيت لك إلا هذا. فوقف والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالجماعة فصاح كلكم يعرفني، أنا أبو سفيان بن حرب، الصلح الذي وقع بيننا وبين محمد مددت أجله إلى عشر سنوات لا قتال بيننا وبين محمد إلى عشر سنوات وأنا أظن أن شيئا قلته لا يرده أحد، وذهب، فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم نظره وقال: تقول هذا يا أبا ليلى - أبو ليلى تقولها العرب للمجنون - فذهب ورجع إلى زوجته هند فقالت له: ما جئتَ به؟ فأخبرها الخبر. قالت: ما

رأيتُ رسول قبيلة شرا منك، لم تأت بشيء، أنتَ قولك عند أصحاب محمد لا يزن شيئا[1]. فلما كان ذلك أتت امرأة يقال لها سارة كانت مولاة لبني هاشم

1 - أورد القصة البغوي في تفسيره قال: خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه، فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني قالت بلى هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شيء ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا لا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد إلا الدر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده فاطمة بنت رسول لله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس ما يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فقال يا أبا الحسن أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو تر ذلك مغنيا عني قال لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته والله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيرا فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت عليا بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغنيني شيئا أم لا قالوا وماذا أمرك؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال لا قالوا والله إن زاد علي على أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله

وكانت بغيا من بغايا قريش، فأتت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: أتيت مؤمنة؟ قالت: لا. قال: جئتِ مهاجرة؟ قالت: لا. قال: جئتِ لأي شيء؟ قالت: جئتُ للحاجة فقط، قتلني الجوع والعري ولم أجد شيئا، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت بغي أين الشبان الذين يأتون عليك ويدفعون لك المال؟ قالت: قتلتهم كلا ببدر لم يبق عندي أحد فاحتجت وجئت إليك. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطوها فأعطوها، جمعوا لها كسوة ونفقة فتهيأت للرجوع إلى مكة فأتاها حاطب بن أبي بلتعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وكتب كتابا إلى أقوام من قريش: ''أعلمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار إليكم بجيش كالليل أو كالسيل ووالله لو قاتلكم وحده لنصره الله فكيف به يأتي بجيش مثل الليل؟'' فدفع لها عشرة دنانير أن توصل هذا الكتاب إلى جماعة من قريش، فسارت المرأة حتى وصلت روضة خاخ. فأتى جبريل وقال المرأة التي خرجت من هنا حملت كتابا يطلع قريشا على حالك، على أمر حربك فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم عليا والمقداد بن الأسود وقال لهما اخرجا على إثر هذه المرأة، أدرِكاها في روضة خاخ وخذا منها هذا الكتاب، فأدركا المرأة فسألاها عن الكتاب فأنكرت ففتشا متاعها فلم يجدا شيئا، فسل علي سيفه وقال لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب ولا نكذبه أخرجي الكتاب وإلا جردتك من لباسك وقتلتك. فقالت: نعم تنح عني حتى أخرج لك الكتاب، فحلت عقاصها وأخرجت منه الكتاب، فأتى علي بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ فإذا فيه: من حاطب بن

عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت ما أدري.. تفسير البغوي ج537/4.

أبي بلتعة إلى قوم من قريش إن محمدا سار إليكم بجيش كالليل أو كالسيل، ووالله لو قاتلكم وحده لنصره الله فكيف به ومعه هذا الجيش العرمرم؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: يا حاطب من كتب هذا الكتاب؟ قال: أنا يا رسول الله ولكن دعني لا تعجل علي والله ما كتبته ردة بعد إيماني لا أبغي بديني بدلا، وما فعلته مودة في الكفر، وما فعلته لإفساد أمرك إنما أنا رجل ملصق في قريش ليس لي نسب فيهم ولي عقار وأهال، وكل هؤلاء أعزاء في مكة لهم من يرعى لهم ما عندهم وأنا ملصق، إذا كتبت هذا الكتاب لا يضرك ولا ينفعهم وتكون لي يد عندهم يحفظون لي مالي، هذا قصدي، والله لا أريد غير هذا. قال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ألم تدر يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]. بكى عمر وقال الله ورسوله

---

1 - أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عمرو بن دينار قال أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها) قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب ما هذا؟) قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنه قد صدقكم) فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: (إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فأنزل الله السورة: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق" إلى قوله "فقد ضل سواء السبيل". صحيح

أعلم. فنزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا دليل على إيمان الرجل. الفعلة من حاطب فقط والله خاطب المؤمنين ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ كفار مكة ﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ لأن تؤمنوا ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ لا تطلعوهم على أمركم ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ إسرار خبر النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الهدى ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر، الرحم والمال لا ينفع شيئا يوم القيامة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم فتكونون في الجنة وهم في النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الأرحام والأموال إذا كانت بيد من يستعين بها للآخرة فنعم الشيء المال، وأما إذا حالت بين العبد وبين ربه فبيس الشيء هو. إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[1]، الدنيا مطية الآخرة للرجل الصالح فلهذا ورد: نعم المال الصالح بيد

البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم (4274). صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة (4550).

1 - روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب

الرجل الصالح[1]. الدنيا مساجد أولياء الله ومتاجر أولياء الله اتجروا حتى ربحوا الجنة واتخذوها مسجدا فصلوا حتى وصلوا إلى رضوان الله، فمن لم يتخذها كذلك فهي عدوة ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ هلا اقتديتم بإبراهيم ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هكذا صرح إبراهيم لقومه أنه بريئ من كفرهم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ نعاديكم أبدا ما دمتم كفارا. هلا فعلتم كإبراهيم لقومه؟ ﴿حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ اقتدوا بإبراهيم في كل شيء ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا لا تقتدوا به فيه، الاستغفار للكفار لا تسلكوا فيه سبيل إبراهيم ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ هذا كلا من قول إبراهيم الذي ينبغي أن تتخذوه فيه إسوة ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لا تظهرهم علينا فيظنوا أهم على الحق ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿فِيهِمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَّجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ الكفار على مراتب: كافر يئست أن يتبع سبيل الحق، وكافر ترجو منه، وكافر استسلم انقاد لك، كلهم أعطى الله لنا درسا في معاملته، إذا كان كافرا لا يرجى خيره تصرح لهم بما قال إبراهيم وقوله

تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (4651). وقد تقدم في الدروس: 18، 26، 29، 34، و41.

1 – (نعم المال الصالح للمرء الصالح) من حديث أخرجه أحمد في مسنده: مسند الشاميين/حديث عمرو ابن العاص (17096). وقد تقدم في الدرسين: 19، 22.

«إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله»؛ وكافر يرجى منه الاستسلام لا باس بمعاملته. نزلت هذه الآية لما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان. هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فتنصر زوجها ودعاها إلى التنصر فامتنعت، بقيت على الإسلام فمات الزوج، فخطبها الرسول صلى الله عليه وسلم فزوجها له النجاشي وساق لها من المهر أربعة آلاف دينار[1]، فلما سمع أبو سفيان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته قال: ذلك فحل لا يقدع أنفه، لا يرد أنفه. من هناك زالت قوة عداوة أبي سفيان للرسول، وصارت تنتقص شيئا فشيئا حتى دخل الإسلام لما علم أن النبي تزوج ابنته حسن عنده ذلك فصار يقرب إلى الرسول وإلى الإسلام حتى دخل الإسلام هناك نزلت «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَّجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً» مودة تهديهم للإيمان فكان الأمر كذلك ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة، أسلم أبو سفيان ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ الكافر قسمان: كافر يعادي ويحارب ويقاتل المسلمين في دينهم هذا قتاله واجب ومعاداته والتبرؤ منه، وكافر لا يقاتل ولا يخرج المسلمين من ديارهم، كافر مسالم ما منع الله أن تبروهم ﴿وَتُقْسِطُواْ﴾ تهدوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط العدل بينكم وبينهم وتعطيه قسطه وتأخذ قسط نفسك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين

---

1 - أخرج الحاكم عن عروة عن أم حبيبة رضي الله عنها: أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش فمات بأرض الحبشة، فزوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة. أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب النكاح/ مهر أم حبيبة رضي الله عنها أربعة آلاف (2791). ولأبي داود في سننه: كتاب النكاح/ باب الصداق (1802).

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكفار هكذا ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ القسم الذين استسلموا المؤمنات إذا جئن ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أقسمي بالله أنك ما خرجتِ إلا رغبة في الإسلام لا بغضا في زوجك ولا رغبة في أحد من رجال المسلمين[1] ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهن ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ﴾ لا تردوهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ لا يجوز تزويج الكافر بالمسلمة ﴿وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ولا يجوز تزويج المسلمة بالكافر ﴿وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُواْ﴾ إذا فرت زوجة أحد من الكفار أرسلوا له ماله ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وتتزوجوا بهن ﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فإن الإسلام قطع العصمة فتعتد المسلمة وتتزوج بالمسلمين ﴿وَاسْأَلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ﴾ إذا فرت امرأة وارتدت ولحقت بالكفار، أرسلوا إلى الكفار يردوا إليكم ما أنفقتم في تلك النساء. فرفض الكفار، قالوا: نحن لا نقبل هذا الحكم ﴿وَلْيَسْأَلُواْ مَا أَنفَقُواْ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فرفض الكفار هذا الحكم، كان الحكم أولا أن الكافر إذا فرت زوجته نبعث إليه

---

[1] - روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله "إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" أنه سئل بم كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحن النساء قال كانت المرأة إذا جاءت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها عمر رضي الله عنه بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله. الدر المنثور ج137/8.

بماله وذلك المال من بيت المال، وإذا فرت زوجة مسلم نرسل إلى الكفار يردون مال الزوج، فلما امتنع الكفار نسخ الله هذا الحكم فصار هذا المال الذي كنا نرسل إلى الكفار ندفعه لمن فاتته زوجة من المسلمين هذا ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ واحدة فرت ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فَآتُواْ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنيمة ﴿مِثْلَ مَا أَنفَقُواْ﴾ يقضى له المهر من بيت المال ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ﴾ هذه الآية نزلت قبل مبايعة النسوة ولكن النبي استعملها في مبايعتهن. كان يمتحنهن بهذه الآية ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾ الوأد الذي كان تفعله الجاهلية ﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بالجيش عشرة آلاف مقاتل أو اثني عشر ألف[1] مقاتل وتوجه إلى مكة حتى وصل وادي فاطمة قبل أن تعلم قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم فلقوا العباس بن عبد المطلب مهاجرا قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت آخر المهاجرين كما كنت آخر الأنبياء

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف. كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح في رمضان (4276). وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: قوله (ومعه عشرة آلاف) أي من سائر القبائل. وفي مرسل عروة عند ابن إسحاق وابن عائذ: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا من المهاجرين والأنصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وسليم، وكذا وقع في «الإكليل» و«شرف المصطفى» ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من المدينة ثم تلاحق بها الألفان.

والمرسلين[1]. فخرج العباس ولقي أبا سفيان وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فأسلموا جميعا. وغدا اجتمعت النساء ليدخلن في الإسلام لمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم. فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فوق جبل الصفا وأوقف عمر أسفل الجبل فكان يبايعهن بواسطة عمر. وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع ثوبا يمانيا، فتبايع المرأة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمساك بهذا الثوب الذي في يد الرسول صلى الله عليه وسلم تلك مصافحتها. أما الرسول فما صافح أجنبية قط، لا في المبايعة ولا في غيرها. ما أمسك صلى الله عليه وسلم يد امرأة لا يملك عصمتها حتى لقي الله. ولكن وقف على جبل الصفا وأوقف عمر أسفل الجبل وصار إذا بايعت امرأة صافحها عمر بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. الرسول جليل القدر عالي المرتبة نزه نفسه عن أن يصافح المرأة، ولكن بأمره لعمر أن يصافحهن أخذ العلماء جواز مصافحة الأجنبية[2]، وبه أخذ أبو حنيفة وكان عمر يبايعهن بأمر الرسول صلى الله عليه

---

1 - (اطمئن يا عم فإنك خاتم المهاجرين في الهجرة كما أنا خاتم النبيين في النبوة). كنز العمال: حرف العين/ العباس رضي الله عنه (33387). لابن عساكر عن سهل بن سعد.

2 - أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن محمد بن مسلم أخبرني عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك" إلى قوله "غفور رحيم" قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما يبايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات (4891)، صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب كيفية بيعة النساء (3470). وقال ابن حجر في شرحه: روى أبو داود في " المراسيل " عن الشعبي " أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بايع النساء أتى ببرد قطري فوضعه على يده وقال: لا أصافح النساء " وعند عبد

وسلم والرسول يختبرهن بهذه الآية: لا تشركن بالله شيئا، قالت هند: من أراد الشرك لا يأتي لمجلسك، لأنك منذ قمت وأنت ترفض الشرك ﴿وَلاَ يَسْرِقْنَ﴾ قالت: أنا زوجي شحيح بخيل، وأولادنا كثيرون ولا يعطي من النفقة ما يكفي، ربما إذا ذهب آخذ وأزيد في النفقة حتى يشبع الأولاد، صار أبو سفيان يقول لك ما أخذت واستريني. ﴿وَلاَ يَزْنِينَ﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ولا يزنين، قالت هند: أوَ تزني الحرة؟ أنا كنت أظن أن الزنا لا يقع إلا من الإماء. قال عمر: والله لو كان قلوب نساء العرب كلا كقلب هند لما وقع الزنا. ﴿وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ولا يقتلن أولادهن، قالت: ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا أنت وهم. قال: هذه هند؟ تنبه الرسول صلى الله عليه وسلم علم أن هذه القائلة هند قال: هذه هند بنت عتبة؟ وكانت ممن استثنى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يسمح لها أبدا، لابد أن يقتلها، فقالت: أنا هند يا رسول الله "عفا الله عما سلف" ﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لا يأتين بولد وينسبنه إلى الزوج والولد من غير الزوج، قالت والله إن محمدا هذا يدعو إلى مكارم الأخلاق ﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: ما أتينا هنا إلا ونيتنا أن لا نعصيك في معروف أبدا والله لتدعو إلى الخير وإلى مكارم الأخلاق[1]

الرزاق من طريق إبراهيم النخعي مرسلا نحوه، وعند سعيد بن منصور من طريق قيس بن أبي حازم كذلك.

وقال في موضع آخر من هذا الشرح: وقد أخرج الطبراني أنه بايعهن بواسطة عمر.

وقال القرطبي: وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايع النساء وبين يديه وأيديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر أسفل منه فجعل يشترط على النساء البيعة وعمر يصافحهن. تفسير القرطبي ج71/18.

1 - جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فبايعهن الرسول صلى الله عليه وسلم قولا و لم يصافح واحدة منهن بل صافحهن عمر ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مماسة الأجنبية محرمة في مذهب مالك. مذهب مالك سد الذرائع، إن لم يكن في هذا شيء فربما يجر إلى شيء، وأما المذاهب الأخر فيجوزون المساس فوق حائل، وأبو حنيفة يجوز المصافحة. ما رأى فيها شيئا. وما عمت به البلوى يلتمس له وجه شرعي ولو خارج المذهب. من قدر أن لا يصافح أجنبية فهذا أسلم ومن ابتلي بها فلا يفعلها

تشركن بالله شيئا، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة في النساء، فقالت: إني إن أتكلم يعرفني، وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكت النسوة اللاتي مع هند، وأبين أن يتكلمن قالت هند وهي متنكرة: وكيف يقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر: (قل لهن ولا يسرقن)، قالت هند: والله إني لأصيب من أبي سفيان الهات وما أدري أيحلهن لي أم لا، قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء مضى، أو قد بقي، فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها، فدعاها فأتته، فأخذت بيده، فعاذت به، فقال: (أنت هند)، فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ولا يزنين" فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ قال: (لا والله ما تزني الحرة) قال: "ولا يقتلن أولادهن"، قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر قال: "ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف" قال: منعهن أن ينحن، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالثبور والويل. تفسير الطبري: سورة الممتحنة/ القول في تأويل قوله تعالى: "ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن إن الله غفور رحيم".

وأورد البغوي في تفسيره ج335/4 مثله، وقال فيه: قالت هند والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال: "ولا يعصينك في معروف" قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

مخالفة، بل يفعلها اقتداء بأبي حنيفة الذي يجوزها، فمن قلد عالما لقي الله سالما «واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم» ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثوابها ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ المقبورين.

سورة الصف

مكية أو مدنية أربع عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نزهه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ كان شبان يقولون إذا وقع جهاد سنفعل كذا ونفعل كذا، ولما جاء أحد فروا، فعاتبتهم الآية «لم تقولون ما لا تفعلون» ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ ينصر ويكرم ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ صافين ﴿كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ملصق بعضه إلى بعض ثابت ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ قالوا إنه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُواْ﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم

وكان اسمه في الكتب المنزلة أحمد، عصم الله هذا الاسم حتى ما تسمى به أحد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يقع لبس، ومحمد لما قرب إتيانه وتكلم الرهبان والكهنة بأن رسولا يسمى محمدا سيخرج من الحرم سمى ستة من الأقوام أولادهم محمدا، محمد بن سلمة، محمد بن أحيحة.. ولكن أولئك الأولاد ما خرج فيهم أحد يدعي نبوة أو يظهر فيه حال يشكك أحدا في أنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. «اسمه أحمد» قال: (أنا لي خمسة من الأسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب[2] آخر الأنبياء وأنا طه وأنا يس) وله ألف اسم[3] أشهرهم اسمه في السماء أحمد ومحمد. أحمد صيغة مبالغة في الحمد، ومحمد مفعّل بالحمد مبالغة أيضا، وأمته

---

1 – قال عياض في الشفا سمى الله تعالى نبيه في كتابه محمدا وأحمد، فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعّل من كثرة الحمد، وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين، ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه سبحانه وبدائع آياته أنه سبحانه حمى أن يتسمى بهما أحد قبل زمانه. أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع سبحانه أن يتسمى به أحد غيره حتى لا يدخل بذلك لبس على ضعيف القلب، وكذلك محمد أيضا لم يتسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحيحة الأوسي ومحمد بن سلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد بن الأزد ومحمد بن سوادة منهم لا سابع لهم ولم يدع أحد من هؤلاء النبوءة أو يظهر عليه سبب يشكك الناس انتهى. من تفسير الثعالبي ج4/296-297.

2 – جاء في الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب). صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب ما جاء في أسماء رسول الله (3532) وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب في أسمائه (4342). وقد تقدم في الدرس 41.

3 – نور الأبصار ص30.

الحمادون[1]. في الكتب السابقة أن أمة محمد هم الحمادون يحمدون الله على كل حال، إذا أكلوا قالوا الحمد لله، وإذا شربوا قالوا الحمد لله، وإذا لبسوا قالوا الحمد لله، وإذا فرحوا وإذا ابتلوا الحمد لله، وإذا ماتوا وإذا بعثوا وإذا دخلوا الجنة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ مُتِمٌّ﴾ مظهر ﴿نُورِهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يعليه على الدين كله جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قالوا نعم قال ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ﴾ يوتكم نعمة ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ

---

1 - أخرج الدارمي في سننه عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلواتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء. سنن الدارمي: كتاب المقدمة/ باب صفة النبي في الكتب قبل مبعثه (8). تقدم في الدرس 41.

﴿أَنصَاراً للَّهِ﴾ لدينه ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى اللَّهِ﴾ من الأنصار الذين يقومون معي متوجها إلى نصرة الله؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ الحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحوَر وهو البياض، كانوا يغسلون ثيابه فسموا حواريين أي قصارين ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ بعيسى قالوا إنه عبد الله ورسوله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ أنه الله نزل ورجع إلى السماء. وقالت طائفة إنه ابن الله رفعه أبوه إليه، وقالت طائفة الآلهة ثلاثة، كلهم كافر ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوينا ﴿الَّذِينَ ءامَنُواْ﴾ من الطائفتين ﴿عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾ فغلبوا عليهم، كذلك المسلمون من أمة محمد سيغلبون ولا محالة. اللهم صل على سيدنا محمد.

الدرس الحادي والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري ... لنـــا بهذا المحضـــر

ولتعطفـــي بنظـــرة ... تأتي لنـــا بالظفـــر

سورة الجمعة

مدنية إحدى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزهه، اللام زائدة ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح لله، من حي وجماد ونباتات تسبيحات مستمرة "كل قد علم صلاته" "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" تسبيح الملائكة والبشر والجن بألسنة بلغات مختلفة، وكذلك تسبيح الحيوانات والجمادات والنباتات، كل بلسان حاله "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" وذلك التسبيح بالأسماء العاليات. كل شيء في العالم قائم باسم من أسمائه تبارك وتعالى تجلى فيه، ولولا ذلك الاسم ما وجد ذلك الشيء، ولا يتجلى اسمان في شخص ولا يشترك شخصان في اسم، كل منفرد باسمه وبهذا تعلم أن الله تبارك وتعالى كما أنه لا نهاية لذاته ولا نهاية لصفاته كذلك لا نهاية لأسمائه. فالاسم الذي تجلى في الأب والاسم الذي تجلى في الابن ليسا واحدا. فتجد كل شيئين يختلفان حتى حبتين إذا تأملت فيهما تجد بينهما اختلافا ما، لأن الاسم الذي تجلى في هذه الحبة والذي تجلى في هذه لينسا واحدا. والولد ولو بلغ ما بلغ من الشبه بأبيه فلابد أن يختلفا لأن الاسم الذي قام به الولد والاسم الذي قام به الأب ليسا واحدا. الاسم النازل هو الاسم المتعارف عليه عندنا، والاسم العالي هو ذلك الاسم الذي تجلى فيه، والإنسان لما كان ناطقا فهو يسبح الله بلسانه وبلغته بالاسم الذي يدري وإن سكت فشخصه يسبح باسمه العالي، وغير الإنسان الذي يعجز عن النطق يسبح بذلك الاسم العالي. فكل شيء مما في السماوات وما في الأرض يسبح لله تبارك وتعالى، وهذا التسبيح في أول هذه السورة تنزيه الله تبارك وتعالى عن أن يبقى العالم بلا مرشد ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ الله تبارك وتعالى هو الملك ما سواه ليس بملك، المنزه عما لا يليق به، الْملك لله تبارك وتعالى وكل من نازعه في الملك في وقت من الأوقات في جزء من الأجزاء يخضع تحت سطوته يوم القيامة ويتبرأ من الْملك ويبقى

المُلْك لله فيقول: الملك لله الواحد القهار. فالمالك للأشياء حقيقة في كل وقت وفي كل مكان هو الله تبارك وتعالى ومن ادعى ملك شيء فملكه عارض وإعارة مردودة، إذاً الملِك الحق هو الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ في ملكه وصنعه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب ﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما في القرآن من الأحكام والشرائع. الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب، والعرب كانوا أميين والأمي من لا يقرأ ولا يكتب، نسب إلى أمه لأنه بقي كأمه لا يقرأ ولا يكتب، أو بقي منسوبا إلى أمه لم يتعلم شيئا بعدها[1]. فالأمي سب في حق كل إنسان إلا في محمد صلى الله عليه وسلم، فهو مدح في حقه لأنه وإن كان أميا علِم علم الأولين والآخرين، وكل العلوم مأخوذة منه صلى الله عليه وسلم ولكنه هو أمي لم يقرأ ولم يكتب فلهذا نسب إلى الأمومة، أو أمي معناه عربي، كلمة الأميين مطلقة على العرب وهو واحد عربي، أمي معناه عربي، أو أمي معناه مكي، مكة اسمها أم القرى، فمن نسب إلى أم

---

1 – جاء في لسان العرب قوله: الأمي: الذي لا يكتب، قال الزجاج: الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته. وفي التنزيل العزيز: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني" قال أبو إسحق: معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب أمي لأن الكتابة هي مكتسبة فكأنه نسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه وكانت الكتاب في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار، وفي الحديث: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وفي الحديث: (بعثت إلى أمة أمية) قيل للعرب الأميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ومنه قوله عز وجل: "بعث في الأميين رسولا منهم". لسان العرب (مادة: أمم)

القرى يقال له أمي[1]، والكل مجتمع فيه صلى الله عليه وسلم وهو الأمي الذي لم يقرأ و لم يكتب وأتى بهذا الكتاب المعجز، أعجز الأولين والآخرين وعلم أصحابه القرآن وزكاهم وعلمهم الكتاب. أما الصحابة فقد تلقوا هذا منه بلا واسطة وعلَّم التابعين وتابعي التابعين وهلم جرا ولكن بوسائط، بوسائط العلماء. العلماء ورثة الأنبياء[2]. فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المعلم في كل زمان حتى ينقضي الدهر في زمانه بلا واسطة وفي زماننا بوسائط العلماء ورثة الأنبياء. وهذا هو قدره الصغير صلى الله عليه وسلم. وكل معلم عن شيخه عن شيخه عن شيخه، لا تنقطع السلسلة إلى أن تصل بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو المعلم الكبير. والأحكام الشرعية: الشريعة بالنسبة للعوام والطريقة بالنسبة للخواص والحقيقة بالنسبة لأخص الخواص. ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وكان الأميون الذين هم العرب قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم في ضلال مبين، هذا تاريخ العرب قبل الإسلام، كانوا في ضلال مبين، ما جاء الخير إلا بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم. فلما جاء محمد نبيا عربيا وجاء القرآن عربيا صار العرب أفضل الأجناس يقول صلى الله عليه وسلم: (أحبوا العرب

---

1 - قال البغوي: قيل هو منسوب إلى أمته أصله أمتي وسقطت التاء في النسبة كما سقطت في المكي والمدني وقيل هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة. تفسير البغوي ج205/2.

2 - (العلماء ورثة الأنبياء) طرف من حديث أبي الدرداء، أخرجه الترمذي في سننه: كتاب العلم / باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606). وفي سنن أبي داود: كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم (3157). كما أورده البخاري في ترجمته لباب: العلم قبل القول والعمل من كتاب: العلم. وقد تقدم في الدروس:10، 12، 13، 19، 23، 24، 32، 36 و 42.

لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي)[1] (فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)[2] ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ عطف على الأميين الموجودين، سيأتي رجال آخرون من تلك الطبقة و لم يدركوا زمانهم ﴿وَهْوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رأى الرسول صلى الله عليه وسلم رؤيا قال (رأيت في المنام أني أسقي غنما سودا، وبعد ذلك صرت أسقي غنما بيضا، أوِّلْها يا أبا بكر) فقال: أما السود فالعرب تتبعك، وأما البيض فالعجم تتبعك من بعد العرب. قال: (بهذا أوله الملك)[3]. «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم» قال صلى الله عليه وسلم: (إن هنالك رجالا في أصلاب الرجال وفي أرحام الأمهات يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب)[4] وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «وآخرين

---

[1] – (أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس: كتاب معرفة الصحابة/ باب حب العرب إيمان وبغضهم نفاق (7077). تقدم في الدرس26.

[2] – (من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم). طرف من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر. المستدرك: تتمة كتاب معرفة الصحابة / باب ذكر فضائل قريش (7031). تقدم في الدروس: 8، 23، 26، 38.

[3] – أخرج الحاكم عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني رأيت في المنام غنما سوداء يتبعها غنم عفر يا أبا بكر اعبرها)، فقال أبو بكر: يا رسول الله هي العرب تتبعك، ثم تتبعها العجم حتى تغمرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هكذا عبرها الملَك بسحر). الحاكم في مستدركه: كتاب: تعبير الرؤيا/ رؤيا عائشة ثلاثة أقمار سقطت في حجرها (8256).

[4] – عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" (6472). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على دخول طوائف من

منهم» من هؤلاء؟ فوضع يده على سلمان الفارسي قال: قوم هذا[1]، وما في المسجد رجل أسود إلا سلمان. وهذا بشارة للمسلمين الذين دخلوا الإسلام من البلاد العجمية.

فالرؤيا تعكس القضية دائما إذا رأيت أبيض في المنام فهو أسود وإذا رأيت أسود فهو أبيض، إذا رأيت أنثى فهي ذكر وإذا رأيت ذكرا فهو أنثى عالم النوم. «وهو العزيز الحكيم» في ملكه وصنعه. وهذا بيان في فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، لا يُلحَق شأوُهم، فكل من أتى على قدمهم فهو في ميزانهم. (خير القرون قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم)[2] الصحابة والتابعون وتابعو التابعين. وقال: (خير أمتي أولها وآخرها وفي الوسط الكدر)[3] يوجد في القرون

المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (317). وورد في رواية لمسلم: (بغير حساب ولا عذاب). الحديث(323) من نفس الباب. تقدم في الدرسين 9 و40.

1 - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم" (4898). صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب فضل فارس (4619).

2 - أخرج الشيخان عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم) صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (6429)، وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (4601).

3 - (خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر). عن أبي الدرداء. أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (4056)، والمتقي الهندي في كنز العمال: باب ذكر الصحابة وفضلهم رضي الله عنهم أجمعين/ الفصل الأول في فضائل الصحابة إجمالا (32455).

الأخيرة قرن يلحق بهذه القرون الثلاثة ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَّشَاءُ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ﴾ كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ علماء اليهود الذين لم يعملوا بما جاء في التوراة كحمار يحمل كتبا في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ بيس المثل هذا ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم، والمخصوص بالذم هذا المثل، بيس المثل هذا المثل ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ﴾ اليهود ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ اليهود قالوا إنهم أبناء الله وأحباؤه، مرادهم أنهم أبناء عزير وعزير قالوا ابن الله، وأبناء الخليل والخليل خليل الله، فهم أبناء الله وأحباؤه لأنهم أولاد عزير، ومن ذرية إبراهيم، كذبتهم الآية إن كنتم حقا أولياء الله وأحباءه «فتمنوا الموت إن كنتم صادقين». هذه الدنيا مقر أكدار، لا يطيب فيها عيش غالبا، فمن تحقق أنه ما بينه وبين دخول الجنة إلا الموت يستعجل الموت. فاليهود إذا كانوا هكذا فليتمنوا الموت ليخرجوا من دار الأكدار ويصلوا إلى النعيم المقيم ﴿وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ وهذا في حق اليهود أما المسلمون فالرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يتمنين أحدكم الموت لأنه إن كان محسنا فإن عاش يزداد إحسانا، وإن كان مسيئا فلعله أن يتوب إلى الله تبارك وتعالى ويصير محسنا)[1] فلا تجد المسلمين يتمنون الموت، يبقون في خدمة خالقهم، والموت

---

1 – أخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لن يُدخل أحدا عملُه الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب) صحيح البخاري: كتاب

يعزلهم عن هذه الخدمة إلا أفراد أهل محبة شديدة احترقوا بنار المحبة فلم يصبروا على الفراق فتمنوا الموت. النادر لا حكم له. و(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[1] «ولا يتمنونه أبدا» ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين. سأل سليمان بن عبد الملك أبا حازم: لِم نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ولا تحبون أن تخرجوا من العمارة إلى الخراب. أهل الله هم الذين عمروا الآخرة فأحبوا أن يخرجوا من الخراب إلى العمارة[2]. الأمر هكذا. كل من يرجو شيئا في الآخرة لا يكره لقاء الله، ومن لا خير له في الآخرة فجنته الدنيا لا يحب أن يخرج من الجنة إلى النار ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ﴾ على أن

المرضى/ باب تمني المريض الموت (5673)، ولفظه في صحيح مسلم: (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (4843).

1 - عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (6508). وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (4848). تقدم في الدروس 32 و47 و49.

2 - أخرج الدارمي في سننه من حديث الضحاك بن موسى قال مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياما فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: أبو حازم يا أمير المؤمنين، فأرسل إليه فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة و لم تأتني، قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك، قال فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت، قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب...إلى آخر الحديث وهو طويل. سنن الدارمي: كتاب المقدمة/ باب في إعظام العلم (645).

الموت لا فرار منه، فكل من فر منه يلقاه، إن فر أحد عن موته تبعه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ عالم السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَّوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ صلاة الجمعة ﴿وَذَرُواْ الْبَيْعَ﴾ اتركوا البيع والشراء ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه. يوم الجمعة هو يوم المسلمين. هذا اليوم الذي اختلف فيه الأمم قبلكم فاهتديتم إليه. فنحن الآخرون السابقون، اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى[1]. إذا كان يوم الجمعة اتركوا البيع والشراء واذهبوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة. أحل الله البيع، ولكن كثر فيه الكذب والخيانة والدس، فصارت الأسواق محل الشيطان، فلهذا نترك الأسواق والبيع والشراء لإقامة صلاة الجمعة. هذا الذكر يعني الصلاة، لا يمكن إلا بترك البيع والشراء، بخلاف الذكر آخر الآية "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا" هذا ذكر الله باللسان لا ينافي الاشتغال بالبيع والشراء "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، حتى إذا جاء الإمام طووا الصحف وجلسوا يستمعون الذكر)[2] وكان النداء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد). صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب فرض الجمعة (876). صحيح مسلم: كتاب الجمعة/.باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (1412). وقد تقدم في الدروس 4، 15، 30.

2 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا

أبي بكر وزمن عمر يؤذن مؤذن واحد، إذا جلس الإمام على المنبر قام المؤذن وأذن وإذا نزل أذن أذانا ثانيا هو الإقامة فتقام الصلاة. فلما كثر الناس زاد عثمان نداء ثالثا[1] يؤذن في داره بالزوراء لينفر الناس من الأسواق، فإذا اجتمعوا في المسجد أذن المؤذن وأقيمت الصلاة. فتوهم بعض العلماء أن هؤلاء ثلاثة مؤذنين فجعلوا المؤذنين ثلاثة واحدا بعد واحد فهذا غلط على غلط، إنما الأذان الذي أحدثه عثمان وسلمه الصحابة الأذان الأول لاجتماع الناس في المسجد، أذان الزوال، والثاني هو الأذان الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والثالث الإقامة فقط ما ثم ثلاثة أذانات مطلقا[2]، لا أصل له، إنما وهم على وهم. والجُمعة الحكمة فيها أن الله تبارك وتعالى خلق الخلائق، خلق الأشياء كلا جمادا وناميا وحيوانا. والحيوان منه بشر إنس وجن وبهائم وأشرف هذه المخلوقات هو الإنسان "ولقد كرمنا بني آدم" وهذه المخلوقات كلا خلقها الله للإنسان "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" وخلق الدنيا سبعة أيام، وآخر ما خلق آدم أبا البشر، وخلق زوجته حواء وزوجه

الصحف وجاءوا يستمعون الذكر). صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (3211) وفي صحيح مسلم: كتاب الجمعة/ باب فضل التهجير يوم الجمعة (1416). تقدم في الدرس36.

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء قال أبو عبد الله الزوراء موضع بالسوق بالمدينة. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب الأذان يوم الجمعة (912).

2 - أخرج البخاري عن السائب بن يزيد أن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر أهل المدينة ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذن غير واحد وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام يعني على المنبر. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب المؤذن الواحد يوم الجمعة (913). قال ابن حجر في شرحه: وعرف بهذا الردُّ على ما ذكر ابن حبيب أنه كان إذا رقي المنبر وجلس أذن المؤذنون وكانوا ثلاثة واحد بعد واحد، فإذا فرغ الثالث قام فخطب، فإنه دعوى تحتاج لدليل.

إياها في ذلك اليوم. عادة الكريم إذا أقام مأدبة لإكرام أناس يهيئ كل شيء قبل أن يدعوهم، فالإنسان هو محل كرامة الله تبارك وتعالى. لما أراد إكرام الإنسان، خلق الخلائق من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ففرغ من كل شيء فأتى بالإنسان الذي يريد إكرامه بهذه الأشياء. فكان من حق الإنسان أن يتخذ يوم عيد في يوم من الأيام لشكر هذه النعمة وحمد الله تبارك وتعالى، فكان ذلك اليوم يوم الجمعة. كانت العرب تقول: عروبة، ولما كان العيد لا يكون إلا نهارا كانت صلاة الجمعة نهارا وسط اليوم في القيلولة. ولما كان يوم العيد لابد فيه من اجتماع الناس، لا تجوز صلاة الجمعة إلا في المسجد، الإنسان لا يقدر أن يؤدي الجمعة في بيته ولا أفراد من الناس يؤدونها كيف شاءوا، عكس الصلوات، بل في المسجد الجامع لأنه عيد لابد من اجتماع الناس فيها، والعيد لابد فيه من خطبة، ثناء على الله تبارك وتعالى وشكره على ما أجرى للإنسان. ولما كان هذا كلا إذا زيد مع صلاة الظهر يكون الأمر أطول، نقص لنا ركعتين من صلاة الظهر فجعلت الركعتان الأوليان هما الخطبتان، والركعتان الأخريان هما الصلاة، فلهذا لا يجوز الكلام وقت الخطبة كما لا يجوز في الصلاة، لأن الخطبتين من الصلاة. هي نصف الصلاة فلما كان الأمر هكذا اجتمعنا يوم الجمعة وخطبنا وصلينا. وكان بعض الناس يزيدون إطعام طعام خلف الصلاة منهم من ترك هذا ومنهم من استمر عليه[1]. والأعياد في الإسلام ثلاثة: عيد يوم الجمعة، وعيد يوم الفطر، وعيد الأضحى. هذه هي أصول الأعياد للمسلمين. وكل أمة لها عيد وعيد كل أمة وكل دولة عند انتصارها أو عند ظفرها بمرادها، والمسلمون عيدهم عند تمام عبادتهم، فعيد الجمعة عيد لإتمام

1 – ذكره البروسوي في روح البيان ج522/9.

الصلوات الخمس في الأسبوع. الأسبوع يبتدئ من السبت وينتهي بالجمعة، وكل يوم كلفك الله خمس صلوات تؤديها فإذا أديت خمس صلوات في السبت، في الأحد، في الإثنين، في الثلاثاء، في الأربعاء، في الخميس، في الجمعة أعطاك الله عيدا لأنك استكملت ما عليك من الصلوات في الأسبوع. وعيد الفطر عند انتهاء رمضان معناه عيد إتمام صوم رمضان. وعيد ذي الحجة عيد الأضحى العيد الأكبر عند إتمام أعمال الحج. الحج من الإحرام إلى الوقوف بعرفات فإذا انتهت أعمال الحج أعطاك الله عيدا هو يوم النحر. وبعد هذه الأعياد المقررة شرعا عيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ما كان القرون الثلاثة يقومون بهذا العيد، أحدِث بعد القرون الثلاثة، وهو أفضل ما أحدث لهذه الأمة، وجربوا بركته عيد ليلة المولد الليلة التي ولد فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنه نلنا كل خير. وهناك ليال وأيام لها فضائل، إن الله تبارك وتعالى فضل ما شاء على ما شاء، فضَّل بعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الشهور على بعض، (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة)[1] حديث صحيح (وأفضل يوم يوم عرفة)[2]. هذا في الأسبوع وهذا في العام. وإذا اجتمعا يكون الفضل أكبر. وليلة القدر نص القرآن أنها خير من ألف شهر، وليلة العيدين، ليلة المولد، ليلة عاشوراء، ليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء سبع وعشرين من رجب. كل هذه الليالي فاضلة لزيادة ذكر الله، والعبادة فيها محمودة، والله حيث أمرنا بالمسابقة والمسارعة والمبادرة ينبغي أن

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) صحيح مسلم: كتاب الجمعة/ باب فضل يوم الجمعة (1411). تقدم في الدرس30.

2 - (أفضل يوم يوم عرفة) فقه السنة ج606/1.

ننتهز كل فرصة، هذا عيد صلاة الجمعة « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَّوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» الصلاة «وَذَرُواْ الْبَيْعَ» اتركوا البيع كل بيع عقد بعد الأذان الأول حتى تنقضي الصلاة مفسوخ شرعا وكل عقد[1] «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ أمر إباحة ﴿وَابْتَغُواْ﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أرشدنا تبارك وتعالى بعدما قضينا الصلاة من يوم الجمعة أن ننتشر في الأرض نبتغي ما يرزقنا من فضله تبارك وتعالى وأمر بذكر الله كثيرا، هذا اليوم يوم عيد وهذا العيد معناه ذكر الله تبارك وتعالى وشكره على إحسانه وإنعامه لبني البشر «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» تفوزون ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّواْ إِلَيْهَا﴾ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، وقد كان يصلي ركعتين ثم يخطب بعدهما[2]، ولما وقف للخطبة قدمت عير كان دحية الكلبي أتى بها من الشام فلما سمعوا ضرب الدفوف لقدوم العير خرج القوم كلا وذهبوا إلى العير وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب،

---

[1] – نقل القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "وذروا البيع" عن ابن العربي: العقود كلها، فهو حرام شرعا مفسوخ ردعا. أحكام القرآن ج108/18.

[2] – قال القرطبي في تفسيره ج110/18: ذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا بفضلهم ألا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرني أبو معاذ بكر بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال إن دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارة وكان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدفاف فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء فأنزل الله عز وجل "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها فقدّم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة وأخّر الصلاة.

طلحة، الزبير، سعد، سعيد، عبد الرحمن بن عوف، أبو عبيدة بن الجراح العشرة المبشرون بالجنة، وبلال، وعبد الله بن مسعود[1]، ما عدا هؤلاء خرجوا كلا إلى العير فلما رجعوا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لولا الإثنا عشر الذين بقوا لسال لكم الوادي نارا)[2] فعاتبهم الله تبارك وتعالى فقال: «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها» لم يقل إليهما إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه فاكتفى بأحد الضميرين. اللهو: الدف والطبل الذي ينادي بقدوم العير. والتجارة الاشتغال بالبيع والشراء ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يا رسول الله في الخطبة ﴿قَائِمًا﴾ ذهبوا وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم. والصحابة مجتهدون، كانوا يظنون أن الصلاة انقضت والخطبة سواء من حضرها أو لم يحضرها فلهذا قدمها، قدم الشارع الخطبة على الصلاة حتى يعلموا تأكد حضور الخطبة. والرسول صلى الله عليه وسلم ما خطب قط إلا قائما سألوا عالما هل كان الرسول يقعد في خطبته؟ قال:

---

1 - قال القرطبي: وروى في حديث مرسل أسماء الاثني عشر رجلا رواه أسد بن عمر والد أسد بن موسى بن أسد وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه إلا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود. تفسير القرطبي ج110/18. ومثله عند ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب إذا نفر الناس عن الإمام... (963) قال: وروي بسند منقطع أن الاثنى عشر هم العشرة المبشرة وبلال وابن مسعود.

2 - أخرج ابن حبان في صحيحه عن جابر قال : بينا النبي يخطب يوم الجمعة، وقدمت عير المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد، لسال لكم الوادي نارا» فنزلت هذه الآية : "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما" صحيح ابن حبان: باب إخباره عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (6763).

ألا تقرأون القرآن؟ «وتركوك قائما»[1]. الخطبة جالسا أول من فعلها معاوية بن أبي سفيان لضخامة جسمه كان يخطب جالسا[2] ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ هو الرازق لا رازق غيره ولكن على حسب أحسن الخالقين وأرحم الراحمين ولا راحم إلا هو، وخير الرازقين هو الرازق حقيقة، وغيره رازق مجازا، إذا فالرازق الحقيقي خير من الرازق المجازي. أرشدنا تبارك وتعالى بعد صلاة الجمعة أن نكثر من ذكر الله. فذكر الله مطلوب على كل حال وفي كل وقت وفي كل يوم ولاسيما يوم الجمعة، وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر، الليلة الغراء ليلة الجمعة واليوم الأزهر يوم الجمعة فإن صلاتكم تبلغني)[3] النبي صلى الله عليه وسلم عنده ملك موكل كل من صلى عليه يبلغ صلاته إلى النبي صلى الله عليه

---

1 - أخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله أنه سئل أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أوما تقرأ: "وتركوك قائما". سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب ما جاء في الخطبة يوم الجمعة (1098).

2 - أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن طاوس قال: لم يكن أبو بكر ولا عمر يقعدون على المنبر يوم الجمعة وأول من قعد معاوية (5170). وعن طاوس أيضا قال: خطب رسول الله قائما وأبو بكر قائما وعثمان قائما وأول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان (5171). وعن الشعبي قال: إنما خطب معاوية قاعدا حيث كثر شحم بطنه ولحمه (5184). هذه الأحاديث من كتاب الصلوات/ من كان يخطب قائما.

3 - (أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر فإن صلاتكم تعرض علي). الحديث رقم (1402) من الجامع الصغير، أخرجه السيوطي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج أبو داود في رواية عن أوس بن أوس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي) أبو داود في سننه: كتاب الصلاة/ باب في الاستغفار (1308) وفي رواية أخرى له من كتاب المناسك/ باب زيارة القبور (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (1746).

وسلم: فلان بن فلان في المحل الفلاني صلى عليك عدد كذا، أما يوم الجمعة فيسمع صلى الله عليه وسلم بنفسه من المصلي[1] نوفي صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هنا حتى يسمعنا صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

---

1 – أخرج النسائي في سننه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام). سنن النسائي: كتاب السهو/ باب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم (1265)، وفي سنن الدارمي: كتاب الرقاق/ باب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (2655)، وللسيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق عن مجاهد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تعرضون علي بأسمائكم ومسماكم فأحسنوا الصلاة علي). الدر المنثور ج652/6. وفي تفسير القرطبي: عن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما منكم من أحد يسلم علي إذا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته). تفسير القرطبي ج237/14.

سورة المنافقون

مدنية إحدى عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ هذه السورة نزلت في المنافقين في غزوة بني المصطلق المريسيع رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول. قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" يعني بالأعز نفسه الخبيثة وبالأذلّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال كلمات فنزلت هذه السورة في حقه[1] فقاطعه المسلمون فأتاه قرباؤه وقالوا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب إلى الله مما قلت ويستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع وتكبر ولوى رأسه وقال: هكذا قهرتموني وأكرهتموني حتى تلفظت بالشهادتين، وقهرتموني حتى أديت الصلاة، وقهرتموني على الصوم والزكاة، الآن لم يبق لكم إلا أن أذهب أسجد

1 – أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك، فأنزل الله تعالى: "إذا جاءك المنافقون" فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله إلى لكاذبون (4900)، صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ (4976). قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق.

لمحمد لا أفعل أبدا[1]. وعبد الله بن أبي والجد بن قيس وغيرهما كانوا منافقين أجسامهم جميلة وكاملة فإذا رآهم أحد لابد أن يعجب بهم، وإذا تكلموا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم كلامهم لفصاحتهم وتزيينهم للكلام، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم صفة المنافقين فنزلت في حقهم هذه السورة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا صلى الجمعة قرأ بالجمعة والمنافقون. الجمعة ينشط المسلمين على صلاة الجمعة لما فيها من الخير، والمنافقون يعرض بالمنافقين ويؤنبهم. كانت صلاة الجمعة ما أداها الرسول قط فيما أعلم بغير هذه السور الأربع الجمعة والمنافقون والأعلى والغاشية[2]. والأئمة تركوها تماما وما فهمت من أين أخذوا

---

1 - نقل الطبري بسند عن بشير بن مسلم أنه قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول: يا أبا حباب إنه قد أنزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد. تفسير الطبري ج110/28

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن ابن أبي رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة فصلى لنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الآخرة إذا جاءك المنافقون قال فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما بالكوفة فقال أبو هريرة إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة. وعن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين، وعن عبيد الله بن عبد الله قال كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله أي شيء قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة سوى سورة الجمعة فقال كان يقرأ هل أتاك. صحيح مسلم: كتاب الجمعة/ باب ما يقرأ في صلاة الجمعة (1451-1452-1453). وقال المباركفوري في التحفة (تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي) عند شرحه لأحاديث باب ما جاء في القراءة في صلاة الجمعة من كتاب الجمعة: وقد استدل بهذه الأحاديث على أن السنة أن يقرأ الإمام في صلاة الجمعة في الركعة الأولى بـــ " الجمعة " وفي الثانية بـــ " المنافقين " أو في الأولى بـــ : "سبح اسم ربك الأعلى" وفي الثانية بـــ "هل أتاك حديث الغاشية" أو في الأولى بالجمعة وفي الثانية بـــ : "هل أتاك حديث الغاشية".

هذا. ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُواْ﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ يقولون هذا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ المنافقون يقولون: نشهد إنك لرسول الله، لو قالوا نعلم لا يكذبهم الله لأنهم يعلمون ولكن لم يشهدوا، أو الكذب القول بما يخالف اعتقاد الإنسان، إذا قال الإنسان خلاف ما في قلبه فهو كاذب. هم قالوا «إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون» الكذب الإخبار بعكس ما تعتقد فكذبهم الله تبارك وتعالى، الذي قالوا حق ولكن هم ليس حقا عندهم أو لم يشهدوا، ﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة على أموالهم ودمائهم. الحق أنهم نطقوا بالشهادتين وحلفوا أنهم صادقون فيما يقولون لتسلم أموالهم ودماؤهم فقط ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الجهاد ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أعمالهم سيئة، قال فيهم عبارة حتى الكفار ما قالها في حقهم: «إنهم ساء ما كانوا يعملون» فالمنافق أسوأ عملا من الكافر لأنه يقول خلاف ما يضمر ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالقلب استمروا على كفرهم ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ختم الله على قلوبهم بالكفر ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ لا يفقهون الإيمان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها هؤلاء من المنافقين كالجد بن قيس ومعتب بن قشير وعبد الله بن أبي بن سلول هؤلاء الثلاثة جمالهم بارع[1] ﴿وَإِنْ يَّقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فصاحتهم كذلك ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم لترك التفهم ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ممالة إلى الجدار شبه الله المنافقين بالخشب. خشب مسندة فقط إلى

---

1 -- كالجد بن قيس ومعتب بن قشير روح المعاني ج110/28، وقال الكلبي المراد ابن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير. تفسير القرطبي ج125/18.

الجدار، ولم وصفهم بهذا الوصف؟ «كأنهم خشب مسندة» الخشبة كانت شجرة رطبة فقطعت ويبست، فصار بعضها نافعا استعملت في السقف والجدران وبعض الخشب بقيت مسندة فقط لا انتفاع بها ولم تبق شجرة أولها ليس على شيء وآخرها ليس على شيء. المنافقون هكذا خشب مسندة على الجدار لا انتفاع بها، لم تعد من جنس الشجر ولم تصل إلى السقف ولا الجدار، فالمنافقون هكذا كما وصفهم الله "مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" المنافقون هكذا لا فهْم ولا تعقل ولا نفع ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ النفاق يلازمه الرعب دائما كلما سمعوا صوتا فزعوا يظنون أن النبي أغار عليهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فإنهم يفشون سرك ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوا رؤوسهم تكبرا ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ وصفهم بالفسق والكفر والاستكبار لتعديد مساوئهم والتشنيع بهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَّغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أخبر الحق تبارك وتعالى في سورة براءة لما طلب ابن أبي أن يستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يغفر له وإن استغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم سبعين مرة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أقدر على الزيادة فبين هنا أنه لن يغفر لهم أبدا ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وهم ﴿هُمْ﴾ المنافقون الكافرون المستكبرون الفاسقون جمعوا كل المساوي ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم ﴿لاَ تُنفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنفَضُّواْ﴾ يتفرقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الله تبارك وتعالى ذكر في آخر السورة أنه الرازق وخير الرازقين. وابن أبي يقول لشدة حماقته أنهم يمسكون

النفقة عن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتفرقوا لم يعلموا أن الله هو رازقهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ سئل عابد من أين تجد النفقة؟ قال من خزانة ملِك لا تفنى خزائنه ولا يدخلها سارق ولا يدخلها السوس. هذا هو الذي يقدر أن يضمن الرزق. ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ يعني نفسه ﴿مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يعني المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ الله تبارك وتعالى أخبر أن المنافقين لا يفقهون وأنهم لا يعلمون ختم الآية الأخيرة بيعلمون والأولى بيفقهون لأن العلم فوق الفقه بدليل أن الله تبارك وتعالى علم سليمان، كلهم فقِه ولكن العلم بالحكم خص به سليمان، والعزة أدق من النفقة لا يدركه إلا عالم فلهذا قال في الآية الأولى "ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون"، «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون». العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولا يجوز لمؤمن أن يذل نفسه وهذا لا ينافي التواضع ولكن التواضع غير الضعة، المؤمن يتواضع أي يضع نفسه دون قدره ولكن لا يقبل الضعة، الذل. قيل للحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة[1]: الناس يقولون إن فيك تيها، فيك بعض الكبر، قال: لا، تلك العزة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»[2] لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه ولكن كل مؤمن يتواضع لله تبارك وتعالى، ولكن يرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

---

1 - أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (3701).

2 - عن الحسن بن علي على رسول الله وعليهم الصلاة والسلام أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها. قال: ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية. روح المعاني ج116/28.

القرآن ذكر الكبر والتكبر والاستكبار. الإستكبار لا يكون إلا بغير الحق، فلهذا تجد المستكبرين لهم وعيد بدخول النار دائما لأن الاستكباز استكبار بغير الحق دائما. والتكبر يكون بالحق وبغير الحق، فمن تكبر بغير الحق لحق بالمستكبرين، ومن تكبر بالحق ورد فيه: التكبر على المتكبر صدقة[1]. أبو دجانة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى مشية عجيبة يوم أحد فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ما هذا؟ قال: مشية أحباب الله تجاه أعداء الله، فقال: إن الله يبغض هذه المشية إلا في هذا الموضع[2]. يعني التكبر على المتكبر لا باس به. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الصلوات الخمس ﴿وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ من اشتغل بالمال والولد عن طاعة الله تبارك وتعالى ذلك خسران مبين. وورد أن (الولد مبخلة مجبنة)[3] يورث البخل، تريد أن تنفق مالك فيبقى الأولاد ليس عندهم شيء، مجبنة تريد الجهاد فيقولون لك إذا استشهدت يبقى الأولاد أيتاما ، مبخلة مجبنة . ﴿وَأَنفِقُواْ

1 – قال الألوسي: في الأثر التكبر على المتكبر صدقة. روح المعاني ج61/9.

2 – أخرج الهيثمي رواية الطبراني عن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة عن أبيه عن جده أن أبا دجانة يوم أحد أعلم بعصابة حمراء فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختال في مشيته بين الصفين فقال: (إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع). مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب المغازي والسير/ باب في وقعة أحد (17001). وجاء مثله في كنز العمال: من كتاب الجهاد/ الباب الأول في الترغيب فيه (10685).

3 – أخرج ابن ماجه في سننه عن يعلى العامري أنه قال جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال: (إن الولد مبخلة مجبنة). سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ باب بر الوالد والإحسان إلى البنات (3656).

مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي﴾ هلا أخرتني ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أصدقَ بالنصب وأكنْ بالجزم يجوز[1] ﴿وَلَنْ يُّؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَا أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

سورة التغابن

مكية وآياها ثماني عشرة آية

استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي صلى الله عليه وسلم لأن السورة تمام ثلاث وستين سورة وعقبت بالتغابن الذي هو ظهور الغبن لوفاته صلى الله عليه وسلم. فالرسول صلى الله عليه وسلم عمره ثلاث وستون سنة عدد السور من البقرة إلى آخر هذه السورة. وفهم من ذلك المستنبط وفاة الرسول بعد ثلاث وستين سنة فكان كما فهم[2].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كل ما في السماوات وما في الأرض جمادا وناميا وحَيا تسبيحا مستمرا بلغته التي يعلمها الله تبارك وتعالى ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ الله تبارك وتعالى له الملك وحده وله الحمد في الأولى والآخرة ﴿وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لما كان هو الملِك وأفعاله حميدة اقتضى ذلك أن يكون قادرا على كل شيء ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ

1 - انظر روح المعاني المجلد 15/ص172

2 - قاله الألوسي في روح المعاني ج191/6

وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك. قسّم الخلائق قسمين: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي[1] فجاء الخلائق على قسمين كافر ومؤمن، رفعت الأقلام وجفت الصحف[2] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ﴾ خلق صوركم ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ ما حملكم على الاستمرار على الكفر ألم تسمعوا خبر من قبلكم من الكفار ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بلى ﴿ذَلِكَ﴾ عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ الله لا يرسل إلا بشرا؟ لا يمكن أن يكون بشر رسولا ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنــ﴾هم ﴿لَنْ يُبْعَثُوا﴾ قال الكافرون إن البعث لا يقع ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أقسم الجليل أن الموتى سيبعثون يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فَآمِنُوا

---

1 - ورد في رواية للإمام أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي) قال فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: (على مواقع القدر) مسند أحمد: مسند الشاميين/ حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي (17000). تقدم في الدروس16، 20 و45.

2 - (رفعت الأقلام وجفت الصحف) طرف من حديث أخرجه الترمذي عن ابن عباس في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ رقم (2440) وقد تقدم في الدروس 15، 18، 20، 24، 26، 34 و47.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَالنُّورِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ واذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم الجمع يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يوم يغبن فيه المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ: اتق الله حيثما كنت[1] ولا تبال حيث مت اتق الله تجده تجاهك واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا كلهم على أن يضروك ما ضروك إلا بشيء قد قدره الله، وإن اجتمعوا على أن ينفعوك ما نفعوك إلا بشيء قد قدره الله، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[2] المؤمن في راحة يعلم أنه لا يكون إلا ما أراد الله ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ في قوله إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ من علم أن كل ما

---

1 – عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ أنه قال: يا رسول الله، أوصني. قال: اتق الله حيثما كنت أو أينما كنت قال: زدني. قال: اتبع السيئة الحسنة تمحها، قال: زدني قال: خالق الناس بخلق حسن». أخرجه أحمد في مسنده: حديث معاذ (21047)

2 – أخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق/ (2440). وقد تقدم كاملا أو طرفا في الدروس 15، 18، 20، 24، 26، 34، 45 و47.

وقع بحكم الله وقضائه ذلك قلبه قد اهتدى للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ سبب نزول هذه الآية أن بعض المسلمين أرادوا الهجرة فحبستهم زوجاهم عن الهجرة بعدما آمنوا فبقوا إلى فتح مكة فأتوا ووجدوا الصحابة الذين أسلموا معهم كلهم صاروا فقهاء علماء يعلمون ويهدون الناس وهم ما زالوا في البداية فندموا على ذلك وحاولوا أن يوقعوا العقوبة على أزواجهم[1]. قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم بالتخلف عن الخير كالجهاد والهجرة ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم فلم تعاقبوهم و لم تفارقوهم ﴿وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ العدو من يخالف مرادك، إذا اختلفتم في المقاصد هذا أول العداوة، والزوجة مخالفة للزوج في مراده غالبا حتى هذا المجلس لو فعلنا ما تحب النساء لبقينا عندهن ولا نأتي للمسجد، لاسيما الجهاد، لاسيما الإنفاق، لاسيما أشد من ذلك، والمخالفة في القصد رأس العداوة فإذاً الأزواج والأولاد كثير منهم أعداء تجب مخالفتهم ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد. وقف الرسول

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية: "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم" قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم" الآية. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة التغابن (3239). انفرد به.

صلى الله عليه وسلم على المنبر خطيبا فنظر فإذا الحسن مقبل يعثر بثوبه ويسقط، فما ملك الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حتى نزل عن المنبر وتلقى الصبي وحمله حتى رجع إلى المنبر وهو يحمله فقرأ هذه الآية «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» لما رأيت الصبي يعثر في ذيله ما ملكت نفسي حتى حملته وهذه فتنة الأبرار[1]. ووقع له مرة ثانية كان التكبير للصلاة يوم العيد تكبيرة واحدة كسائر الصلوات، والحسن نشأ وتأخر نطقه، كبُر ولم يتكلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يحبه ويصاحبه، فصاحبه إلى مصلى العيد، فلما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: الله أكبر، قال الحسن: الله أكبر قال الرسول صلى الله عليه وسلم الله أكبر قال الحسن الله أكبر، فصار يكرر حتى كبر المصطفى صلى الله عليه وسلم سبع تكبيرات تذكر أنه في الصلاة ومضى في صلاته وبقيت ندبا إلى يومنا هذا «والله عنده أجر عظيم» فلا تفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ "اتقوا الله حق تقاته" نزلت أولا فسره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تشكروه ولا تكفروه وتطيعوه ولا تعصوه وتذكروه ولا تنسوه. قالوا: ومن يطيق هذا يا رسول الله؟ فقال: «اتقوا الله ما استطعتم» قيل نَسخت "اتقوا الله حق تقاته" وقيل لا بل

1 – أخرج الترمذي في سننه من حديث أبي بريدة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: (صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما). أخرجه الترمذي: كتاب المناقب/ باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (3707). وفي سنن النسائي: كتاب صلاة العيدين/ نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة (1567).

مفسرة لها، من اتقى الله ما استطاع فقد اتقى الله حق تقاته[1]. الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطبه الجليل "فاستقم كما أمرت" لأنه قوي. وهو يخاطبنا استقيموا ولن تحصوا[2] لم تقدروا، اتقوا الله ما استطعتم فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقى الله، والناس على أقسام: عامي إذا اتقى الله تاب إلى الله تبارك وتعالى وخرج من كل خلق دني إلى كل خلق سني، والخواص يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي ظاهرا وباطنا من حيث يرضى لا من حيث ترضى، وخواص الخواص لو خطر غير الله في قلوبهم سهوا لحكموا بأنهم مرتدون كما يقول ابن الفارض:

فلو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهوا حكمت بردتي[3]

---

1 - أخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله عز وجل: "اتقوا الله حق تقاته" قال: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ باب شرح معنى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته" (3209). وقال القرطبي في الجامع: وذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول لله من يقوى على هذا؟ وشق عليهم، فأنزل الله عز وجل "فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية عن قتادة والربيع وابن زيد، قال مقاتل: وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذه الآية وقيل إن قوله فاتقوا الله ما استطعتم بيان لهذه الآية والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم وهذا أصوب. تفسير القرطبي ج157/4 وفي تفسير الثعالبي ج308/4: قوله سبحانه: "فاتقوا الله ما استطعتم" تقدم الخلاف هل هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: "اتقوا الله حق تقاته" أو ليست بناسخة بل هي مبينة لها وإن المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم وهذا هو الصحيح قال الثعلبي قال الربيع بن أنس ما استطعتم أي جهدكم.

2 - أخرج ابن ماجه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها/ باب المحافظة على الوضوء (273).

3 - البيت لابن الفارض من تائيته الكبرى المسماة بنظم السلوك والتي مطلعها:

سقتني حميـــا الحب راحةَ مقلتي ... وكأسي محيا من عن الحسن جلت.

وقد تقدم في الدرس 9.

أي الردة في مقامه لا الردة إلى الكفر ﴿وَاسْمَعُواْ﴾ ما أُمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا﴾ يكن الإنفاق خيرا ﴿لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن السخاء شجرة أصلها في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى ينتهي إلى الشجرة فيدخل الجنة، والشح كذلك شجرة في النار أغصانها في الدنيا فمن كان شحيحا أخذ بغصن من أغصانها حتى يدخله النار[1] ﴿إِن تُقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ من العشرة إلى سبعمائة إلى أكثر من ذلك. والقرض سماه قرضا لتتحقق بالجزاء. ذكر الرسول أنه ليلة أسري به رأى مكتوبا على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقال يا جبريل ما بال القرض أكثر ثوابا من الصدقة والمصدق أعطى ماله وخرج منه تماما والمقرض سيرجع إليه ماله وهو أكثر ثوابا؟ قال جبريل: لأن الصدقة ربما دفعتها إلى شخص ليس بمحتاج إليها في الحال، والمقترض لا يقترض إلا لحاجة[2]. القرض لا يكون إلا للحاجة فلهذا جاء القرض أكثر ثوابا من الصدقة، فلهذا سمى الله الصدقة قرضا لتتحقق بالجزاء والمضاعفة «يضاعفه لكم» ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة

---

[1] – (السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار). للدارقطني عن علي والبيهقي عن أبي هريرة. الجامع الصغير ج2/رقم (4803).

[2] – أخرج ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا: الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة). سنن ابن ماجه: كتاب الأحكام/ باب القرض (2422). وقد تقدم في الدرس 6.

﴿حَلِيمٌ﴾ يؤخر العقاب على المعصية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

سورة الطلاق

مدنية ثلاث عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ النداء للنبي والخطاب لنا أو نزل في النبي صلى الله عليه وسلم نفسه. إن الرسول صلى الله عليه وسلم طلق حفصة بنت عمر، فاشتد ذلك على عمر فصار يقول يا ويح آل الخطاب لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم خيرا لما طلق بنتهم[1]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل يبعد عن النساء لا تحضر معه امرأة إلا عائشة قد تكون معه في لحاف واحد وينزل عليه جبريل فكانت ممن يرى جبريل[2].

---

1 - نقل القرطبي في الجامع قول عمر: لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك. تفسير القرطبي ج187/18. وللسيوطي في الإصابة: روى موسى ابن علي عن أبيه عن عقبة ابن عامر قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر فحثا التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل من الغد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر. الإصابة/ ترجمة أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين (11048).

2 - أخرج الحاكم في المستدرك عن مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبريل عليه الصلاة والسلام واقفا في حجرتي هذه، ورسول الله يناجيه، فلما دخل قلت: يا رسول الله من هذا؟ قال: «بمن شبهته»؟ قلت: بدحية الكلبي، قال: «لقد رأيت خيرا كثيرا ذاك جبريل عليه السلام» فما لبثت إلا يسيرا حتى قال:

بعض الصحابة كانوا يرون جبريل، والذين رأوا جبريل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلهم عموا بعد ذلك حتى عائشة عميت في آخر عمرها لأنها رأت جبريل، وابن عباس وآحاد من الصحابة، فجاء جبريل فقالت له عائشة: يا جبريل قل لربك يأمر النبي صلى الله عليه وسلم باسترجاع حفصة فذهب جبريل ورجع وقال: إن ربك يأمرك باسترجاع حفصة بنت عمر فإنها قوامة صوامة وهي من نسائك في الجنة[1]. فراجعها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تسامي عائشة. وكانت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأين عائشة وقفن لها تعظيما لها إلا حفصة، فخاطبتها يوما: ما بالك كل النساء يقفن تعظيما لي إلا أنت؟ قالت لأنك بنت أبي بكر وأنا بنت عمر وكلتانا زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت نعم ولكن لما طلقك الرسول صلى الله عليه وسلم أنا التي أرسلت إلى الله تبارك وتعالى أن النبي يراجعك، فصارت تقف لها كما تقف لها سائر النساء. هذا في قضية التحريم التي ستأتي في السورة التي بعد هذه تطاول الأمر حتى طلق الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر وبعد ذلك أمره الله بمراجعتها فراجعها «يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي في طهر لم تمس فيه. الطلاق في الحيض طلاق البدعة، تمسكها حتى تحيض وتطهر طهارة ما مسستها فيها، فتطلق واحدة وتقصد الرجعة، ومندوب أن تشهد شاهدين على

«يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام» قالت: قلت: وعليه السلام جزاه الله من دخيل خيرا. الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة/ رؤية عائشة جبريل وسلامه عليها (6777).

1 - أخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: يا محمد طلقت حفصة وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة فراجعها. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة/ نزول جبريل لفسخ طلاق حفصة (6813).

أنك تريد الرجعة، وإن طلقت طلقة واحدة لا تقصد الرجعة فهذه طلقة بائنة لك أن تجدد العقد، وإذا طلقت ثلاثا فلا يجوز أن تنكحها حتى تنكح زوجا غيرك ﴿وَأَحْصُواْ الْعِدَّةَ﴾ احفظوها لتراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَّأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنى ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَّتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ لأنه عرضها إلى عقاب الله ﴿لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ أمر الله بأن تطلق واحدة وتنوي الرجعة لأن الإنسان يغضب ويظن أنه فرغ من المرأة وبعد هذا تراجعه محبة، لا تدري ماذا يحدث إذاً فطلقْ طلقة واحدة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق، إذا أردت أن تطلق فأشهد ذوي عدل أنك تريد الرجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُواْ الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه أو له. النكاح عقد بمهر وولي وشهود. الشهادة في النكاح ما جاءت في القرآن. ذكر النكاح ولم يذكر الإشهاد ولكن في الطلاق قال: "وأشهدوا ذوي عدل منكم" والطلاق فرع من النكاح فلما نص على الشهود في الطلاق تبين من ذلك أن العقد يجب أيضا فيه الإشهاد. فالنكاح في الشريعة المحمدية لابد من زوج وامرأة خالية من عصمة وعدة وعقد ومهر وشاهدين على الأقل، إذا اجتمع خمسة فهذا عقد شرعي «وأقيموا الشهادة لله» ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ لأنه هو المنتفع به ﴿وَمَنْ يَّتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله. إن الله تبارك وتعالى تكفل للعبد المتقي أن يخرجه من كل

كرب من كرب الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يحتسب لا يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهْوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغٌ أَمْرَهُ﴾ مراده ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ميقاتا. ﴿وَاللَّائِي﴾ اللواتي ﴿يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ﴾ المرأة المتجالة التي لا ترى الحيض ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن كذلك عدهن ثلاثة أشهر ﴿وَأُوْلاَتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ والمرأة الحامل إذا نفست انقضت عدها. أبواب العدة هكذا إن كانت عدة طلاق وهي حرة ترى الحيض فثلاثة قروء: تحيض وتطهر، تحيض وتطهر، تحيض وتطهر، ثلاث مرات هذه ثلاثة قروء. وإن كانت يائسة لا ترى الحيض فثلاثة أشهر، وإن كانت صغيرة لم تر الحيض: كذلك ثلاثة أشهر. وإن كانت حبلى فأن تضع حملها. وإن كانت مرضعة ولا ترى الحيض ما دامت ترضع فعدها سنة بيضاء تسعة أشهر حتى تتحقق بعدم الحمل وثلاثة أشهر بعد ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا أَسْكِنُوهُنَّ﴾ المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ﴾ ﴿مِنْ وُّجْدِكُمْ﴾ المرأة إذا طلقت تبقى في سكنها حتى تنقضي عدها ﴿وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلاَتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾ للأب ﴿أُخْرَى﴾ امرأة أخرى ولا تكره الأم على إرضاعه ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات

والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ من كان كثير المال ينفق نفقة كاملة ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ضيق عليه رزقه ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتوح ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ بمعنى كم ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ كثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت يعني أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ عصوا الله تبارك وتعالى ﴿وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا﴾ في الآخرة ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عبر بالماضي لتحقق وقوعه ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسارا وهلاكا ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد بالتوكيد ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نعت للمنادى ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن ﴿رَسُولاً﴾ أرسل رسولا هو محمد صلى الله عليه وسلم. أنزل ذكرا وأرسل رسولا ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ إن الله تبارك وتعالى خلق السماوات سبعا ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبع أرضين أيضا ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾ أعلمكم ذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

سورة التحريم

مدنية اثنتا عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ سبب نزول هذه السورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عنده جارية تسمى مارية القبطية أهدى بها المقوقس الملك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه حتى ولدت إبراهيم. والرسول صلى الله عليه وسلم ليس له بيت خاص به، فهو فهم معنى الرسول وأنه رسول فقط، والرسول لا يبني بيتا، أزواجه التسع كل واحدة منهن لها بيت وهو صلى الله عليه وسلم كلما أتت نوبة واحدة منهن انتقل إلى بيتها، ومارية جارية ليس لها بيت، ويوم من الأيام استأذنت حفصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزور أباها فأذن لها الرسول صلى الله عليه وسلم فذهبت، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتها ودخلت معه مارية الجارية، فلما رجعت حفصة ورأتهما غضبت غضبا شديدا وقالت: في نوبتي في بيتي في يومي؟ هذا لا أقبله أبدا. صار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعتذر لها فيزداد غضبها حتى قال لها: أيرضيك أن أحرمها؟ قالت: نعم. قال: حرمتُها وأبشرك أني إذا مت يكون أبو بكر هو خليفتي وبعد أبي بكر أبوك، وهذا كلا لا تخبري به أحدا وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم يظن أن الأمر انتهى، فلما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم قرعت باب عائشة وقالت لها: أبشركِ أن

الرسول حرّم جاريته مارية القبطية وأخبرني بكذا وكذا فنزلت هذه الآية[1].
وسبب ثان أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل، وكان عند زينب بنت جحش عسل، فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم عليها فسقته عسلا وجلس يشرب العسل حتى طال مكثه في بيتها، فغارت عائشة وحفصة، وقالت إحداهما للنساء: رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض شيء عنده أن يقال له فيك رائحة كريهة إذا خرج من شرب العسل يدنو مني لا محالة فإذا دنا مني سوف أقول له فيك رائحة كريهة ويبعد مني، وإذا دنا من واحدة منكن فلتقل له مثلما قلتُ فيحرِّم العسل فنستريح من جلوسه في بيت زينب لشرب العسل. فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ودنا من عائشة فقالت: يا رسول الله فيك رائحة كريهة.

1 - جاء في الدر المنثور للسيوطي أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن الضحاك أن حفصة زارت أباها ذات يوم وكان يومها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجدها في المنزل فأرسل إلى أمته مارية فأصاب منها في بيت حفصة، وجاءت حفصة على تلك الحال فقالت: يا رسول الله أتفعل هذا في بيتي وفي يومي؟ قال: فإنها علي حرام ولا تخبري بذلك أحدا فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها بذلك فأنزل الله: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" إلى قوله "وصالح المؤمنين" فأمر أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته. وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي هريرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية سريته بيت حفصة فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي من بين بيوت نسائك؟ قال: (فإنها علي حرام أن أمسها واكتمي هذا علي) فخرجت حتى أتت عائشة فقالت: ألا أبشرك؟ قالت: بماذا؟ قالت: وجدت مارية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقلت: يا رسول الله في بيتي من بين بيوت نسائك؟ فكان أول السر أنه أحرمها على نفسه ثم قال لي يا حفصة ألا أبشرك فأعلمي عائشة أن أباك يلي الأمر من بعده وأن أبي يليه بعد أبيك وقد استكتمني ذلك فاكتميه فأنزل الله: "يا أيها النبي لم تحرم" إلى قوله "غفور رحيم". الدر المنثور ج216/8-217.

قال: لا، أنا شربت عسلا فقط. قالت: لعل نحله جرستْ العرفط[1]. لعل عسلك هذا من شجرة رائحتها كريهة. فتباعد الرسول صلى الله عليه وسلم عنها ودنا من أخرى فقالت مثل ذلك، ودنا من أخرى فقالت مثل ذلك، فلما رجع إلى بيت زينب قالت له: أسقيك من العسل؟ قال: لا، حرمتُه علي. فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ أمتك القبطية أو العسل[2] أيهما تحرم ﴿تَبْتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ رضاهن ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليلها بالكفارة، من حلف أو حرم شيئا على نفسه يُكفِّر بعتق رقبة فقط فيبقى حلالا، أما النبي صلى الله عليه وسلم فلا كفارة عليه فما كفر في هذه القضية لأنه لا كفارة عليه، الكفارة معناها تكفير

---

[1] - في لسان العرب لابن منظور: عرفط: العُرفُطُ شجر العضاه وقيل ضرب منه. وقال أبو حنيفة: من العضاه العرفط وهو مفترش على الأرض لا يذهب في السماء وله ورقة عريضة وشوكة حديدة حجناء وهو مما يلتحى لحاؤه ويصنع منه الأشربة ويخرج في برمه علفة كأنه الباقلي تأكله الإبل والغنم. وقيل هو خبيث الريح وفي ذلك تخبث ريح راعيته وأنفاسها حتى يتنحى عنها، وهو من أخبث المراعي واحدته عرفطة. وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت امرأة فقالت له إحدى نسائه: أكلت مغافير؟ قال لا ولكني شربت عسلا، فقالت جرست إذا نحله العرفطَ. المغافير سمغ يسيل من شجر العرفط حلو غير أن رائحته ليست بطيبة والجرْس الأكل.

[2] - أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن عبيد بن عمير يخبر أنه سمع عائشة تخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا، قالت: فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له. فقال: (بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له) فنزل: "لم تحرم ما أحل الله لك" إلى قوله: "إن تتوبا" لعائشة وحفصة "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا" (لقوله: بل شربت عسلا). صحيح مسلم: كتاب الطلاق/ باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (2694)، صحيح البخاري: كتاب الطلاق/ باب: "يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك (5268).

الذنب وهو غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا كفارة عليه لا يتصور هذا في حقه صلى الله عليه وسلم. وقال مقاتل إنه أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن إنه لم يكفِّر صلى الله عليه وسلم وهذا هو الراجح «لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم» ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ النَّبِيءُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ عائشة ظنا منها أن لا حرج ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ أي النبي صلى الله عليه وسلم ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ تكرما دعا النبي صلى الله عليه وسلم حفصة: ألم أقل لك لا تفشي السر الذي أخبرتك به؟ فقالت: ما رأيت خيرا من عائشة قط تظن أن عائشة نمت به ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ هي تتهم عائشة ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الله فنشزت حفصة وعائشة قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت قلوبكما إلى تحريم مارية سركما ذلك مع كراهية النبي صلى الله عليه وسلم له، وذلك ذنب في حقكما ﴿وَإِن تَظَّاهَرَا﴾ تعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ إن تظاهرت عائشة وحفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فالله ينصر النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ كذلك يأتي ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى أبو بكر وعمر والداكما سيكونان في جانب النبي صلى الله عليه وسلم عليكما ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ جميعا ﴿بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ سيأتي الملائكة أيضا فيعينون النبي صلى الله عليه وسلم، أمر النساء كبير، هذا الجيش العظيم ضد امرأتين

فقط. سأل ابن عباس عمر رضي الله عنهما «إن تظاهرا عليه فإن الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» من هما؟ قال: حفصة وعائشة[1] تطاولتا على النبي صلى الله عليه وسلم واشتد نشوزهما حتى طلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة فأمره الله بمراجعتها (إنها صوامة قوامة ومن نسائك في الجنة)[2] ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ طلق النبي أزواجه ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ الله قادر على ذلك ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ يعطيه الله نساء مسلمات مقرات بالإسلام كمثلكن ﴿مُّؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات كمثلكن ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ﴾ مثل حفصة ﴿وَأَبْكَارًا﴾ مثل عائشة. هذا منصور صلى الله عليه وسلم. انتهت قضية أمر مارية القبطية. النبي صلى الله عليه وسلم ما تزوج من الأبكار إلا عائشة وكانت تقول: يا رسول الله لو رعيت إبلك وأتيت أرضا مخصبة لم ترع قط وأخرى طالما رعاها الرعاة في أيتهما ترتع إبلك؟ قال في الأرض المخصبة التي لم ترع قط. قالت: ذلك صفتي وصفة ما عندك من النساء[3]. وكانت أحب النساء إليه صلى الله عليه وسلم، ولكنه يقسم ويعدل، إذا قسم شيئا

---

1 - جاء في صحيح البخاري عن عبيد بن حنين قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول أردت أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه (4914).

2 - تقدم تحقيقه في سورة الطلاق

3 - أخرج البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في الذي لم يرتع منها تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها. صحيح البخاري: كتاب النكاح/ باب نكاح الأبكار (5077)

بينهن يساوي بينهن تسوية تامة، ويقول (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[1] وهو القلب. أما القلب فكان يميل كثيرا إلى السيدة عائشة، وكان الصحابة عرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب عائشة حبا زائدا، وإذا كان في يوم عائشة في بيتها، تكون الهدية التي تأتيه في ذلك اليوم أوقع في نفسه صلى الله عليه وسلم من كل هدية، فصار الأنصار يدخرون هداياهم إلى يوم عائشة، فإذا كان في بيت عائشة جاءته الهدايا، وكل ما يأتي فهو لها، فغضبت نساء النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمعن وأرسلن أم سلمة أو زينب بنت جحش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نساءه ينشدنه العدل في بنت أبي بكر. فجاءت فكلمت الرسول فما أجابها، تكلمت كثيرا فما أجابها الرسول فسبت عائشة في وجهها فسكتت عائشة، فسبتها فسبتها ثالثة قالت عائشة: فنظرت إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرف هل يحب أن أجيب عن نفسي أو أسكت ففهمت أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن أجيب فأجبتها جوابا فرت من البيت فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال ستعلمون أنها بنت أبي بكر. ثم أرسل النساء فاطمة فدخلت وقالت: نساؤك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر. قال: (أنت بضعتي أتحبين ما أحب؟) قالت:

---

1 - أخرج أبو داود في سننه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول: (اللهم هذا قَسْمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) قال أبو داود يعني القلب. سنن أبي داود: كتاب النكاح/ باب في القسم بين النساء (1822). وفي سنن الترمذي: كتاب النكاح/ باب ما جاء في التسوية بين الضرائر (1059) بلفظ (اللهم هذه قسمتي ..)

نعم أنا لا أحب إلا ما تحب. قال: (إذاً تحبين عائشة فقط)[1]. ويوما ألحجن عليه في أنه لابد أن يقول لهن أيتهن أحب إليه، قال هذا أمر عظيم لابد له من وقت، فدعا قينا أن يصنع له خواتم متشابهة من الفضة حتى أتم تسعة خواتم إذا دخل على واحدة في نوبتها يعطيها خاتما: اكتمي هذا السر عندك لا يعلم أحد أني أعطيتك هذا، إن فعلت هذا ستجدين مني شيئا عظيما. تقول: نعم، لا يعلم أحد بهذا. حتى دار بهن

---

1 - أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فليهده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئا، فقلن لها: فكلميه قالت: فكلمته حين دار إليها أيضا فلم يقل لها شيئا، فسألنها فقالت: ما قال لي شيئا، فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته فقال لها: لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة، قالت فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعي إليه فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينظر إلى عائشة هل تكلم قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، قالت فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وقال: إنها بنت أبي بكر. صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها/ باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض (2581) وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب في فضل عائشة (4472) وفي لفظه: (أي بنية ألا تحبين ما أحب قالت بلى، قال فأحبي هذه). تقدم في الدرس12.

جميعا فرجعن وقلن له: سألناك أن تقول لنا أينا أحب إليك؟ فقال: التي دفعت لها الخاتم، فرجعن كلهن مسرورة وكلما دخل على واحدة منهن تقول له ستثير فتنة عظيمة الناس سيعلمون أنك تعنيني. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ قوا أنفسكم بحوها من النار، قيل يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: بأن تقولوا يا أهلاه صلاتكم، صيامكم، زكاتكم، مسكينكم، يتيمكم[1] ﴿عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ﴾ خزنتها عدهم تسعة عشر كما سيأتي في سورة المدثر ﴿غِلاَظٌ﴾ من غلظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ الملائكة ليس فيهم مخالفة لأنه ليس فيهم نفس، لا أكل ولا شرب ولا شهوة. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَعْتَذِرُواْ الْيَوْمَ﴾ هذا يقال له يوم القيامة لا ينفع العذر ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جزاء ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿النَّبِيءَ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يوم القيامة وهو يوم يكرم الله المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه ومن ﴿مَعَهُ﴾ ولا يخزيهم ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يكون النور أيضا ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ لما رأوا أن المنافقين طفئ نورهم، يتضرع المسلمون إلى الله يطلبون إتمام نورهم إلى أن يصلوا إلى الجنة

1 - ذكره الثعالبي في تفسيره: قوله سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا" الآية قوا معناه اجعلوا وقاية بينكم وبين النار وقوله وأهليكم معناه بالوصية لهم والتقويم والحمل على طاعة الله وفي الحديث (رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم) تفسير الثعالبي ج4/316.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالجهاد جهاد الكفار وجهاد المنافقين، وأمره بالغلظ عليهم، وهذا الغلظ عليهم تعليم الحرب فقط، في ميدان الحرب لا يحسن إلا هذا، ولا ينافي أن النبي صلى الله عليه وسلم يعامل الناس معاملة طيبة. هو نبي الرحمة ورحيم بالناس كلا. هذا خطاب في ميدان القتال الذي لا يحسن فيه لين، ولا تحسن فيه رحمة، لا يحسن فيه إلا الغلظ أمام العدو. سؤال: الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره الله تبارك وتعالى بالغلظ «واغلظ عليهم» وموسى وهارون يأمرهما باللين "فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" الجواب أن موسى كان غليظا طبعا فأمر باللين، فإذا أمره الله باللين فتكلف اللين يكون معتدلا، والرسول صلى الله عليه وسلم كان هينا لينا فأمره الله بالغلظ، إذا تكلف أن يغلظ وهو لين يكون معتدلا وخير الأمور أوساطها[1]، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا مثل في القرآن للكافرين ﴿اِمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ اسمها واهلة بالهاء ﴿وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ واسمها واعلة بالعين ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ كلتاهما زوجة لنبي من أنبياء الله عبد من عباد الله الصالحين ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين إذ كفرتا، كانت امرأة نوح تقول لقومه إنه مجنون لا تلتفتوا إلى ما يقول، وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ونهارا بالتدخين. أما الخيانة بالفاحشة هذا لم يكن، ما ابتلى الله قط نبيا بزوجة تعمل الفاحشة أبدا لأن هذا قدح في الشريعة، في شرائع الأنبياء كلا. فالخيانة في الآية إنما قول زوجة

---

1 - (خير الأمور أوساطها) مصنف ابن أبي شيبة/ حديث مطرف بن الشخير (30918)، وأخرجه السيوطي في الجامع الكبير ج1/151. تقدم في الدرس30.

نوح إن نوحا مجنون وكون واعلة زوجة لوط تُعلم الكفار بمجيء الضيوف عند لوط ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ وفائدة المثل أن تعلم المرأة أن الزوج الصالح الخيّر لا ينفع زوجة تخالف أمر الله وتخالف دين الله في شيء يوم القيامة. لو كان عمل الزوج ينفع الزوجة الكافرة العاصية لنفع نوح ولوط زوجتيهما. وعمل السوء من الزوجة لا يضر الزوج الصالح حيث أن هاتين المرأتين كافرتان وما ضر ذلك شيئا في مقام نوح ولا في مقام لوط "ولا تزر وازرة وزر أخرى" هذا هو مصب المثل. العبدان بقيا عبدين لله صالحين في الدرجات العلى. والزوجتان قيل لهما «ادخلا النار مع الداخلين» أي كفار قوم نوح وكفار قوم لوط. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ اِمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ كذلك العكس المرأة الصالحة إذا كان زوجها كافرا لا يضر ذلك مقامها. امرأة فرعون آمنت بموسى واسمها آسية فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس حتى ماتت فكانت تظللها الملائكة في أثناء عذابها[1]، هذه لم يضرها فرعون مع سوء حاله ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ حال التعذيب ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف لها فرأته وهي حية فسهل عليها التعذيب ما أحست بالألم ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ آسية آمنت بموسى وأحبته وتعلقت به وتمسكت بدينه فعذبها فرعون أشد العذاب، فطلبت من الله تبارك وتعالى أن يبني لها بيتا عنده في الجنة فصاح الملائكة: يا رب أمتك تعذب فيك و لم تطلب منك إلا بيتا. فقال الله: تأملوا كلامها، هي ما طلبت بيتا في الجنة فقط بل بيتا عندك في الجنة. بيت في الجنة

---

1 – ذكره جلال الدين المحلي في الجلالين. من حاشية الصاوي على الجلالين ج224/4.

طيب، وبيت في الجنة عند الله أطيب من كل بيت[1]. العبد إذا نظر في وقته هو عند الله ليس فيه إلا الله حتى في الدنيا يكون طيبا فكيف ببيت في الجنة صاحبه عند الله تبارك وتعالى؟ هذا مطلب عظيم. «وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ» تعذيبه «وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أهل ملته فقبض الله روحها ورفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب في الجنة وهي من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم هي ومريم وكلثوم أخت موسى. رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقال لخديجة: أعلمتِ أن الله تبارك وتعالى زوجني بمريم بنت عمران أم عيسى وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وكلثوم بنت عمران أخت موسى بن عمران؟ قالت: بالرفاء والبنين[2]. هذه ترقت. ﴿وَمَرْيَمَ﴾ اذكر مريم عطف على امرأة فرعون ليس في القرآن اسم امرأة إلا مريم، ذكرت في القرآن ثلاثين مرة لبيان أنها أمة ليست بزوجة، فالكبير لا يصرح باسم زوجته في الملإ، فلما كرر اسم مريم علمنا أنها أمة[3]

---

[1] - نزهة المجالس ص73.

[2] - أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن ابن أبي رواد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة رضي الله عنها في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: (بالكره مني ما الذي أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا: أما علمت أن الله عز وجل زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وكلثم أخت موسى) قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: (نعم) فقالت: بالرفاء والبنين. رواه الطبراني، مجمع الزوائد (84251).

[3] - قال القرطبي في تفسيره ج22/6-23: لم يذكر الله عز وجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ فإن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملإ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله باسمها ولم يكنِّ عنها بالأُمُوَّة والعبودية التي هي صفة لها وأجرى الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها.

﴿ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ما مسها رجل قط ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فِعْلَه الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى. مريم ابنة عمران حملت من نفخ روح الله فولدت عيسى بن مريم.
إن الله تبارك وتعالى ذكر في القرآن النفخ في طين آدم منه فجاء آدم بشرا بعدما كان جمادا وصار خليفة عن الله تبارك وتعالى، ونفْخ جبريل في جيب مريم فحملت بعيسى روح الله فنفسته فحملته "فأتت به قومها تحمله" فتكلم في المهد وقال "إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئا وجعلني مباركا أينما كنت" ونفخ عيسى في الطين فصار طيرا بإذن الله تبارك وتعالى، ورد في الحديث (أول ما خلق الله الروح) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الروح فقال: (هو منزلته من الملائكة منزلة الملائكة منكم) أي خلق عظيم يحفظ الملائكة كما تحفظ الملائكة بني الإنسان[1]، وذلك الروح هو روح محمد صلى الله عليه وسلم، هو الروح الذي نفخ في آدم حتى صار بشرا، والروح الذي نفخ في مريم حتى ولدت عيسى بلا زوج، وهو الروح الذي نفخ في النطفة حتى صارت ولدا إنسانا. معنى ذلك أن الله خلق محمدا لنفسه وخلق الأشياء لمحمد (أنا من نور الله والمؤمنون من نوري)[2]، أول ما أوجد الله هذا النور، وهو هذا الروح، وهو الملك الكروبي في بعض الأحاديث،

---

1 - جاء في تفسير القرطبي ج133/20: حكى القشيري أن الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وأن الملائكة لا يروهم كما لا نرى نحن الملائكة.

2 - عن القرطبي: قال أنس قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى خلقني من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر وخلق المؤمنين من أمتي من نور عمر وخلق المؤمنات من أمتي من نور عائشة فمن لم يحبني ويحب أبا بكر وعائشة فماله من نور) فنزلت "ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور". تفسير القرطبي ج286/12.

وهو الدرة البيضاء في بعض الأحاديث، وهو العقل في بعض الأحاديث، وهو الحقيقة المحمدية، عبارات مختلفة والمعنى واحد[1]. فعيسى أبوه حقيقة هو محمد صلى الله عليه وسلم لهذا القرب ما كان بينهما نبي، وتزوج صلى الله عليه وسلم بأمه في الجنة، عادتنا نحن التزويج يسبق الولد ولكن هذا الولد ولد قبل أن يتزوج أبوه بأمه ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكِتَابِهِ﴾ المنزلة، إن مريم كانت صديقة وآمنت بالله وبجميع أنبيائه ورسله وكتبه المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من القوم المطيعين لله تبارك وتعالى. هي امرأة في هيكل ذكر، امرأة في قوة الرجال فلهذا لم يقل وكانت من القانتات بل «وكانت من القانتين» الجمع مذكر، إنما الصورة صورة امرأة وهي في الحقيقة رجل من الرجال، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا قليل مريم ابنة عمران وآسية بنت

---

[1] - جاء في تفسير روح البيان ما نصه: وأما قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة، وأول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله العقل، وأول ما خلق الله القلم، وقول بعض الكبراء من الأئمة إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا كما قيل لخالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام وقول الله تعالى "يوم يقوم الروح والملائكة صفا" وقد جاء في الخبر أن الروح ملك يقوم صفا فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر، ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله (لولاك ما خلقت الكون)... إلى أن قال بعد كلام: فيلزم من ذلك أن يكون روحه صلى الله عليه وسلم أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة، فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر: أول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا، وباعتبار نورانيته سمي نورا، وباعتبار وفور عقله سمي عقلا، وباعتبار غلبة الصفات الملكية عليه سمي ملكا، وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلما... من تفسير روح البيان ج5/ 199. وقد تقدم في الدروس13 و30و40.

مزاحم زوجة فرعون)[1] واختلف في أي هذه النساء أفضل. مريم قال الله في حقها "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين"، "إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين" ولكن يعني عالم زمانها. وآسية فضلها الله ولكن في عالم زمانها، وخديجة في عالم زمانها، وأفضل النساء مطلقا هي السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أنت سيدة النساء كما كنت سيد الرجال)، لأنها بضعة من الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وعائشة ورد فيها حديث (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[3] ولكن كلهن في عالم زمانها واختلف في خديجة وعائشة أيهما أفضل، خديجة من نظر في قيامها في بداية الوحي ونصرتها للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنها بمنزلة هارون من موسى، من نظر في هذا وأنها أم أولاده صلى الله عليه وسلم ما عدا إبراهيم. أهل المحبة يفضلون خديجة. وعائشة التي حملت ثلثي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. العلماء

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي موسى (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة (3411) وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل خديجة أم المؤمنين (4459). وورد في شرح ابن حجر لحديث البخاري قوله: وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة بعد قوله "ومريم ابنة عمران" "وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا.

2 - قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج ابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع نسوة سيدات عالمهن: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهن عالما فاطمة) الدر المنثور ج2/194.

3 - تقدم قريبا

يفضلون عائشة على خديجة وكلهن أفضل منها فاطمة التي هي بضعة من الرسول صلى الله عليه وسلم[1] وخلفت الرسول صلى الله عليه وسلم حملت الخلافة ستة

---

1 - قال الألوسي في روح المعاني بعد توجيه الأحاديث الواردة في أفضل نساء العالمين: والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث أنها بضعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل ومن حيثيات أخر أيضا، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات وبه يجمع بين الآثار وهذا سائغ على القول بنبوة مريم أيضا إذ البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول، ومن هنا يعلم أفضليتها على عائشة رضي الله تعالى عنها الذاهب إلى خلافها الكثير محتجين بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء، وقوله عليه الصلاة والسلام: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام، وبأن عائشة يوم القيامة في الجنة مع زوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاطمة يومئذ مع زوجها علي كرم الله وجهه وفرق عظيم بين مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام علي كرم الله تعالى وجهه، وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال وأنه ليس بنص على أفضلية الحميراء على الزهراء وأما أولا فلأن قصارى ما في الحديث الأول - على تقدير ثبوته - إثبات أنها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام ولعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لا تبقى بعده زمنا معتدا به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك ولو علم لربما قال خذوا كل دينكم عن الزهراء وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته وإلا لكانت عائشة أفضل من أبيها رضي الله تعالى عنه لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل لقلة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن قوله عليه الصلاة والسلام: إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى، كيف لا وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة. وأما ثانيا فلأن الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضلية غيرها رضي الله تعالى عنها عليها فقد أخرج ابن جرير عن عمار بن سعد أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف لأن ذلك الخبر وإن كان ظاهرا في الأفضلية لكنه قيل ولو على بعد إن أل في النساء فيه للعهد والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث. وأما ثالثا فلأن الدليل

أشهر بعد وفاة أبيها قبل أن يتوفاها الله تبارك وتعالى صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم جميعا. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعا ولا قائل به. وبعد هذا كله الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة ثم عائشة، بل لو قال قائل إن سائر بنات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأسا، وعندي بين مريم وفاطمة توقف نظرا للأفضلية المطلقة وأما بالنظر إلى الحيثية فقد علمت ما أميل إليه. وقد سئل الإمام السبكي عن هذه المسألة فقال: الذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل ثم أمها ثم عائشة، ووافقه في ذلك البلقيني وقد صحح ابن العماد أن خديجة أيضا أفضل من عائشة لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة حين قالت: قد رزقك الله تعالى خيرا منها، فقال لها: لا والله ما رزقني الله تعالى خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس وأزيد هذا بأن عائشة أقرأها السلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها. روح المعاني ج3/ 155.

الدرس الثاني والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري	لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة	تأتي لنا بالظفر

سورة الملك

مكية ثلاثون آية

وتسمى سورة تبارك وسورة الواقية والمنجية والمانعة، لأنها تمنع صاحبها وتنجيه من عذاب القبر[1]. قال الرسول صلى الله عليه وسلم (وددت أن سورة الملك في قلب كل مؤمن)[2] وهي ثلاثون آية فإنها تمنع صاحبها من عذاب القبر. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أنزل سورتين كلتاهما فتحها بقوله

1 - روى الترمذي في سننه عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل سورة الملك (2815).

2 - روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وددت أن سورة تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن). تفسير الثعالبي ج318/4 ونقله عنه القرطبي في تفسيره ج205/18.

"تبارك" وتبارك معناه كثرت خيراته، أو تعالى تنزه عن صفات المحدَثين. الله تبارك وتعالى متصف بجميع صفاته اللائقة به ومنزه عن جميع صفات المحدَثين. أولا "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده" وهذه «تبارك الذي بيده الملك» فالعالم دائما تقوم فيه دولتان: دولة ظاهرة لأرباب الدول، ودولة باطنة للمتمسكين بالقرآن لأن الله هو الملك الحق. وهو ظاهر وباطن فظاهر مملكته للملوك وباطنها للعلماء ورثة الأنبياء خلفاء الله في الأرض. فكل دولة ظاهرة قائمة بقوة دولة باطنة، فأهل الدنيا مددهم وقوامهم يأتيهم من أهل الله، فالمشهورون في بركة المستورين. ﴿تَبَارَكَ﴾ تنزَّه عن صفات المحدثين ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ تصرفه ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وصف نفسه جل وعلا أن بيده الملك وهو السلطان والقدرة هو المالك وهو الملِك، كل ملِك مالك وليس كلّ مالكٍ ملِكا، المالك من يملك الشيء مصدره الْمِلك، والملِك هو السلطان مصدره المُلك. والمُلك والملِك كلاهما لله تبارك وتعالى. فالدنيا والآخرة وما بينهما والموجود والمعدوم بيده تبارك وتعالى فاقتضى أن يكون قادرا على كل شيء فقال: «وهو على كل شيء قدير» ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ هذا الملِك الحق هو الذي خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة أو هما في الدنيا وفي الآخرة معا خلق الموت أولا: الإنسان كان نطفة فنفخ فيه الروح فصار حيا ليعلم أن الذي أخرجه حيا بعدما كان ميتا يقدر أن يميته ثم يحييه بعد ذلك. الموت والحياة من خلق الله تبارك وتعالى في الدنيا وفي الآخرة معا، موتتان وحياتان كما تقدم في الآية. والموت والحياة معنيان يتعاقبان إذا جاء أحدهما ذهب بالآخر. إذا أتى الموت ذهب بالحياة وإذا أتت الحياة ذهبت بالموت. هما معنيان ولا ينافي ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار جيئ بكبش هو الموت ونودي يا أهل الجنان يا

أهل النيران هذا هو الموت فذبحوه فلا موت بعد، ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد فرح أهل الجنة ويزداد حزن أهل النار)[1] هذا الموت الذي هو معنى يشخصه الله على صورة كبش وليس هو الموت حقيقة إنما الله قادر على أن يجعل ذلك الموت الذي كان يذهب بالحياة على صورة كبش كما جعل الحياة على صورة فرس كان يركبه جبريل إلى الأنبياء، وهو الفرس الذي أخذ السامري تراب أثر حافره فجعله في العجل الذي صاغه لقومه فعبدوه[2]. الحياة على صورة فرس والموت على صورة كبش[3] ولا ينافي أنهما معنويان ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ خلق الموت وخلق الحياة ليختبر الناس أيهم أحسن عملا. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو أحسن عملا ؟

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ "وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون") صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله "وأنذرهم يوم الحسرة" (4730) وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (5087).

2 - وردت قصته في سورة طه. انظر الدرس33.

3 - وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله "والذي خلق الموت والحياة" قال الحياة فرس جبريل عليه السلام والموت كبش أملح. الدر المنثور ج234/8.

فقال أورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله[1]. أعقل الناس أحسنهم عملا، والناس على أربعة أقسام: من مقصوده في عمله قولا ونية: الدنيا، هذا سيئ العمل؛ ومن مقصده في عمله قولا وفعلا الآخرة هذا حسن العمل؛ ومن مقصده قولا الآخرة ونية الدنيا هذا أسوأ عملا؛ من يقول خلاف ما في قلبه المنافقون. ومن مقصده في عمله وجه الله قولا ونية فهذا أحسنهم عملا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ دل على قدرة الله تبارك وتعالى تصرفه في الملك والملكوت وخلقه الموت والحياة للاختبار وأيضا خلق سبع سماوات طباقا بعضها فوق بعض غير مماسة، وترون السماء هاهي بلا عماد ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لهن أو لغيرهن ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ تباين وعدم تناسب، السماء والأرض وكل ما خلق الله تجده في غاية الحكمة، لا تفاوت ولا عدم تناسب فيما خلق الله ﴿فَارْجِعْ﴾ أعد ﴿الْبَصَرَ﴾ إلى السماء ﴿هَلْ تَرَى﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق. هذه السماء التي بقيت هذه المدة الطويلة مدة عمر الدنيا وهي سقف لا عماد فيها، تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، ويسكن فيها الملائكة، ويختلف فيها الليل والنهار، والصيف والشتاء، من قديم الزمن إلى يومنا هذا، لا تجد شقوقا ولا انصداعا هذا دليل على قدرة الصانع. نحن نصنع قدر هذا البيت الذي نحن فيه، فيه كثير من الأعمدة وفي أعوام قلائل نجد فيه انشقاقا وانصداعا. ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أرجع البصر إلى السماء الكرة بعد الكرة ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلا لعدم إدراك خبر. من نظر إلى

---

1 - قال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن أيكم أحسن عملا أزهدكم في الدنيا تفسير الثعالبي ج319/4. وقال القرطبي عن ابن عمر : تلا النبي صلى الله عليه وسلم "تبارك الذي بيده الملك" حتى بلغ "أيكم أحسن عملا" فقال: أورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله. القرطبي ج207/18.

السماء يتطلب عيبا فيها يرجع بصره الكرة بعد الكرة أي كرات كثيرة، التثنية للتكثير، ولا يجد ما يطلب فيرجع خاسئا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية الخلل ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ والسماوات سبع والسماء شفافة كالزجاج. فالنجوم ليست في السماء الدنيا ولكن السماء شفافة فإذا كانت النجوم وراء السماء الدنيا كالقول إنها في السماء الرابعة فالسماء ترينا النجوم نيرة، والسماء الدنيا على كل حال مزينة بالكواكب ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله، لا أن الكواكب تزول عن مكانها، النجوم لها فوائد فهي تكسب السماء الدنيا التي تلي الخلق جزء من النور في الليل، فإذا وقع سحاب حال بين الناس وبين النجوم، تجد الناس في غاية الضيق من شدة الظلمة. فضوء النجوم يستضيئون به، هذه من فوائد النجوم، وفائدة ثانية ترجم الشياطين وتطردهم عن استراق السمع من السماء. كانت الشياطين يصعدون إلى السماء، فحجبوا عن السماوات الأربع لما رفع عيسى، وحجبوا عن السماوات الثلاث الباقية لما ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاروا يطردون بالنجوم تحرقهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم[1]، وهذا لا ينافي أن الكواكب كانت تلقي هذه الشهب قبل النبوة. جلس النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فوقع شهاب من الكوكب

---

[1] – قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث (4921) من كتاب تفسير القرآن/ بعد أن ذكر الخلاف في متى حجبت السماء عن الشياطين، قال: ثم وجدت عن وهب بن منبه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأخبار، قال: كان إبليس يصعد إلى السماوات كلهن يتقلب فيهن كيف شاء لا يمنع منذ أن أخرج آدم إلى أن رفع عيسى فحجب حينئذ من أربع سماوات، فلما بعث نبينا حجب من الثلاث، فصار يسترق السمع هو وجنوده ويقذفون بالكواكب. تقدم في الدرس40.

كالقبس فقال: (ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول مات كبير وولد كبير، فقال ليس كذلك. وفي زمن النبوة معنى هذه المصابيح أنها ترجم الشياطين لاستراق السمع من السماء إلى الآن الشيطان يقدر أن يتشكل بصورة كما يحب، فيقف واحد ويبلغ من الطول ما أراد ويقف الآخر فوقه فيقربون من السماء ويسترقون السمع، فإذا فعلوا ذلك طردهم النجوم، فلهذا رفع علم الكهنة كانوا إذا سمعوا شيئا ألقوه إلى الكهنة فيضمون إليه كثيرا من الأكاذيب ويخبرون الكهنة بذلك، والآن لم يعد يمكنهم الدنو من السماء فانقطع علم الكهنة[1] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي ﴿إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتا منكرا كصوت الحمار ﴿وَهْيَ تَفُورُ﴾ تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تتقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضبا على الكفار. يخلق الله حالة الغضب في النار فتتصف بهذه الصفات «تفور تكاد تميز من الغيظ» ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى؟ ﴿قَالُواْ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا

---

1 - أخرج مسلم في الصحيح عن ابن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون. صحيح مسلم: كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (4136).

وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ﴾ أيها الرسل ﴿إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ كَبِيرٍ﴾ هذا كلام الكفار أقروا، أخبروا بتكذيبهم للرسل ﴿وَقَالُواْ﴾ الكفار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُواْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ هلاكا وبعدا من رحمة الله ﴿لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ بعدا لهم عن رحمة الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس ويطيعونه سرا فيكون علانية أولى لهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الجنة ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ سبب هذا أن المشركين اجتمعوا في الكعبة ثقفيان وقرشيان وكانوا يتكلمون في غيبة النبي صلى الله عليه وسلم فقال القرشيان: اخفضوا أصواتكم فإن إله محمد إن سمع كلامنا سيخبر محمدا، فقال الثقفيان: إذا كنا إذا تكلمنا جهرا سمعه إله محمد وهو ليس هنا، إذا تكلمنا سرا سمعه أيضا[1] كأن الثقفيين أفقه من القرشيين فنزلت ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ إن شئتم فأسروا وإن شئتم فاجهروا ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الله تبارك وتعالى ما ينتظر نطقكم، علم ما في القلوب قبل النطق سواء السر والجهر في ذلك ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ الذي خلق الكلمة سواء

---

[1] – جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي – أو ثقفيان وقرشي – كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (4817) تقدم في الدرس27.

وعند القرطبي نقلا عن ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت "وأسروا قولكم أو اجهروا به" القرطبي ج214/18.

سرا أو جهرا، الإنسان لا يعلم ما خلق؟ كلنا يعلم خلقه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه يقول المفسر اللطيف المحتجب ﴿الْخَبِيرُ﴾ يعلم بواطن الأشياء كما يعلم ظواهرها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً﴾ إن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق الأرض وجعلها ذلولا سهل المشي فيها ﴿فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور إلى الجزاء. أخبر تبارك وتعالى أنه خلق لنا هذه الأرض ولو شاء لخلقها على هيئة صخرة لا يمكننا أن نسكن فيها، صخرة تشتد حرارتها وقت الحرارة وتشتد برودتها وقت البرودة، ولو شاء لجعلها على هيئة الشوك أو على هيئة البحر من جلس يغرق، فخلقها ذلولا، الذلول البعير المذلل جدا أسهل انقيادا والأرض صلبة تحملنا ولا نغرق ولينة بحيث أن العبد إن شاء وقف وإن شاء قعد وإن شاء اضطجع ولا تتحرك كالسفن، فلو كانت كالسفن ما أمكن التفرج فيها للمخلوقين، ولابد لهم من طلب المعايش فأثبتها بالجبال الرواسي وجعلها تقبل النبات وتقبل البناء. الإنسان يهدم ويبني ويحفر ويحرث ويزرع هي مذللة لكم، لا لتستقروا فيها بل لتسيروا فيها إلى الله تبارك وتعالى، فالناس في هذا العالم سُفُر. بداية السفر من المهد ونهايته إلى اللحد، فالسنون مراحل السفر، والشهور الفراسخ، والأيام الأميال، والأنفاس الخطوات. والإنسان رأس ماله أوقاته، وربحه الفوز بالجنة والنجاة من النار، وخسره فقدان الجنة والخلود في النار، والطريق فيها مخاوف فيها أعداء لصوص وقطاع طريق: النفس والهوى والشيطان، فلابد من صحبة الصالحين يحفظونك من هؤلاء الأعداء، ولابد من الاحتراز دائما أنت في سفر كل نفس من أنفاسك خطوة إلى الجنة أو إلى النار. فنفَس واحد يمضي من عمر الإنسان في غير طاعة الله يعرضه للغبن في يوم التغابن. منّ علينا بالأرض ذلولا وأمرنا أن نمشي في مناكبها ونأكل من رزقه الذي

خلقه لنا ونعلم أن النشور إليه، كلنا راجع إلى الله تبارك وتعالى إما قهرا وإما اختيارا، من أطاع الله وأقبل عليه يرجع إليه اختيارا، ومن أدبر عن الله فسيرجع إليه قهرا. ﴿ءَأَمِنتُمْ﴾ هل أمنتم ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته، تأمنون من الله الذي فوقكم ليس فوقية المكان ولكن فوقنا بقدرته وسلطانه وتصرفه كما يشاء. فنفَس يمضي من غير ذلة ولا ألم فمن فضله، وقدم تخطوها من غير ذلة ولا ألم فمن فضله، أتأمنون من هذا ﴿أَنْ يَّخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ هل تأمنون؟ لو شاء لأمر الأرض فخسف بكم كما فعل بقارون ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ولو صدر الأمر لا تحس إلا والأرض تتحرك وترتفع فوقكم كما وقع لقارون (لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين من خافني في الدنيا أمّنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة)[1] لابد من الخوف ولابد من الرجاء والخوف يسبق والرجاء يسكّن ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُّرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ كيف إنذاري بالعذاب ستعلمون أنه حق ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم أنه حق ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ هلا تنظرون إلى الطير تطير في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ تفكروا في الطير الطير ليست على الأرض ولا على السماء، بينهما، تبسط أجنحتها تارة وتقبضها تارة، أي

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير لأبي نعيم في الحلية عن شداد بن أوس: قال الله تعالى: (وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي) الجامع الصغير ج2/ رقم 6063.

شيء منع الطير من السقوط لاسيما هذه الطيور التي نركبها؟ «ما يمسكهن إلا الرحمن» من ركب في الطائرة يتحقق هذا. «إنه بكل شيء بصير» لِمَ لم تستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب؟ الله قادر على كل شيء، وهذا النظر نظر تفكر وإيمان ليس مجرد نظر فقط. الإنسان العاقل لا ينظر نظرا مجردا، لابد لكل نظر من معنى. كان ملك من الملوك عنده عبد يقربه أكثر من غيره فشكا العبيد والغلمان والخدام كلهم: لِم تقرب هذا، وهو ليس أفضل منا وليس أجملنا وليس أحسننا خدمة؟ ويوما من الأيام كان الملك في سفر في يوم حار فجلس تحت ظل شجرة ونظر إلى جبل في مقابلته فوقه ثلج نظر إلى الثلج ورد بصره، فسار العبد مهرولا حتى صعد الجبل وأخذ الثلج وأتاه به، فقالوا له لِم فهمت أن الملك يريد الثلج وهو لم يقل ولم يشر؟ قال: نظر الملوك لا يكون إلا عن شيء، لما رأيته نظر أتبعت نظري نظره فعلمت أن الملك لا ينظر إلا لمعنى فلما رأيت الثلج علمت أنه هو السبب في نظره، قال لهم: لهذا قدمته عليكم[1].

العاقل نظره لا يكون عبثا ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ لا ناصر لكم من دون الله لو أراد الهلاك ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم ولكن لو نزل العذاب اليوم لا تجدون جندا ينصركم من دون الرحمن ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ لو أمسك الرحمن المطر ماذا تفعلون؟ لا رازق إلا هو. فلما أسند الفعل إلى الرحمن علمنا أنه لم يرد أن يفعل ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ﴾ تباعد عن الحق ﴿أَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا﴾ واقعا ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ الذي هو الصنم ﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَّمْشِي

---

1 - روح البيان ج92/10.

سَوِيًّا﴾ معتدلا ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مثال المؤمن والكافر مثال من يمشي مكبا على وجهه ومن يمشي على ساقيه معتدلا. فالكافر بمنزلة من يمشي مكبا على وجهه لا يهتدي إلى الصراط المستقيم، والمؤمن من يمشي سويا على صراط مستقيم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قليل شكركم جدا على هذه النعم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ تبارك وتعالى ﴿وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبا ﴿سِيـئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من شدة الحزن ﴿وَقِيلَ﴾ قالت الخزنة لهم ﴿هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنزاله ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تُبعثون، كنتم تقولون أن لا بعث ولا حساب وهاهو اليوم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُّجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لا مجير لهم. قالوا نترك محمدا حتى يهلكه الله، ولكن إن أهلك الله محمدا ومن معه من المؤمنين كما أردتم فمن يجيركم أنتم؟ لا مجير لكم ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين، أنحن أم أنتم؟ بل هم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ لو أصبح الماء غائرا على وجه الأرض فلم يبق ماء في الدنيا ﴿فَمَنْ يَّأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ جار تناله أيديكم؟ قالوا: نأتي به بفؤوسنا ومعاولنا فأعمى الله أبصارهم ذهب بماء عيونهم هذا لا يأتي به الفؤوس ولا المعاول[1].

---

[1] - ذكره جلال الدين المحلي في الجلالين. حاشية الصاوي على الجلالين ج231/4.

سورة القلم

مكية اثنتان وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نٓ﴾ أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده وقيل ن الدواة ﴿وَالْقَلَمِ﴾ القلم ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الملائكة من الخير والصلاح ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ لست كما يقولون إنك مجنون بل أنعم الله عليك بالنبوءة. ورد في الحديث الصحيح أن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم فقال له: اكتب. فقال: ما أكتب؟ فقال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة[1] فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فرفع القلم وجفت الصحف. أوحى الله إلى القلم أن يكتب فصار يكتب إني سوف أبعث نوحا نبيا إلى قومه، فمن أطاعه أدخلته الجنة ومن عصاه أدخلته النار، وسأرسل إبراهيم كذلك وسأرسل موسى صار يعد الأنبياء وأممهم، من أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار حتى بلغ محمدا صلى الله عليه وسلم فقال: محمد سوف أبعثه إلى الخلق فمن أطاعه أدخلته الجنة ومن عصاه .. سمع خطابا: تأدب يا قلم. فارتعد القلم حتى انشق رأسه وبقي القلم على تلك الحالة إلى يومنا هذا. قال له الحق جل وعلا: هذه أمة محمد تأدب. فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب أمة مذنبة وأنا رب غفور رحيم، ورحمتي سبقت غضبي[2].

---

1 - (أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد) طرف من حديث رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت. سنن الترمذي: كتاب القدر/ الرضى بالقضاء (2081) تقدم في الدرس 16.

2 - في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ولقد سبقت

هذه أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وأول ما خلق الله العقل فلما خلقه قال له أقبل فأقبل، أدبر فأدبر فقال والله إني لأحبك ولأكملنك في كل من أحب ولأنقصنك في كل من أبغض، فمن أحبه الله أعطاه عقلا وافرا، ومن أبغضه الله حرمه من العقل. فأعقل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، تسعة أعشار العقل له صلى الله عليه وسلم وهو يقول: أعقل الخلق أطوعهم لله تبارك وتعالى[1]. وخلق النفس فخاطبها من أنا؟ كما خلق العقل أولا خاطبه أولا: من أنا؟ قال أنت الرب الجليل وأنا العبد الحقير، وخاطب النفس كما خاطب العقل: من أنت ومن أنا؟ قالت: أنتَ أنت وأنا أنا، فزجرها فقالت: أنت أنت وأنا أنا فقال: عذبوها بالنار فأخذوها وجعلوها في النار ألف سنة، فقال لها: من أنا؟ فقالت: أنتَ أنت وأنا أنا، فقال: ردوها إلى النار، فلما خرجت قالت: أنت أنت وأنا أنا، قال: عذبوها بالجوع، فأجاعوها يوما واحدا فقالت: أنت الرب الجليل وأنا العبد الحقير. فقال إن هذه النفس لا تؤدب إلا بالجوع. الأعداء أربعة لنا: الدنيا والشيطان والنفس والهوى، وكلهم له سلاح وله سجن. الدنيا عدو وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة؛ والنفس سلاحها الشبع وسجنها الجوع؛ والشيطان سلاحه الكلام وسجنه الصمت؛ والهوى سلاحه النوم وسجنه السهر[2]. عزلة وجوع وصمت وسهر هذه

كلمتنا لعبادنا المرسلين (7453). صحيح مسلم: كتاب التوبة /باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (4940). وقد تقدم في الدروس 16، 20، 32 و34.

[1] – طرف من حديث نقله القرطبي من رواية الوليد بن مسلم عن أبي هريرة وفيه: (... ثم خلق العقل، فقال الجبار: ما خلقت خلقا أعجب إلي منك، وعزتي وجلالي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن أبغضت. قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته). القرطبي في تفسيره ج18/ 223.

[2] – روح البيان ج238/2.

أخلاق الأبدال[1]. الحاصل أن النفس لا يؤدبها إلا الجوع ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أخبر الجليل تبارك وتعالى أن محمدا صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم. قالت عائشة: كان خلقه القرآن[2]. من أحب أن يعرف خلق محمد فليقرأ القرآن "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون إلى الآية 11، هذه أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم. أخلاق محمد القرآن، كل ما أمر به القرآن يقوم به وكل ما نهى عنه القرآن لم يقرب منه صلى الله عليه وسلم، بل القرآن هو عين محمد صلى الله عليه وسلم. القرآن معنوي ومحمد حسي فكل ما في القرآن فهو في محمد صلى الله عليه وسلم حتى أنك إذا تفكرت تجد أن القرآن تشخص في محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. هذا معنى وهذا حس، جاء القرآن مخصوصا بوجود محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. تجمع فيه جميع أخلاق الأنبياء. والأنبياء لهم مكارم الأخلاق ولكن تفاوتوا في بعض الأخلاق. في محمد صلى الله عليه وسلم صفاء آدم، وفي محمد صلى الله عليه وسلم شكر نوح، وفي محمد صلى الله عليه وسلم خلة إبراهيم، وفي محمد صلى الله عليه وسلم إخلاص موسى، وفي محمد صلى الله عليه وسلم صبر أيوب، وزهد عيسى ويحيى، وفي محمد صلى الله عليه وسلم صبر وشكر يوسف هو جمع بين المقامين فابتلي أولا فصبر وأعطي النعمة أخيرا فشكر. فلهذا خاطبه القرآن "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" اقتدى

---

1 – جاء في إحياء علوم الدين: قال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربع خصال: بإخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس. الإحياء ج205/3 (دار الجيل/ بيروت).

2 – (كان خلقه القرآن) طرف من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (1233). تقدم في الدرس 20.

بهم في أي شيء؟ ليس في الشريعة فشريعته ناسخة لشرائعهم فلا يمكنه أن يقتدي بهم في الشريعة ولكن كلهم جمع مكارم الأخلاق وكل ما تفرق فيهم اجتمع فيه هو صلى الله عليه وسلم. فهو فرد جمع، هو محمد جميع الأنبياء، وأخلاق جميع الأنبياء وكمالاتهم ومكارم أخلاقهم فيه صلى الله عليه وسلم. فلهذا وصفه الحق بأن خلقه عظيم. خلقه عظيم لأن الإنسان له قوتان: قوة عقلية وقوة عملية، والمصطفى صلى الله عليه وسلم قوته العقلية لم يستعملها قط إلا في العلم والمعرفة، وقوته العملية لم يستعملها قط إلا في الفرض والواجب والمستحب. أما الحرام فلا، الحرام والمنكر ما قرب منهما قط. كل قوته العملية في الفرض والواجب والمستحب، وكل قوته العقلية في العلم ومعرفة الله تبارك وتعالى فقال تعالى "وإنك لعلى خلق عظيم" وفسر صلى الله عليه وسلم هذا بمكارم الأخلاق قال: (أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك)[1] ولما وصف الجليل تبارك وتعالى المصطفى صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق علمنا أن حسن الخلق شيء عظيم. عبر عن ما عند المصطفى صلى الله عليه وسلم من الكرامات والمعجزات والأعمال الجليلة بحسن خلقه. أول ما يوزن من أعمال العبد حسن خلقه[2]، فمن حسن خلقه نال الدرجة العليا عند ربه تبارك وتعالى. أقبل واحد من الصحابة فقال

---

1 - (مكارم الأخلاق عند الله ثلاثة تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك) الجامع الكبير للسيوطي ج744/1. وجاء في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من منعك وتصفح عمن شتمك) مسند أحمد: مسند المكيين/ حديث معاذ بن أنس الجهني (15065) تقدم في الدرس13.

2 - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير للطبراني عن أم الدرداء بلفظ: (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن). ج1/ رقم (2823). وعن أم الدرداء (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الأدب/ ما ذكر في حسن الخلق وكراهية الفحش (21080) تقدم في الدرس43.

الرسول صلى الله عليه وسلم: يدخل عليكم الآن رجل هو من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام فلما دخل ابتدره الصحابة يسألونه قالوا له: دلنا على عملك حتى نقتدي بك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيك كذا وكذا. قال: لست بكثير صلاة ولا بكثير صيام ولكنني إذا أصبحت أصبحت أنوي أني لا أضمر الغل والحقد في قلبي لعبد من عباد الله حتى أمسي ولا أجرح بلساني أي عبد من عباد الله حتى أمسي، وإذا أتى الليل أنوي أني لا أضمر الحقد والغل لعبد من عباد الله ولا أجرح بلساني عبدا من عباد الله. قالوا له: هو ذاك[1]. "يوم لا ينفع مال ولا

---

1 - أخرج البخاري ومسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله الآية قال لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ مناقب عبد الله بن سلام (3812)، وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عبد الله بن سلام (4535). ولأحمد في مسنده دون التصريح باسم عبد الله بن سلام: عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال نعم قال أنس وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت قال فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في

بنون إلا من أتى الله بقلب سليم" هذا هو خلقه العظيم. خلق المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يتعلق بالدنيا ولا بالأخرى بل بالمولى جل وعلا فقال له الحق «وإنك لعلى خلق عظيم» ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قالوا محمد مجنون، سترى وسيرون الجنون فيمن؟ هل فيك أو فيهم؟ بل فيهم هم المجانين. المفتون مصدر على وزن مفعول كالمعقول والميسور والمجذوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الله تبارك وتعالى خبير بكل شيء فإن كان محمد وأصحابه هم الذين على الهدى فالله يعلم ذلك، وإن كان أنتم فالله يعلم ذلك ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ سبب نزولها أن قريشا أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم على رأسهم الوليد بن المغيرة فقالوا له: الآن طال الخلاف بيننا وبينك، نحب أن نستريح تترك بعض سبك لآلهتنا وتسفيهك لعقولنا ونسكت عما أنت فيه أو نكون معك على دينك سنة كاملة، وإذا انقضت السنة تكون معنا على ديننا، أو تمدح ما عندنا من الدين ونمدح ما عندك من الدين. هذا كله مداهنة ﴿فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لا تقبل منهم ما يدعونك إليه ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك يطلبون منك المداهنة، المداهنة حرام من التداهن بعكس المداراة. المداراة صدقة (بعثت مداريا فداروا)[1] (ومداراة الناس صدقة)[2]، كل هذا حديث. ما الفرق بين

نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق. مسند أحمد: مسند المكثرين/ باب مسند أنس بن مالك (12236). وقد تقدم في الدرس 37.

[1] - (بعثت بمداراة الناس) للبيهقي عن جابر في شعب الإيمان. كشف الخفاء: حرف الياء (918) وفي الجامع الصغير (3151)

[2] - (مداراة الناس صدقة) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن جابر : باب حسن الخلق/ (470).

المداراة والمداهنة؟ المداهنة محرمة والمداراة صدقة، والمداراة كل ما تعطي من الدنيا لسلامة الدين، بذل الدنيا لسلامة الدين هو المداراة، والمداهنة بذل الدين لطلب الدنيا، من ترك شيئا من دينه طلبا لمرضاة أهل الدنيا حتى يجد عندهم جاها أو مالا، فهذه هي المداهنة. المداراة صدقة، والمداهنة كبيرة من الكبائر نهى الحق تبارك وتعالى المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يقبل المداهنة التي تدعو إليها قريش، ووصف الوليد الذي هو زعيمهم بأوصاف عشرة ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير هو شخصه كان حقيرا ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب مغتاب للناس كثير الاغتياب ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم. النميمة من أكبر الكبائر (لا يدخل الجنة قتات)[1] والقتات النمام ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾ آثم ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ دَعي في قريش ينتسب للمغيرة وهذا كذب هو ولد زنا. ولما نزلت الآية أخذ رمحه وأتى إلى أمه وخلا بها قال لها: إن إله محمد وصفني بعشر صفات تسع أعلمها في نفسي، والعاشرة لا يعلمها إلا أنت ولا بد أن تقولي الحق وإلا قتلتك هنا. قال إني زنيم ولد زنا لست من المغيرة. قالت له: هذا صحيح، إن المغيرة عنين لا يأتي النساء وكان كثير المال فلما دام نكاحنا وليس لنا ولد خفت من أن يموت فيفوتنا المال فمكنت راعيه مني فأنت من ذلك الراعي[2]. هذا الوليد

---

1 – (لا يدخل الجنة قتات) رواه الشيخان، صحيح البخاري: كتاب الأدب/ ما يكره من النميمة (6056) وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ بيان غلظ تحريم النميمة (152).

2 – جاء في تفسير النسفي ج269/4: روي أنه دخل على أمه وقال إن محمدا وصفني بعشر صفات وجدت تسعا فِيَّ فأما الزنيم فلا علم لي به فإن أخبرتني بحقيقته وإلا ضربت عنقك فقالت إن أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده فدعوت راعيا إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي.

كان من حقه أن يؤمن بالله. ورد في الحديث: (لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده)[1] وورد (ولد الزنا شر الثلاثة)[2] شر من أمه وأبيه. قالت عائشة: والله خير الثلاثة هو لم يفعل شيئا ما معنى ولد الزنا شر الثلاثة؟ وهو لم يكتسب جريمة؟ والذي اكتسب الجريمة إن استغفر الله غفر له وإن تاب تاب الله عليه وهو لم يفعل شيئا[3]، والشيخ شيخنا يقول: ولد الزنا ما له إلا النار إلا إذا حصل له التطهير من

---

1 – (لا يدخل الجنة ولد الزنا، ولا ولده ولا ولد ولده). لابن النجار عن أبي هريرة كنز العمال: كتاب الحدود من قسم الأقوال/ الباب الأول في وجوب الحدود والمسامحة فيها (13095).

2 – أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولد الزنا شر الثلاثة) سنن أبي داود: كتاب العتق/ باب في عتق ولد الزنا (3450) ولأحمد في مسنده: مسند المكثرين/ مسند أبي هريرة (7751).

3 – أخرج الحاكم في مستدركه عن عروة بن الزبير قال: بلغ عائشة رضي الله عنها أن أبا هريرة يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ولد الزنا شر الثلاثة وإن الميت يعذب ببكاء الحي) . فقالت عائشة رحم الله أبا هريرة أساء سمعا فأساء إصابة. أما قوله: لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنا أنها لما نزلت: "فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة" قيل: يا رسول الله ما عندنا ما نعتق إلا أن أحدنا له جارية سوداء تخدمه وتسعى عليه فلو أمرناهن فزنين فجئن بالأولاد فأعتقناهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إلي من أن آمر بالزنا ثم أعتق الولد). وأما قوله: ولد الزنا شر الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (من يعذرني من فلان) قيل: يا رسول الله مع ما به ولد زنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو شر الثلاثة) . والله عز وجل يقول: "ولا تزر وازرة وزر أخرى" ، وأما قوله (إن الميت ليعذب ببكاء الحي)، فلم يكن الحديث على هذا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بدار رجل من اليهود قد مات وأهله يبكون عليه، فقال: (إنهم يبكون عليه وإنه ليعذب) والله عز وجل يقول: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"). أخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. المستدرك: كتاب العتق/ ولد الزنا شر الثلاثة (2906).

أحد الأكابر، الخليفة عن الله أو الإمامان نائباه هكذا يقول الشيخ[1]. اختلف العلماء في هذا الحديث، ما معنى ولد الزنى شر الثلاثة، وما له إلا النار؟ قيل معنى ولد الزنى المكثر من هذه الفاحشة كما يقال لكثير الحرب البطل المحارب دائما ولد الحرب لكثرة حربه. الزاني لكثرة زناه يقال له ولد الزنا أي كأنه ما ولد إلا لهذا العمل، فعلى هذا ليس المراد الولد الذي لم يكتسب جريمة والله لا يظلم الناس شيئا فعلى هذا وهو الصحيح أن ولد الزنا عبد من عباد الله إن عمل صالحا فهو عبد صالح وإن عمل سيئا فهو عبد سيئ، وقل أن يوفق في عمل صالح فيما جرب ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ تكبر هذا الرجل لأنه عنده كثير من المال وعنده كثير من الأولاد، كما سيأتي في سورة المدثر، كان عنده ثلاثة عشر ولدا[2] ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾ هي ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كذّب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، فصارت قريش تقول: قرآن محمد هذا سب واحدا منا ولم يصرح باسمه من هذا؟ أهو العاص بن وائل، أم هو أبو جهل بن هشام أم الوليد بن المغيرة أيهم؟ قال ﴿سَنَسِمُهُ﴾ نجعل له علامة ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ سنجعل له علامة يعرف بها، ويوم بدر خطم بالسيف قطع أنفه يوم بدر فظهر أن المقصود هو، وهو عرف نفسه في أول وهلة ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع لما كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف)[3] فقحطوا سبع سنين وبعد

---

1 – انظر كلام سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه في جواهر المعاني ج244/1.

2 – قال سعيد بن جبير: كانوا ثلاثة عشر ولدا. تفسير القرطبي ج72/19.

3 – (اللهم اجعلها سنين كسني يوسف) طرف من حديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة. صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف (1006)، صحيح مسلم: كتاب المساجد.ومواضع الصلاة/ باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا

ذلك ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ابتلاهم الله وكانوا أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف، "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله" لما كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأذاقها الله لباس الجوع والخوف كما وقع لأصحاب الجنة، أهل البستان أقسموا أنهم سيقطعون ثمارها مصبحين وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم ﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾ و لم يقولوا إن شاء الله، كان واحد من الصالحين في الطائف عمل بستانا من النخيل والأعناب فإذا جاء وقت حصاد البستان دعا المساكين كلا فإذا حصد قدر ما يكفي مؤنة سنة الباقي للمساكين كلهم يأخذ ما شاء، فمات الصالح وترك أولادا ثلاثة فاجتمعوا وقالوا إن أبانا كان يعطي هذا المال كفاية وهو يأخذ ونحن لا يمكننا أن نعطي ما كان يعطي أبونا، غدا يوم الحصاد نذهب سحرا ونحصد بستاننا ونأخذ ثمارنا قبل أن يشعر المساكين فلا نعطيهم شيئا، فاتفقوا على تلك النية ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فنزلت نار في الليل فأحرقت البستان كلا ليلا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ وقت كونهم نائمين ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أصبح البستان كالليل الشديد الظلمة أصبح محترقا أسود ليس فيه شجرة واحدة ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ تنادوا وقت الصباح ﴿أَنُ اغْدُواْ عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ غلتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ مريدين القطع ﴿فَانطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ يتشاورون سرا ﴿أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ لا يأتي مسكين لبستاننا اليوم ﴿وَغَدَوْاْ عَلَى حَرْدٍ﴾ منع للفقراء ﴿قَادِرِينَ﴾ مقدرين في ظنهم قادرون على منع المساكين،

نزلت بالمسلمين نازلة (1083) وفي لفظه: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف). وقد تقدم في الدروس 8، 30 و35.

حتى وصلوا إلى البستان ما رأوا إلا حريقا ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء، محترقة ﴿قَالُواْ إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ ليس هذا بستاننا لعلنا تحيرنا وجئنا لجهة غير جهة بستاننا، فتأملوا فقالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ لا هي هي ولكن حرمنا ثمرتنا بمنعنا الفقراء ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين لما فكرتم بهذه القضية نهيتكم وقلت لكم تشكرون الله تبارك وتعالى ﴿قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاَوَمُونَ﴾ كلهم يلوم الآخر ﴿قَالُواْ يَاوَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ غاوين ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ رجعوا إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة فاعترفوا بذنبهم فتاب الله عليهم ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا. قال الرسول صلى الله عليه وسلم لما فعلوا هذا أبدل الله لهم بستانا العرجون الواحد كقوام الشخص الطويل[1]. أبدل الله لهم خيرا من بستانهم، من تاب تاب الله عليه. ونزل لما قالوا: لئن بُعثنا نعطَى أفضل منكم، المرزوق مرزوق على كل حال إن ذهبنا إلى الآخرة نجد أكثر مما تجدون كما كنا في الدنيا فقط فكذلك نكون في الآخرة، قال تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ لا تستوون أبدا، أهل التقوى – جعلنا الله منهم – في الجنة والكافرون في النار ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الله يسوي بين أوليائه وأعدائه في العطاء؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرأون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا

---

1 – ورد في تفسير القرطبي: قال ابن مسعود إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم. تفسير القرطبي ج245/18.

﴿تَخَيَّرُونَ﴾ هل نزل كتاب من الله يخبركم بأنكم في الآخرة تجدون شيئا؟ لا. ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ وعود ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ من يتكفل بهذا؟ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا المقول يتكفلون لهم به، فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافرين ﴿إِن كَانُواْ صَادِقِينَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم القيامة عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة. كان العرب إذا اشتد الأمر يقولون الأمر كشف عن ساق، مثل عندهم إذا اشتد الأمر، يوم القيامة يكشف عن ساق، بمعنى أن الإنسان إذا أراد أن يكابد أمرا عظيما يشمر ويكشف عن ساقيه، إذا اشتد الأمر يقول: كشف الأمر عن ساق، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحانا لإيمانهم يوم القيامة إذا بعث الناس يؤمرون بالسجود لله تبارك وتعالى، فكل من كان مؤمنا مصليا في الدنيا يسجد، هين عليه، ومن كان كافرا في الدنيا لا يقدر على السجود ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ يأمرهم الله: اسجدوا، وهم ظهورهم طوق واحد ليس فيهم مفاصل يقدرون على السجود، في مقابلة الحق يخالفون أمره ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلة أعينهم لا يرفعونها حياء من الله لأنهم يخالفون أمره مواجهة ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ في غاية الذلة ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ في الدنيا كانوا قادرين على السجود وامتنعوا فاليوم لما أحبوا أن يسجدوا ما قدروا فسيقوا إلى النار ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ قليلا قليلا، الاستدراج إذا كان العبد غير مستقيم وفي معصية الله والله يرزقه، فيظن أن الله أراد به خيرا وهو لا يريد به إلا الهلاك ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا

يطاق. كيد الله تبارك وتعالى هو إمهاله للظالم (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[1] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ مما يعطونه هل هذا هو الذي منعهم من الإيمان؟ لا. ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يقولون ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما شاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ لا تفعل كما فعل يونس بن متى من الضجر والعجلة والخروج للهجرة قبل الأمر ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غما في بطن الحوت ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُحم فنبذ غير مذموم ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سبب نزول هذه الآية أن قريشا لما اشتد عليهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم سمعوا أن قبيلة من العرب يقال لهم بنو أسد أهل عين إذا عانوا أحدا يموت في الحين ومن أراد ذلك منهم يجوع نفسه ثلاثة أيام ثم يخرج ينظر إلى المعني يقول ما أقواك، ما أقدرك وما أسمنك فيسقط ميتا، هذا في بني أسد، فلما سمعوا بهذا دعوا هذه القبيلة أن يقتلوا لهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيستريحوا، فجوع رجل منهم نفسه ثلاثة أيام وتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية[1] ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

1 - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال ثم قرأ: "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد" متفق عليه، صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى (4686) وفي صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ تحريم الظلم (4680). تقدم في الدروس 9، 20، 26، 36 و38.

1 - انظر تفسير القرطبي ج255/18.

﴿لَيَزْلِقُونَكَ﴾ ينظرون إليك نظرا شديدا لَيزلقونك ليصرعونك يسقطونك ﴿بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يريدون أن يقلعوك بأبصارهم فقط ﴿لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدا ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فقرأ النبي هذه الآية فتعرضوا له وما ضروه بشيء، فمن قرأ هذه الآية لا تضره عين ولا كلام، ومن أصابه عين ورقي بهذه الآية تعافى من ذلك المرض.

سورة الحاقة

مكية إحدى أو اثنتان وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، سمي يوم القيامة بالحاقة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء. هذا الذي كذبوا الآن يحق في ذلك اليوم حتى لا يُمترى فيه أو الحاقة المظهرة لذلك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ علمك يا محمد ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ ما هي الحاقة تعظيما لشأنها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ عاد وثمود كذبتا بيوم القيامة سمي القارعة أيضا لأنها تقرع القلوب بأهوالها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ﴾ ثمود قوم صالح أهلكوا بصيحة متجاوزة الحد في الشدة، صاح جبريل فهلكوا ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات في آخر الأربعاء من الشهر دمرتهم الريح ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة فارغة ﴿فَهَلْ تَرَى﴾ ما ترى ﴿لَهُم مِّن

﴿بَاقِيَةٍ﴾ لم تبق فيهم بقية ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾ أتباعه كذلك أتى فرعون وقومه القبط ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ أهلها، قرى قوم لوط ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أتوا بالفعلات ذات الخطإ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطا ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أهلكهم الله بأن أخذهم أخذة زائدة في الشدة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال في زمن الطوفان، ما أرسل الله من ماء إلا مقدر بمكيال إلا يوم هلاك قوم نوح طغى الماء على الخزان[1] ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ آباءكم، حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم كذلك حملكم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَا﴾ تحفظها ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ حافظة لما تسمع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ إذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأخيرة هي الثانية ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ رفعت ﴿فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ دقة واحدة. إن الله تبارك وتعالى خلق الأرض لبني آدم فقط فإذا حان انتقالهم تطوى الأرض ثم تدك الجبال فتصير هباء منثورا ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم الذي دكت فيه الأرض والجبال ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ السماء أيضا لبني آدم. ينادي مناد فتخرج الملائكة تسأل ربها أين الطريق كل ملك يشق محله من السماء فقط السماء لا حاجة فيها الآن خلقت لبني آدم وهم سينتقلون من هذا المكان فكل ملك يشق ما تحته من السماء، وكل

---

1 – قال القرطبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أرسل الله من نسمة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل) تفسير القرطبي ج259/18.

موضع شبر في السماء فيه ملك ساجد أو راكع أو قائم[1] وكل ملك شق محله من السماء هذا "إذا انشقت السماء" ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعفت السماء الآن صارت خرقا خرقا تطير في الهواء ﴿وَالْمَلَكُ﴾ الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جوانب السماء فإذا الملائكة وقوف حول بني آدم ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملائكة ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة أو من الصفوف كما تقدم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إذا وقعت هذه الواقعة ﴿تُعْرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ كل الخلائق يجتمعون مع خالقهم لا يخفى على الله منهم شيء قالت عائشة: واسوأتاه يا رسول الله الرجال والنساء في صعيد واحد وكلهم عريان؟ قال: ويحك يا ابنة أبي بكر إن الناس يجدون في ذلك اليوم ما يشغلهم عن رؤية بعضهم عورات بعض[2] يقول

---

1 - أخرج الترمذي في سننه: عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني كنت شجرة تعضد. سنن الترمذي: كتاب الزهد/ في قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا (2234) ولابن ماجه في سننه: كتاب الزهد/ باب الحزن والبكاء (4180). وللحاكم في مستدركه: كتاب التفسير/ تفسير سورة هل أتى على الإنسان (3883 - 1021).

2 - جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذاك. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/باب كيف الحشر (6527) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (5102). وللحاكم من طريق عثمان بن عبد الرحمن القرظي "قرأت عائشة ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت: واسوأتاه الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ فقال: لكل امرئ الآية وزاد: لا ينظر الرجال

الرسول (تعرضوا تزينوا للعرض الأكبر)[1] هذا هو العرض الأكبر الذي يحتاج الإنسان أن يتزين له «لا تخفى منكم خافية» حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، الحساب لابد منه فعلى العبد أن يحاسب نفسه قبل الحساب، كل واحد منا يعين وقتا إذا جاء الوقت ينظر فيما عمل في نهاره وليله ما كان من طاعة يحمد الله عليه وما كان غير ذلك يستغفر الله ويتوب، من دام على هذا الحساب يكون حسابه يسيرا، ومن لم يحاسب نفسه حتى وقع الحساب (من نوقش الحساب عُذّب)[2] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِۦ﴾ الكتب تطير من الخزائن متوجهة إلى المحشر كلكم يأتيه كتابه من كان سعيدا يأتيه كتابه في يمينه، ومن كان غير ذلك يأتيه كتابه بشماله «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِۦ» وأول من يأخذ كتابه بالسعادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل يا رسول الله أين أبو بكر؟ قال: أبو بكر ذهب به

إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض". المستدرك: كتاب الأهوال/ باب رحال المتقين الذهب وأزمتها الزبرجد (8735). تقدم في الدروس 28، 31.

1 – يروى عن عمر بن الخطاب قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر. أخرجه الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2383). وفي مصنف ابن أبي شيبة (30248): عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية.

2 – عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس أحد يحاسب إلا هلك) قالت قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل: "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا" قال: (ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك). صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن / باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا (4939). صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب إثبات الحساب(5123). تقدم في الدرس40. وفي الجامع الصغير بلفظ: (من حوسب عذب) عن أنس (8652).

الملائكة إلى الجنة[1] ما مرّ ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَابِيَهْ﴾ يقول عمر يفتخر ومن على قدمه: الجماعة تعالوا انظروا كتابي أنا سعيد ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أنا كنت أعرف أن هذا اليوم سيأتي فهيأت له العمل الذي يليق به، هذا يوم الافتخار، آن وقت الفخر الآن، أما قبل ذلك فلا يعرف أحد ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريب يتناولها القائم والقاعد والمضطجع يأتي فقراء المسلمين هلموا هل عندكم ما تحاسبون به؟ قالوا يا ربنا تعلم أننا ليس عندنا ما نحاسب به ابتليتنا بالفقر وأعطيت الأموال والسلطنة لغيرنا ما عندنا شيء. فيقول: صدقتم ادخلوا الجنة فيدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام[2] وبقي الأغنياء المحسنون في الحساب يوما كاملا قبل أن يدخلوا الجنة

---

1 – قال ابن عباس: (أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس) قيل له فأين أبو بكر؟ فقال (هيهات، هيهات زفته الملائكة إلى الجنة) ذكره الثعلبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة. تفسير القرطبي ج269/18.

2 – أخرج الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال: اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم أغنياءهم فقال: (يا معشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمس مائة عام). سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب منزلة الفقراء (4114). سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (2274) ولفظه: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمس مائة سنة). وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو قال: يجمعون فيقول أين فقراء هذه الأمة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم؟ فيقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقال: صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمن وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان قيل فأين المؤمنون يومئذ قال يوضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم أقصر عليهم من ساعة من نهار. مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد/ كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (30504). وقد تقدم في الدرس 16.

﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا﴾ يقال لهم في الجنة مهنئين أو متهنئين فرحين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ لأنكم عملتم أعمالا جميلة فيما مضى من أيامكم في الدنيا، الأيام الخالية أيام العمر أو الأيام الخالية أيام الصيام الخالية من الأكل والشرب هي أيامنا هذه ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ الكافر الذي يأتيه كتابه وراء ظهره فيطعن الملَك في قلبه ويخرج يده من قلبه إلى ظهره ويضربه صفعة يتحول وجهه إلى الظهر ليقابل الكتاب ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ ليتني ما رأيت هذا الكتاب ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا﴾ الموت ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يا ليت الموت التي مضت في الدنيا قضت على حياتي حتى لا أبعث ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ أي شيء ينفع مالي ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ قوتي وحجتي هو يتكلم بهذا أسفا ﴿خُذُوهُ﴾ فيخاطِب الجليل الملائكة خزنة جهنم «خذوه» إن قال خذوه يبتدر مائة ألف ملك[1] كلهم في يده سلسلة يبتدرون هذا الرجل فيكبلونه ويجعلونه في السلاسل ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أجمعوا يديه إلى عنقه في الغل ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ثم صلوه الجحيم النار المحرقة فيلقى في النار ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الملك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أوثقوه بسلسلة ذرعها سبعون ذراعا كل ملك يأتي بسلسلة ويقيد العبد بتلك السلاسل ويلقى في جهنم، لِم؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ سبب الدخول في النار شيئان: عدم الإيمان بالله وعدم إطعام المسكين وعدم حض الغير على إطعام المسكين هذا وعيد شديد في البخل، ما دخل النار فقط لأجل أنه لم يطعم، بل لأجل أنه ما حض غيره على الإطعام، كان من حق

---

1 – عند القرطبي: قيل يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه. تفسير القرطبي ج272/18. ولابن كثير ج411/4: سبعون ألف ملك.

العبد أن يطعم هو ويحض غيره على الإطعام، فلما لم يحض غيره على الإطعام سواء أطعم أو لم يطعم أُدخِل النار فلهذا كان ابن عباس يقول: أطعمي المسكين يا فلانة نصف الغل فككناه بالإيمان والنصف الثاني نفكه بالصدقة «إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» إذا آمن بالله فك نصف الغل «وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» وإذا أطعم الطعام فك نصف الغل الآخر، لابد من الإيمان بالله ولابد من الإطعام. السخاء شجرة في الجنة من سخي تمسك بغصن حتى يدخل الجنة والشح شجرة في الجحيم من شح أخذ بغصن حتى يدخل النار[1] ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ قريب ينتفع به ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ صديد أهل النار أو شجر فيها ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ الكافرون ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ منها أي بكل مخلوق ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ قاله رسالة عن الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ هذا الكلام ليس بشعر هذا أجل من الشعر ﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ من يجعل القرآن شعرا إيمانه قليل ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ من يتذكر يعلم أن هذا بعيد من كلام الكهنة رقاهم وسجعهم إذاً إذا تفكرتم قليلا عرفتم النبي صلى الله عليه وسلم وما عليه من الخير والصلة والعفاف فلم يغنكم هذا أن تعلموا أن هذا رسول الله حتى تتهمونه بالكهانة والشعر فما أقل تذكركم ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا قرآن نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه أول آية أدخلت الإيمان في قلب

---

[1] – (السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات في الدنيا، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار). الدارقطني عن علي والبيهقي عن أبي هريرة. الجامع الصغير ج2/رقم (4803). تقدم في الدرس 51.

عمر لما كان في الجاهلية شديدا على المسلمين، مرّ ليلة وهو يجول في دور مكة والنبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي في الليل فقال عمر في نفسه يا ليت شعري ما هذا الذي يقول محمد؟ هذا شعر؟ قرأ النبي «وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون» قال: هو يسمع ما أقول؟ هذا كاهن؛ «ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون» قال: ما هذا؟ «تنزيل من رب العالمين» هذا أول ما أدخل الإسلام في قلبه[1]. وبعد أيام دخل على أخته فاطمة وبيدها شيء من القرآن كتب لها تقرؤه هي وبعلها، فدخل عمر فسكتوا وطووا كتابهم، قال: ما هذا الذي بيدك؟ قالت: قرآن كلام الله. قال: أرنيه، قالت: لا، لا يمسه إلا المطهرون وأنت ما اغتسلت من جنابة قط. قال: إذا اغتسلت تعطينيه؟ قالت: نعم، فاغتسل وجاء فقالت: الغسل لا يطهرك إنما المشركون نجس فغضب عمر وقال سوف أقتل محمدا في هذه الليلة حتى نستريح من أمركم. وكان النبي في ذلك اليوم صلى صلاة الصبح وهو يدعو: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمرو بن هشام أبي جهل أو عمر بن الخطاب. فطرق عمر فخرج له النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بتلابيبه وضرب صدره وقال له: يا

---

1 - أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ: "إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون" قال: قلت كاهن قال: "ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين" إلى آخر السورة قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. مسند أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة (102).

عمر لا تنتهي حتى يحل بك ما حل بالأمم قبلك فسقط مغشيا عليه فقام وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[1].

---

1 – جاء في كنز العمال ذكر إسلام عمر مفصلا عن أسلم قال: قال عمر: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبينا أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب قلت: أريد هذا الرجل، قال: عجبا لك يا ابن الخطاب! إنك تزعم أنك كذلك وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك! قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شيء له ضمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل الذي في يده السعة، فنالا من فضلة طعامه، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين، فلما قرعت الباب قيل: من هذا؟ قلت: عمر وقد كانوا يقرأون كتابا في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبأوا في مكان وتركوا الكتاب. فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها صبوت! وأرفع شيئا فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة وقالت لي: يا ابن الخطاب اصنع ما كنت صانعا فقد أسلمت. فذهبت وجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط البيت فقلت: ما هذه الصحيفة؟ فقالت لي: دعها عنك يا ابن الخطاب فإنك لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون. فما زلت بها حتى أعطتنيها، فإذا بها "بسم الله الرحمن الرحيم"، فلما مررت باسم الله ذعرت منه فألقيت الصحيفة، ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها فإذا فيها: "سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم"، فقرأتها حتى بلغت "آمنوا بالله ورسوله" إلى آخر الآية، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فخرج القوم متبادرين فكبروا واستبشروا بذلك وقالوا لي: أبشر يا ابن الخطاب! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: اللهم أعز الدين بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام، وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فقلت: دلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟ فلما عرفوا الصدق دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فخرجت حتى قرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: عمر بن الخطاب. وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي، فما اجترأ أحد منهم أن يفتح لي حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افتحوا له، فإن يرد الله به خيرا يهده) ففتح لي الباب فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسلوه) فأرسلوني، فجلست بين يديه، فأخذ بمجامع قميصي

فكان إسلامه نصرا للإسلام وخلافته فتحا، وهو أبو الفتوح وسراج أهل الجنة في الجنة[1] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ بأن قال عنا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة، هذا أدل دليل على أن حديث الغرانيق إفك وزور. لو تقول النبي على الله لأخذه بالقوة ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ نياط القلب يموت في الحين "ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي" أتته أهل أنطاكيا الذين حل بهم موسى والخضر ضيوفا فأبوا أن يضيفوهما فلما نزلت "فأبوا أن يضيفوهما" جاءوا بجميع أموالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يشترون منه نقطة واحدة ليكون فأتوا أن يضيفوهما ويعطوا النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأموال فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم "قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي" من لا يزيد نقطة واحدة ليس يزيد تلك الجمل ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ولو وقع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا تقديرا وأهلكه الله لا يوجد أحد يمنعه من عذاب الله ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ القرآن كلما قرئ على المسلمين زاد إيمانهم، لا نتفرق من مجلس القرآن ويرجع كلنا على حاله الذي

ثم قال: (أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده) فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت في طريق مكة... كنز العمال: فضائل الصحابة/ فضل الفاروق (35740). وللبيهقي في الدلائل عن أنس من حديث إسلام عمر قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، فهذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الإسلام أو الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله. دلائل النبوة ج2/ص8. وعند ابن هشام قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر: (فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة) سيرة ابن هشام ج1/370 – 371.

1 – (عمر سراج أهل الجنة) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (5609). وفي مجمع الزوائد عن ابن عمر: كتاب علامات النبوة/ باب عمر سراج أهل الجنة (16441).

جاء به، بل كلنا يرجع بزيادة أو بنقصان نعوذ بالله، المؤمنون يزدادون إيمانا والمنافقون يزدادون نفاقا ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن ومصدقين ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب الكافرين ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ اليقين الحق هو هذا القرآن ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزّه ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ بربك ﴿الْعَظِيمِ﴾ سبحانه.

سورة المعارج

مكية أربع وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال النضر بن الحارث كما تقدم في سورة الأنفال: "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء" ما أشد حماقته "إن كان هذا هو الحق من عندك" كان حقه أن يقول فاجعلنا نؤمن بك ولكن إن كان هذا هو الحق فليهلكهم الله ﴿سَالَ سَائِلٌ﴾ دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ﴾ طلبوا من الله العذاب ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ عذاب لا يدفعه أي دافع ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مصاعد الملائكة وهي السماوات ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿فِي يَوْمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن

فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث[1] يوم القيامة ليس يوما من الأيام فقط التي تنالكم بل آلاف من الأعوام هو يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة ما أطول هذا اليوم، خمسون ألف سنة يوم واحد لا يفرغون منه إلا بعد خمسين ألف سنة، ولا يفرغ اليوم منهم إلا بعد خمسين ألف سنة، والناس ليسوا سواء منهم من يؤمر بدخول الجنة في أول وهلة من غير حساب ولا عذاب، كما أن منهم من يؤمر بدخول النار بغير سؤال، ومنهم من يؤمر بدخول الجنة بعد سؤال قليل ومن يؤمر بدخول النار بعد سؤال قليل، ومنهم من قدر مكثه قدر صلاة مكتوبة ومنهم من مكثه يوم من أيام الدنيا أو يوم من أيام الآخرة ألف سنة. والذين اشتد اليوم عليهم هم الذين يقفون في ذلك الموقف من أول اليوم إلى آخر اليوم خمسين ألف سنة، والشمس الآن في السماء الرابعة وتكسى خمسمائة جبة من الثلج وهنالك خمسمائة ألف من الملائكة يأخذون من الثلج ويصبون عليها لتخف حرارتها علينا وحرها كما ترى، ويوم القيامة يزاد في حرها كذا وكذا وتدنو من الرؤوس قدر ميل[2]، ولا ظل إلا ظل عرشه تبارك وتعالى، أو المرء في ظل صدقته، المؤمنون الذين أظلهم الله تحت ظل عرشه على

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله أنه قال: "يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبي: (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا). مسند أحمد: مسند المكثرين/ مسند أبي سعيد الخدري (11292)

2 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا، يغلي منها الهوام كما يغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي أمامة الباهلي (21162)

كراسي من نور يأمنون مما يخاف أهل المحشر، والمرء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس[1]. لابد من تذكر ذلك اليوم في كل وقت، فكلنا واحد من أهل ذلك الموقف، إما أن يكون من المظللين تحت ظل العرش أو من الباقين في الحر مدة خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم خمسون ألف سنة ﴿فَاصْبِرْ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صَبْرًا جَمِيلاً﴾ لا جزع فيه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ العذاب ﴿بَعِيدًا﴾ غير واقع ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ واقعا لا محالة ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ تقع ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كذائب الفضة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف في الخفة والطيران ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ القريب لا يسأل قريبه شيئا ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ كل أحد يرى قريبه ولا يتعرض له "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" أبغض شيء إلى الإنسان يوم المحشر أن يرى من يعرفه خوف أن يطالبه بحق ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ يتمنى الكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ ثم ينجيه يقول الكافر يا رب خذ جميع أولادي إلى النار ونجني من النار ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ خذ زوجتي أيضا ﴿وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ خذهم إلى النار ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ كَلاَّ﴾ لا يفدي أحد أحدا كل يجزى بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ اسم لجهنم لأنها تتلظى أي تتلهب على الكفار ﴿نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ جمع شواة وهي جلدة الرأس ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ هذه الطبقة من النار تنادي الناس بلسان فصيح فلان إليَّ، إليّ ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَى﴾ أمسكه في وعائه، كانت عائشة لا تربط وعاءها تقول إنها تخشى من «وجمع فأوعى» ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ الإنسان

---

1 - (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس) أخرجه أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني: مسند الشاميين/ حديث عقبة بن عامر الجهني (16695).

خلقه الله ومن طبعه الهلع تفسيره ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ هذا تفسير الهلع الحريص على الدنيا الجزع الذي إذا رأى فقرا فزع، وإذا رأى خيرا منع حق الله تبارك وتعالى ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ إلا المؤمنين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ موالون ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم ﴿رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ يقيموها ولا يكتموها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أولئك أهل الجنة ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ نزلت في جماعة تفرقوا حلقا حلقا يستهزئون بالمؤمنين، حلقا حلقا حول البيت فقال تعالى «فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ» مديمي النظر ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ حتى الكفار يطمعون في الجنة ﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ الإنسان يعلم أصل نشأته خلق من نطفة هي نجاسة والنجاسة لا تدخل الجنة والتطهير لا يكون إلا بالإيمان والتقوى وذلك فات كيف يدخلون الجنة وهم نجس؟ ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ بالشمس والقمر ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ نهلكهم ونأتي بآخرين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ عاجزين ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾

في دنياهم ﴿حَتَّى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ للمحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ كأنهم «يوفضون» يسرعون «إلى نصب» راية ﴿خَاشِعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

سورة نوح

مكية ثمان أو تسع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ﴾ بإنذار ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أول أنبياء الشريعة نوح[1] أرسله الله لينذر قومه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار ﴿أَنُ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ التوبة تجب ما قبلها ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ دائما مستقرا مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يكرر عليهم هذا فلم يؤمنوا فشكاهم ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِيَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ عن الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ﴾ كانوا إذا وعظهم نوح جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامه ﴿وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ وتغطوا بثياهم أنهم لا يحبون أن ينظروا إليه

---

1 - ورد في الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة قول أهل المحشر: (يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض..). صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" (4712). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (287).

﴿وَأَصَرُّواْ﴾ على كفرهم ﴿وَاسْتَكْبَرُواْ﴾ وتكبروا عن الإيمان ﴿اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ كلهم ناجيته سرا ﴿إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ استغفر الله ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوا المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ كثير الدرور ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ هذا كله من خصائص الاستغفار. شكا رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قال له: يا حسن نحن بلادنا في قحط ما مطرنا قال له عليكم بالاستغفار. فشكا إليه رجل الفقر فقال عليك بالاستغفار. فشكا أحد عدم الأولاد فقال له عليك بالاستغفار. فلما ذهبوا قال له رجل: القوم شكوا أشياء مختلفة وأنت دللتهم على شيء واحد فكيف هذا؟ قال: أخذت من كتاب الله «فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا» علمت أن الاستغفار سبب لنزول المطر، «ويمددكم بأموال» علمت أن الاستغفار سبب لسعة الرزق «وبنين» علمت أن الاستغفار سبب لوجود الأولاد[1] «ويجعل لكم جنات» بساتين «ويجعل لكم أنهارا» ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ تأملون وقارا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ طورا بعد طور، طورا مضغة، طورا علقة، طورا إنسانا طورا كافرا طورا مؤمنا ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ في مجموعهن ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحا مضيئا أقوى من القمر ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أو خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

---

1 - الصاوي في حاشيته على الجلالين ج250/4. وفي تفسير المراغي ج84/29.

بِسَاطًا﴾ مبسوطة ﴿لِتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً﴾ طرقا ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُواْ﴾ السفلة ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ امتنعوا عن متابعة نبي الله واتبعوا أرباب الأموال ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ كان إذا كبر واحد منهم حتى خاف الموت أخذ ولده إلى نوح وقال له: رأيت ذلك الكهل؟ لا تسمع ما يقول ولا تقبله، هكذا أوصاني أبي وأبوه وأبو ذاك وأبو ذاك. هذا المكر الكبار ﴿وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وُدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هذه أصنام كانت تعبدها العرب في الجاهلية. كان لآدم خمسة بنين فماتوا فبكت حواء، فقال لها إبليس أقدر أن أصور لك أشخاصهم كأنك تنظرين إليهم، تتسلين بهذا فعمل صورا للأولاد، الصور المجسدة فلهذا حرمت في شريعتنا إن كان لها ظل، وما لا ظل له فإن كان شخصا كاملا فهو مكروه، وإن كان بعض شخص فيرخص فيه. كانت عائشة صُنعت لها نمرقة فيها صورة إنسان فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فكرهه فشقته نصفين فسمح الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك[1]، فلما طال الزمان قال إبليس للناس إن أباكم كان يعبد هذه الأصنام فاتخذ كل قبيلة من العرب صنما من الأصنام يعبدونه. عبادة الأصنام من أول الدهر في

1 - جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب فلم يدخل فقلت أتوب إلى الله مما أذنبت قال: (ما هذه النمرقة) قلت: لتجلس عليها وتوسدها قال: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة) صحيح البخاري: كتاب اللباس/ باب من كره القعود على الصور (5957) ونقل ابن حجر في شرحه عن ابن العربي قوله: حاصل ما في اتخاذ الصورة أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع، وإن كانت رقما فأربعة أقوال: الأول: يجوز مطلقا على ظاهر قوله في حديث الباب إلا رقما في ثوب، الثاني: المنع مطلقا حتى الرقم، الثالث: إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز، قال وهذا هو الأصح، الرابع: إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقا لم يجز.

زمن نوح إلى يومنا هذا. وكل إنسان عاقل يعلم أن حجارة مصنوعة أو خشبة منحوتة لا يمكن أن تكون هي إله العالمين، لا يبلغون من الحماقة هذا المبلغ إنما كانوا يعتقدون أن الله هو خالق الخلائق، والملائكة مقربون إليه، والنجوم مقربة إلى الملائكة، فإذا صنعوا آلهة على هيئة النجوم أو سموا بتلك النجوم يعتقدون أن سيقع اتصال بين الصنم والنجم وبين النجم والملك وبين الملك والله. ففي بعض الأوقات يعتقدون أن الكوكب ينزل في الصنم، وفي بعض الأوقات يمكن أن الملك ينزل في الصنم، وفي بعض الأوقات يعتقدون أن الله مجسم ينزل في الصنم. هذا هو السبب في عبادة الأصنام. ولا يبلغ أحد من الحماقة والجنون مبلغا يظن أن هذه المنحوتة هي الآلهة، ليسوا آلهة لكن يظنون أن لهم اتصالات بالروحانيين واتصالات بحضرة الله تبارك وتعالى. وذلك ما لم يقبله الله منهم يقولون "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" يقولون الملائكة حيث أنهم أصفياء يصلحون لعبادة الله والنجوم تصلح لعبادة الملائكة والآلهة تصلح لعبادة النجوم وهم بشر يعبدون تلك الأصنام ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ بهذه الأصنام ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾ فأغرقوا بالطوفان من خطيئاتهم ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ أي من خطيئاتهم ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أهلكهم جميعا ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ لما تقدم من الإيصاء ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ هلاكا فأهلكوا. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

الدرس الثالث والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

سورة الجن

مكية ثمان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قال المفسر وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلة موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن" ورد حديثان في خبر الجن حديث ابن عباس أن الشياطين لما منعوا من استراق السمع ورموا بالشهب رجعوا إلى إبليس وأخبروه الخبر وقالوا هذا لأمر حدث، تفرقوا في جميع أنحاء العالم لتنظروا ماذا حدث في الأرض حتى وقع هذا، فتفرقوا فجاء نفر منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فلما سمعوه يقرأ القرآن هرولوا إلى إبليس وأخبروه فقال لهم لهذا منعتم من السماع[1]. والحديث الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على

---

1 - أخرج الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم

أصحابه وقال إن الله قد أرسلني إلى الجن فمن يخرج معي فسكت القوم كلا فقاله مرة ثانية فسكتوا، فقاله ثالثة فقال عبد الله بن مسعود أنا، فخرج معه حتى أتى نخلة فخط له رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال له: لا تخرج من هذا الخط حتى أرجع إليك، فذهب الرسول صلى الله عليه وسلم، قال ابن مسعود: فرأيت الرجال ينزلون كأنهم رجال الفرس، رجال يزدحمون حتى توارى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت أصواتا وضجة وكدت أن أذهب أتطلب الرسول صلى الله عليه وسلم فمنعني ما قال لي: (لا تخرج من هذا الخط) فبقيت وبقي معهم حتى صلى بهم الصبح ورجع وقال له: أردت أن تخرج إلي؟ لو خرجت لا تلقاني إلا في يوم القيامة. أولئك الجن استمعوا القرآن وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا له: من أنت يا محمد؟ قال: رسول الله، قالوا: من يشهد لك؟ قال: تلك الشجرة ثم قال: تعالي يا شجرة. فقامت الشجرة ومشت بأغصانها تتقعقع حتى مثلت بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها: من أنا؟ قالت: أشهد أنك رسول الله، فآمن الجن كلا ورجعوا ينذرون قومهم ويدعونهم إلى الإسلام: "يا

الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا" فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: "قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن" وإنما أوحي إليه قول الجن. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قال ابن عباس لبدا أعوانا (4921) وفي صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (681). أورد ابن حجر في شرحه لهذا الحديث بحثا طويلا جزم فيه بتعدد وفود الجن على النبي صلى الله عليه وسلم. تقدم في الدرس46.

قومنا أجيبوا داعي الله" كما تقدم في سورة الأحقاف. فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم النفقة فأعطاهم صلى الله عليه وسلم العظم والبعر، إذا أكل بنو آدم اللحم وتركوا العظام كساها الله لحما، فذلك طعام الجن وكذلك بعر الحيوانات يرجع علفا لحيواناتهم فلهذا منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستطيب أحد بالعظم أو بالبعر لأن فيه حق الجن[1]. قال تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ

---

1 - أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو في نفر من أصحابه إذ قال ليقم معي رجل منكم ولا يقومن معي رجل في قلبه من الغش مثقال ذرة، قال: فقمت معه وأخذت إداوة ولا أحسبها إلا ماء، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بأعلى مكة رأيت أسودة مجتمعة، قال فخط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال: قم هاهنا حتى آتيك، قال: فقمت ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فرأيتهم يتثورون إليه، قال فسمر معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا طويلا حتى جاءني مع الفجر فقال لي: ما زلت قائما يا ابن مسعود قال فقلت: يا رسول الله أو لم تقل لي قم حتى آتيك؟ قال ثم قال لي: هل معك من وضوء؟ قال فقلت: نعم ففتحت الإداوة فإذا هو نبيذ، قال فقلت له: يا رسول الله والله لقد أخذت الإداوة ولا أحسبها إلا ماء فإذا هو نبيذ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تمرة طيبة وماء طهور، قال: ثم توضأ منها فلما قام يصلي أدركه شخصان منهم قالا له: يا رسول الله إنا نحب أن تؤمنا في صلاتنا قال: فصفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ثم صلى بنا، فلما انصرف قلت له: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هؤلاء جن نصيبين جاءوا يختصمون إلي في أمور كانت بينهم وقد سألوني الزاد فزودتهم، قال فقلت له: وهل عندك يا رسول الله من شيء تزودهم إياه؟ قال فقال: قد زودتهم الرجعة وما وجدوا من روث وجدوه شعيرا، وما وجدوه من عظم وجدوه كاسيا، قال: وعند ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يستطاب بالروث والعظم. مسند أحمد: مسند عبد الله بن مسعود (4150). وأورد القرطبي رواية أخرى قال: روي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي؟ فسكتوا، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، قال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دب فخط علي خطا فقال: لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدر عليه أمثال الحجل يحدرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في

﴿إِلَيَّ﴾ أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ الشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين هما قضيتان: الأولى كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من غير شعور بهم ولما منعوا من السماع تطلبوا لسبب فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي يقرأ فأخبره الله بالوحي أن الجن استمعوا لقراءته، هذه هي القضية الأولى. والثانية لما بعث إلى الجن، فلهذا تعلم ما في تفسير المفسر من زلة قدم[1]، ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ نحن آمنا بذلك القرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا وَإِنَّهُ﴾ الشأن

دفوفها حتى غشوه فلا أراه، فقمت فأومى إلي بيده أن أجلس، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم فلما انفتل إلي قال: أردت أن تأتيني؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر، فلا يستطيبن أحدكم بعظم ولا بعر. قال عكرمة: وكانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل. وفي رواية أخرى انطلق بي عليه السلام حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خط لي خطا فأتاه نفر منهم فقال أصحابنا كأنهم رجال الزط وكأن وجوههم المكاكي فقالوا: ما أنت؟ قال: (أنا نبي الله) قالوا: فمن يشهد لك على ذلك؟ قال: (هذه الشجرة) فقال: (يا شجرة) فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال: (على ماذا تشهدين؟) قالت: أشهد أنك رسول الله فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة لها قعاقع حتى عادت كما كانت. تفسير القرطبي ج19/ ص4 -5.

1 - المفسر جلال الدين المحلي، وذلك في قوله إن الجن الذين ذكروا في بداية سورة الجن هم الذين ذكروا في قوله تعالى "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن" في الأحقاف. وقد أوضح الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عند شرحه حديث ابن عباس وهو الحديث رقم (4921) أنهما قضيتان قال: والجمع بين الروايتين تعدد القصة فإن الذين جاءوا أولا كان سبب مجيئهم ما ذكر في الحديث من إرسال الشهب، وسبب مجيئ الذين في قصة ابن مسعود أنهم جاؤوا لقصد الإسلام وسماع القرآن والسؤال عن أحكام الدين، وقد بينت ذلك في أوائل المبعث في الكلام على حديث أبي هريرة وهو من أقوى الأدلة على تعدد القصة. انتهى منه

﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلاَ وَلَدًا﴾ مستحيل هذا ﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب لوصفه بذلك تبارك وتعالى ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنــ﴾ـــه ﴿لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كنا نعتقد هذا لأننا كنا نظن أن أحدا لا يكذب على الله حتى تبينا كذبهم ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وأيضا كان أغوى الجن أن الإنس كانوا يستجيرون بالجن عندما ينزلون في سفرهم، وينزل بهم مخوف يقولون أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه. كانت قريش علّمهم جني هذه الكلمة إذا قالوها استجاروا من الجن فلما مضى بهم الزمن أتاهم آت ونهاهم عن ذلك وأمرهم أن يقولوا باسمك اللهم، فجعلوا باسمك اللهم بدل نعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه حتى نسختها بسم الله الرحمن الرحيم[1]. لما كان الإنس يستعيذون بالجن يرجونهم ويخافون منهم زاد ذلك الجن غواية ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ طغيانا فقالوا: سدنا الجن والإنس ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الجن ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَنْــ﴾ــه ﴿لَنْ يَّبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رمنا استراق السمع منها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ نجوما محرقة، وذلك لما بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِنَّا كُنَّا﴾ قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ كانوا يسترقون السمع من

---

1 – ذكره النسفي في تفسيره قال: كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. تفسير النسفي ج286/4. ونقل الطبري عن ابن زيد في قوله "وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا" قال كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال إني أعوذ بكبير هذا الوادي فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم. تفسير الطبري ج108/29.

السماء ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أرصد له ويرمى به ﴿وَإِنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بعدم استراق السمع ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرا ﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ الجن على هيئات مختلفة منهم صور كريمة شريفة تعمل الخير وفيهم صور خبيثة شريرة لا تعمل إلا الشر «منا الصالحون ومنا دون ذلك» ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ فرقا مختلفين بين مسلمين وكافرين خيارا وشرارا ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ نعتقد أن أحدا لا يفوت الله تبارك وتعالى هاربا في الأرض كائنا ما كان ﴿وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَنْ يُّؤْمِن بِرَبِّهِۦ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصا من حسناته ﴿وَلاَ رَهَقًا﴾ ظلما بالزيادة في سيئاته ﴿وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ قصدوا هداية ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ فكانوا حطبا لجهنم أي وقودا ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُواْ﴾ وأنه الشأن لو استقاموا ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم علم ظهور كيف شكرهم، قال لو استقاموا لسقاهم الماء وفتنهم، لأنه كلما كثر الماء كثر الرزق وكثر المال، وإذا كثر المال وقعت الفتن لا محالة، فهم أخبرهم تبارك وتعالى أنهم لو استقاموا لأسقاهم ماء والمراد بذلك التوسعة عليهم في الدنيا وبسط الأرزاق، وإنما اقتصر على ذكر الماء لأن الخيرات والرزق كلها بالماء وهو أصل الأرزاق. قال عمر: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة[1]، وفيه معنى يرمز للصوفية وهو

---

1 - روح البيان ج10/196.

أن العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة لوسع الله عليهم في الرزق بالمعارف والمحبة المشبهة بالماء لكونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة الأجسام، فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويتواجدوا ويخرجوا عن الأهل والأوطان. والاستقامة سبب الرزق الظاهر والرزق الباطن. «لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه» ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿نَسْلُكْهُ﴾ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقا ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ المساجد لله فلا تدعو غير الله فيها بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا. المسجد لله، الأرض كلها لله، فالمساجد كونها لله إضافة تشريف، وإلا فالأرض كلها لله، ولكن المساجد لما بنيت مخصوصة بالعبادة لله نص القرآن على أنها لله، وهذا لا ينافي كون كل مسجد بيد أحد يصونه ويمنع الفساد فيه. وقد كان صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل من الثنية إلى مسجد بني زريق[1]، ويقال مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا ينافي أن المساجد لله ﴿وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخلة ﴿كَادُواْ﴾ الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ كادوا أن يكونوا عليه كاللبد لركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن. عبد الله اسم محمد صلى الله عليه

1 - في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها. صحيح البخاري: كتاب الصلاة/ باب هل يقال مسجد بني فلان (421) صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب المسابقة بين الخيل وتضميرها (3477). والغرض هنا بيان صحة إضافة المسجد إلى صاحبه.

وسلم من أحب أسمائه إليه فإنه صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[1] أي لا فخر لي بالسيادة إنما فخري بالعبودية وهو صلى الله عليه وسلم مقامه عبدا أعلى من مقامه سيدا. انظر بين المقامين هو يكون سيدا علينا إذا كان بين الخلق، إذا كان بين الخلائق فهو سيدهم، وأما إذا كان في حضرة الله تبارك وتعالى فهو عبد الله وكونه في حضرة الله تبارك وتعالى مقامه في ذلك الوقت أعلى من مقامه وهو في الخلق فلهذا قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) فخري بالعبودية لهذا حلاه الله بهذا الاسم في أجل مقاماته: ليلة الإسراء، ووقت نزول الوحي عليه، وحين الدعوة إلى الله تبارك وتعالى. في الإسراء: "سبحان الذي أسرى بعبده"، نزول الوحي: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب" مقام الدعوة إلى الله: "وإنه لما قام عبد الله يدعوه" فهذه أعلى مقامات الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كل منها سماه الله عبدا وهذا أرفع مقاماته وهو عبد الله المطلق الذي استغرقت عبوديته جميع العوالم فكل عبد جزء من محمد صلى الله عليه وسلم وهو العبد المطلق، فلهذا صلح أن يكون وحده عبد الله لأنه ككل أو هو الكل.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[2].

---

1 - أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر). سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في فضل النبي (3548). وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الشفاعة (4298). وقد تقدم في الدروس 7، 30، 31، و47.

2 - ذكره عبد الرحمن البرقوقي في شرحه لديوان المتنبي وقال إنه لأبي نواس. شرح ديوان المتنبي مج2/ ج291/3.

عبد الله وسيد الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وحرصا على صون إيمان الأمة عن أن يقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلنا: اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله، فلو قال القرآن سبحان الذي أسرى بنبيه. بنبيه وبِبُنَيه لا فرق بينهما في الكتابة[1] ربما ضلت الأمة كما ضلت النصارى قبلنا فعلى هذا تجد الحق يصرح في محمد بالعبودية في أعلى مقاماته لئلا يقع الالتباس بين مقام العبد وبين مقام الرب فالحضرتان متقاربتان جدا. «كادوا يكونون عليه لبدا» ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّي﴾ إلها ﴿وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا﴾ الضار النافع واحد ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ ﴿إِلاَّ بَلاَغًا﴾ لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ﴾ إذا بلّغ فعل ما عليه والباقي بيد الله تبارك وتعالى (بعثت داعيا وليس لي من الهداية شيء، فلو كان لي شيء من الهداية لما ضل أحد، وخلق إبليس مزينا وليس له من الضلالة شيء، لو كان لإبليس شيء من الإضلال لما اهتدى أحد)[2] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال من ضمير "مَن" في "له" رعاية لمعناها وهي حال مقدرة والمعنى: يدخلونها مقدرا خلودهم ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله فيهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعوانا أهم أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب

---

1 - حيث أن نقط الحروف أحدث بعد ذلك العهد.

2 - (بُعثت داعيا ومبلغا وليس إلي من الهدى شيء، وخلق إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شيء) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج1/ رقم 3153. وقد تقدم في الدرسين 12 و43.

﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ إن الله تبارك وتعالى أخفى أمر الساعة تماما لا يعلم وقت وقوع الساعة إلا الله وحده، الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدر أقريب أم بعيد ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ الله هو عالم الغيب ﴿فَلاَ يُظْهِرُ﴾ يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ هذا الغيب الذي هو الساعة إن الله لا يطلع أحدا عليه ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ إن الله تبارك وتعالى إذا ارتضى أن يطلع رسولا أو ملكا من ملائكته يطلعه على ما شاء، «من بين يديه» رسول «ومن خلفه» رسول من الملائكة يحفظونه ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ الرسل ﴿رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز محول "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا" هذا لا ينافي أن الأنبياء أخبروا بالمغيبات ووقع الأمر كما أخبروا به، والأولياء كذلك، وأهل الإلهامات كذلك، وأهل الإلهامات من كان منهم مستقيما على دينه فإلهاماته كرامة، ومن كان غير مستقيم على دين فاستدراج، إما سحر أو غير ذلك. ولكن لم يزل ولن يزال رجال أو آحاد يخبرون بالمغيبات فيقع الأمر كما أخبروا، فإذا نفينا هذا وقلنا إن مراد الله أن الغيب لا يعلمه أحد فهذا يشكك الناس في القرآن، الغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو وقت وقوع الساعة وما سوى هذا من المغيبات رأينا عن تجربة من يخبر بالمغيبات ويأتي الأمر كما يخبر، إما كرامة إذا كان من أهل الاستقامة أو استدراجا إذا كان ممن لا خير فيهم، ولكن الكشف الظلماني الذي يكشف عما يجري في هذا الكون يقع للسحرة وللنصارى وللمجوس، والكشف النوراني لا يقع إلا لأهل الله تبارك وتعالى.

سورة المزمل

مكية إلا قوله إن ربك يعلم إلى آخرها فمدنية

تسع عشرة أو عشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمْ﴾ سبب نزول هذه السورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تزوج بخديجة بنت خويلد وكانت غنية والرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئا من المال أهدت خديجة بجميع أموالها للرسول صلى الله عليه وسلم، فأذن لها الرسول صلى الله عليه وسلم في التصرف في المال كما كانت تتصرف. ويأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم زادا ويذهب إلى الغار غار حراء فوق جبل الثور جبل شاهق، يطلع عليه المصطفى وفي رأسه غار يدخل فيه يخلو وحده هنالك لعبادة الله، ما كان يعرف كيفية العبادة ولكن عبادته في تلك المدة الخلوة فقط يعتزل عن الناس يصفو قلبه مع الله تبارك وتعالى حتى جاءه الوحي: جاءه الملك وهو في الغار فتعرض له وقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. يقصد أنه لا يقرأ لا يعلم القراءة ولا الكتابة فغطه جبريل حتى بلغ منه الجهد فأطلقه وقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ، فغطه حتى بلغ منه الجهد فأرسله وقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ، فغطه حتى بلغ منه الجهد فأرسله وقال له: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" فرجع إلى خديجة وقلبه يرجف: خشيت على نفسي، يتعرض لي شخص يقول لي اقرأ وأنا لا أقرأ، فقالت خديجة: تالله لن يخزيك الله أبدا أنت تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، لست ممن يخزيه الله فنزل الوحي فقال لها صلى الله عليه وسلم وهو يرتجف: زملوني زملوني من شدة

هول ما يرى صلى الله عليه وسلم فزملته، فجاء الملك يا أيها المزمل قم[1]، يا أيها المدثر قم طرأ شيء كبير في العالم، اختار الله هذا الاسم ليشمل كل متزمل ينام ليله كلا، فالقرآن يقول يا أيها المزمل قم، هو المصطفى صلى الله عليه وسلم ويعم كل من تزمل بدثاره ينام ليله كلا. ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ المتلفف بثيابه ﴿قُمْ﴾ صلِّ ﴿الَّيْلَ﴾ صلِّ الليل كله فصار المصطفى يصلي الليل كله ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ﴾ صلِّ نصفا ونم نصفا ﴿أَوُ انقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف الذي تنام ﴿قَلِيلاً﴾ تصلي نصف الليل أو تصلي ثلث الليل وتنام ثلثين أو تصلي ثلثين وتنام ثلثا ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ما شئت فهو مخير في أن يصلي نصف الليل أو ثلث الليل أو ثلثي الليل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ تثبت في تلاوته، رتله ترتيلا، القرآن يرشدنا دائما إلى كثرة تلاوة القرآن، فتلاوة القرآن أفضل العبادات مطلقا[2]. حرف واحد من القرآن لا يوازيه عمل ما.

---

1 – أخرج البخاري في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ علم الإنسان ما لم يعلم، فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي وأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.. الحديث. صحيح البخاري: كتاب التعبير /باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة (6982).

2 – روى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا) الجامع الصغير ج1/ (1305).

وللتلاوة آداب: طهارة واستقبال والجلوس والنظر في المصحف ولو كنت تحفظ القرآن، وإذا قرأت آية خوف تخاف وتتعظ، وإذا قرأت آية وعد ترجو وتدعو الله، ولا تشتغل بالكلام مع الناس أنت في مناجاة الجليل تبارك وتعالى، وإذا قرأت القرآن أقبل إليك هو، فإذا اشتغلت بالكلام مع غيره قيل لك: ويلك إلى أين تصرف وجهك عني؟ وللصالحين آداب في تلاوة القرآن كان عثمان يختم القرآن في كل ليلة في ركعة واحدة. صلاة الليل عند عثمان وتره ركعة واحدة كل ليلة بالقرآن كله[1]. وهذا مع حضور واستحضار وتفكر تدبر تام. عثمان قادر على ذلك ومن كان إذا أكثر من قراءته قل تدبره يقرأ ولو آية واحدة يتدبرها ويستحضر أفضل له، فلهذا ورد من ختم القرآن في أقل من ثلاث فلم يحضر[2]، إذاً منهم من يقرأ القرآن في ثلاثة أيام ومنهم من يقرؤه في أسبوع[3]. عادة السلف إلى يومنا هذا يقرأون على هذا الترتيب: الكمل من القراء الحزب الأول ثلاث سور، والثاني خمس سور، والثالث سبع سور، والرابع تسع سور، والخامس إحدى عشرة

---

1 – عن محمد بن سيرين أن عثمان كان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة. كنز العمال: كتاب الفضائل من قسم الأفعال /باب فضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه (36170).

2 – عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث يعني القرآن). مسند الطيالسي: الأفراد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم (2275).

3 – جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ القرآن في شهر) قلت إني أجد قوة حتى قال: (فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك). صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن/ باب في كم يقرأ القرآن (5054). ولفظه عند مسلم : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ القرآن في كل شهر قال قلت: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في عشرين ليلة، قال قلت: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك). صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.. (1964).

سورة، والسادس ثلاث عشرة سورة، والأخير المفصل[1]. يبتدئ من البقرة إلى المائدة هذه ثلاث سور، من المائدة إلى يونس خمس سور، من يونس إلى الإسراء سبع سور، من الإسراء إلى الشعراء تسع سور، من الشعراء إلى والصافات إحدى عشرة سورة، من والصافات إلى ق ثلاث عشرة سورة، من ق إلى الناس هذا المفصل:

بكر عقود يونس سبحانا والشعرا يقطين ق بانا

كما قال قائل. ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ قرآنا مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف ثقيلا لأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ موافقة للسمع، الإنسان يتحرى صلاته بالليل الجزء الأخير من الليل بعد نوم الناس ذلك وقت الصفاء، وقت موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ أبين قولا. الليل وقت المناجاة وقت المبيت وقت اتصال كل أحد بمحبوبه، تخص وقت تلاوتك ذلك الوقت الصافي ﴿إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ تصرفا في أشغالك، النهار الأشغال فيه كثيرة لا تفرغ فيه

1 - أخرج ابن ماجه في سننه عن أوس بن حذيفة قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة له، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ويقول: (ولا سواء كنا مستضعفين مستذلين فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا) فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلت: يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة قال: (إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه) قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل. سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب في كم يستحب يختم القرآن (1335).

لتلاوة القرآن. على أن للنهار حقا ولليل حقا، الإنسان الواجب عليه أن يعمر جميع أوقاته لله تبارك وتعالى، وإذا كان لك ورد في الليل وفاتك ذلك الورد كما سأل بعضهم وقضيته في النهار فقد قضيت حقا كنت تؤديه في الوقت، ولكن فات حق الوقت نفسه، حقوق في الأوقات وحقوق للأوقات، الوقت نفسه يطالبك بحق أن تشغله في الله، وإذا فات ذلك وقضيت ما كنت تعمل فيه في وقت آخر، الحق قضيته ولكن حق الوقت فات. كان واحد من الصالحين يقوم الليل كله فغلبته عيناه ليلة فنام الليل كله ولم يصل ركعة واحدة فأصبح محقق أن حزبه قضاه في النهار ولكن نام فرأى لياليه التي فاتت كلا كالقمر ليلة البدر مشرقة حوله، وواحدة سوداء غضبى تخاطبه: شوهتني بين نظرائي، نورت جميع الليالي وجعلتني في ظلمة ردّ إلي حقي[1]، وذلك قد فات. الليل والنهار جعلهم الله خلفة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا، ولكن المطلوب من أخص الخواص أن يعطي الليل حقه ويعطي النهار حقه، وكل يوم يكون أفضل من الأمس، من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه أنقص من أمسه فهذا خاسر تماما، والمطلوب أن يكون رابحا في كل وقت، وكل يوم خير من أمسه وكل وقت خير من الوقت الذي قبله ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك كلما أردت أن تقرأ فقل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله تبارك وتعالى في العبادة ﴿تَبْتِيلاً﴾ تبتل إلى الله تبارك وتعالى تبتيلا. كان من حقه أن يكون تبتلا، بتّل تبتيلا أو تبتل تبتلا، ولكن الحق تبارك وتعالى عبر بتبتل لتعلم أن التبتل هو المختار «تبتيلا»، فلابد من الابتداء من البداية. والتبتيل البداية والتبتل هو النهاية. التبتل إلى

---

1 - ذكره البروسوي في روح البيان ج239/6.

الله تبارك وتعالى ما هو؟ ليس التبتل للعبادة، من تبتل إلى العبادة فقد تبتل إلى العبادة لا إلى الله، ومن تبتل لطلب الآخرة هذا متبتل للآخرة، ومن تبتل إلى المعرفة هذا متبتل للمعرفة، والمطلوب التبتل لله تبارك وتعالى، فالمتبتل لله في العبادة متبتل للمعبود لا للعبادة متبتل للمعروف لا للمعرفة. وما يوجب التبتل؟ الإنسان لا يتبتل إلا لشيء يحبه محبة صادقة زائدة، والمحبوب حقيقة هو الله تبارك وتعالى هو الذي يستحق المحبة من العبد. إذاً تبتلْ إلى الله تبارك وتعالى. ولِم لا يستحق المحبة من العبد إلا الله؟ العبد مجبول طبعا أن يحب الكمال والتكميل، إذا ذُكر لك الآن رجل مضى منذ ألف سنة كان زائدا في العلم أحببته طبعا لكماله، أو رجل بطل شجاع مثل علي بن أبي طالب إذا سمعت به وهو مضى أحببته حالا لأن الإنسان جبل على حب الكمال فكل كمال يحبه، وكمال الكمال لله تبارك وتعالى. الكامل المطلق هو الله، فعلى هذا لا يستحق المحبة إلا الله، والإنسان يحب التكميل، التكميل من يُكْملك فلهذا تجد الجواد محبوبا، الجواد تجد منه الميل، تحبه لأنه يكملك، الإنسان يحب الكمال ويحب التكميل والله هو الكامل المطلق وهو المكمل، أي هو الحسن وهو المحسن، الله هو الجميل حقيقة وهو الكامل وهو الذي أجرى إليك الإحسان، فلهذا لا ينبغي أن تتبتل لشيء إلا إلى الله تبارك وتعالى، فعلّل أمره بالتبتل إليه بقوله ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ هذا عبارة عن التكميل والكمال، رب المشرق والمغرب إذا كنت تحب التكميل تحب من يجود عليك، من يحسن إليك، فالله هو رب المشرق والمغرب لا يوجد شيء من غيره، إذا فهو المكمل، و«لا إله إلا هو» هو الكامل المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، هذا كامل ونحن نحب الكمال ونحب التكميل، الكمال والتكميل كلا لله تبارك وتعالى «رب المشرق والمغرب» هذا المكمل، «لا إله إلا هو» هذا الكامل تبتل إليه تبتيلا «رب

المشرق والمغرب لا إله إلا هو». ووراء مقام التبتل مقام أعلى منه، الإنسان أولا يشتغل بالتبتيل يبتل نفسه من غير الله تبارك وتعالى، هذا مازال في شغل عن الله تبارك وتعالى غير متبتل، ولكن إذا بتّل نفسه يتبتل عن كل ما سوى الله فتم، المتبتل ليس فيه تكلف انقطع عن كل شيء إلا الله تبارك وتعالى لأن الله هو الكامل وهو المكمل، ووراء هذا يفوض العبد أمره إلى الله تبارك وتعالى إن شغله بالتبتل يكن متبتلا لا يريد التبتل، يريد مراد الله فقط، وإن شغله بغير التبتل اشتغل بما شغَله فيه، لا يريد غير التبتل إنما يريد مراد الله تبارك وتعالى، هذا هو العارف صرف نفسه عن كل مراده إلى مراد الحق، إن بتله تبتل وإن صرفه في شيء انصرف فيه، لا يريد شيئا إلا ما أراد الله تبارك وتعالى "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله" سبحان من جعل في كل كلمة أسرارا مخفية لا تنحصر ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ أشار للمقام الثالث: اتخذْه وكيلا، «رب المشرق والمغرب» هذا المكْمِل، «لا إله إلا هو» هذا الكامل، «فاتخذه وكيلا» اترك نفسك مع مراده واتخذه وكيلا، إن بَتّلك تبتل وإن صرفك في شيء فانصرف فيه بمراده لا بمرادك. سار ولي وطوى جميع العوالم وحضر إلى الله تبارك وتعالى قال له: كل ما وراءك وهبته لك، قال: ما ورائي شيء، ما رأيت شيئا، قال: كل ما تريد أقضيه لك. قال: لا أريد، ما تريد فهو المراد. هذا هو الحر، الحر من لا يريد إلا مراد الله. ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ كفار مكة من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ لا جزع فيه ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ صناديد قريش ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ التنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ من الزمن سيهلكون، فقتلوا بعد يسير منه ببدر ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾ قيودا ثقالا ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارا محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من النار لا يخرج ولا ينزل

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما زيادة على ما ذكر ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملا مجتمعا ﴿مَهِيلاً﴾ سائلا بعد اجتماعه، هكذا يوم القيامة تسيل الجبال وبعد قليل من شدة الهول تصير الجبال كثيبا مهيلا سائلا وبعد ذلك هباء منبثا منتشرا ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولاً﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة لما يصدر منكم من العصيان يطلع على أعمال أمته كل ليلة اثنين وكل ليلة الخميس فيستغفر للأمة إلا إذا وقع بين أخوين نزاع وخلاف، أخروا هؤلاء، أخروا هؤلاء حتى يصطلحا[1] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ هو موسى ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ موسى ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ شديدا أهلكه الله في القلزوم ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ بأي حصن تتحصنون إن كفرتم، إذا جاء يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ الولد الصغير يشيب يوم القيامة من شدة الهول نواصي الأطفال تجد فيها الشيب ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ﴾ ذات انفطار أي انشقاق ﴿بِهِ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ ذلك اليوم ﴿مَفْعُولاً﴾ هو كائن لا محالة ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ هذه السورة أو هذه الآيات عظة للخلق ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ طريقا بالإيمان والطاعة. لما

---

1 - أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا). وأخرج عن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة رفعه مرة قال: (تعرض الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال اركُوا هذين حتى يصطلحا، اركُوا هذين حتى يصطلحا) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب النهي عن الشحناء والتهاجر (4652-4653).

نزل "قم الليل إلا قليلا" نزل التخصيص بعد ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ الَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ علم الله قيام المصطفى، في أكثر لياليه تارة نصف الليل وتارة ثلث الليل ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أصحابه كانوا يصلون الليل ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ يحصي ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ﴾ـــه ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تقوموا الليل كله، ولكن يحصل قيام الليل بقيام بعضه، وقيام جميعه ربما يشق عليكم. إن للنفس عليك حقا ولأهلك عليك حقا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ولو ركعتين. قيام الليل منهم من يقوم الليل، منهم من يقوم نصف الليل، منهم من يقوم ثلث الليل ولكن يصدق حتى بركعتين قبل الشفع والوتر، ويصدق بالجلوس قبل طلوع الفجر تنتظر صلاة الصبح، افعلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾ بعض الناس يحبسهم المرض ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ وبعض الناس يسافرون لطلب الرزق ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بعض الناس يشتغلون بالجهاد قدم التجارة على الجهاد هنا، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن كل أحد منكم يجرب سببا يجد به الرزق وهو جرب أن رزقه في رمحه في سيفه: الجهاد[1]. الجهاد هو حرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم هو أفضل الحرف. وبعد الجهاد التجارة. التجارة حرفة أبي بكر وعمر وعثمان وأغنياء الصحابة. وتسعة

---

1 – أخرجه أحمد عن ابن عمر بلفظ: (بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده وجُعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب (4868). وذكره البخاري في صحيحه ترجمةَ بابٍ من كتاب الجهاد والسير: باب ما قيل في الرماح ويذكر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: جُعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري.

أعشار الرزق من البيع والشراء[1]. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: من جلب سلعة مفقودة إلى أرض وباعها بسعر يومها أي نظر بكَم اشتراها وكم صرف في نقلها إلى هنا وجعل ربحا عشر ما اشتراه به هذا بيع يومه ثمن يومه سعر يومه يكون بمنزلة الشهداء يوم القيامة[2] بل إن الآية قدمت التجار على المجاهدين ولكن بشرط الطهارة وترك الخيانة والكذب والأيمان الفاجرة. (يا معشر التجار إنكم الفجار إلا من اتقى الله وبر وصدق)[3] ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ مما خلفتم قال المفسر ، لا مما أنفقتم على أنفسكم. ما خلفتم هذا خسران ولكن هو خير مما أنفقتم

1 – (تسعة أعشار الرزق في التجارة والعشر في المواشي). عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي ويحيى بن جابر الطائي مرسلا. كنز العمال: كتاب البيوع/ باب الكسب (9342).

2 – قال السيوطي في الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلاد المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله". الدر المنثور ج323/8 كما أورده القرطبي في تفسيره ج55/19 عن علقمة وابن مسعود.

3 – أخرج الترمذي عن رفاعة أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: (يا معشر التجار) فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق). سنن الترمذي: كتاب البيوع/ باب ما جاء في التجار وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم لهم (1131) وفي سنن ابن ماجه: كتاب التجارات/ باب التوقي في التجارة (2137).

على أنفسكم. خرج عمر إلى البقيع: السلام عليكم يا رقاب المسلمين أنتم السابقون وإنا بكم لاحقون. أخبار ما طرأ بعدكم أموالكم قد قسمت نساؤكم تزوجن بغيركم ودياركم قد سكنت سكنها أعداؤكم، هذا ما طرأ بعدكم. سمع صوتا: ما قدّمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا[1]. ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ﴾ استغفر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالمؤمنين.

سورة المدثر

مكية من أول ما نزل خمس وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سبب نزولها سبب نزول السورة قبلها ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ الأمر يدل على معان ثلاثة، أمر تحصيل تحصيل ما لم يحصل، وأمر زيادة، وأمر مداومة «قم فأنذر» هذا أمر يحصل ما لم يكن قد حصل، ما قام للإنذار قبل هذه الآية قم يا محمد فأنذر، خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظّم من الشرك من إشراك المشركين ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة كان العرب يطيلون الذيول ويجروها خيلاء وكان المصطفى عربيا فأمره الله أن يطهر ثيابه فقطع من نصف ساقه فصار أحسن لباس حتى صار العرب يفعلون كما فعل صلى الله عليه وسلم «وثيابك فطهر» من

1 – جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر ببقيع الغرقد فقال: السلام عليكم أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد قسمت. فأجابه هاتف: يا ابن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه، وما أنفقناه فقد ربحناه، وما خلفناه فقد خسرناه. القرطبي ج2/ 73.

النجاسة أو ثيابك نفسك فطهر من الشرك[1] أو للعبد ثياب كثيرة: ثوب الإيمان، وثوب الإخلاص، وثوب اليقين، وثوب الإحسان، وثوب المحبة، طهر هذه الثياب كلا عما سوى الله تبارك وتعالى. ﴿وَالرِّجْزَ﴾ الصنم ﴿فَاهْجُرْ﴾ دم على هجرانه ﴿وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تعطي شيئا لتطلب أكثر منه هذا حرام في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم مكروه في حق غيره ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية للبعث بأن نفخ إسرافيل ﴿فَذَلِكَ﴾ وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ اشتد الأمر ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة كبير صناديد قريش كان له أموال كثيرة كان له تسعة آلاف مثقال من الفضة وستة آلاف من الذهب وعنده ثمانية عشر عبدا كلهم يتجر رأس ماله ألف على الأقل، وكان له أولاد اثنا عشر ولدا، ثلاثة منهم أسلموا خالد وهشام والوليد فقط والباقون تسعة بقوا على كفرهم. سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم فمال قلبه إلى الإيمان بالقرآن فقال هذا الكلام ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن ولا من كلام العالمين جميعا، إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وهذا الكلام يعلو ولا يعلى عليه، فانقطع

---

1 - قال النووي: "وثيابك فطهر" قيل معناه طهرها من النجاسة، وقيل: قصرها، وقيل: المراد بالثياب النفس أي طهرها من الذنب وسائر النقائص. شرح النووي على صحيح مسلم: شرح الحديث (232). وأخرج ابن ماجه في سننه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قلت لأبي سعيد هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا في الإزار؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه ما بينه وبين الكعبين وما أسفل من الكعبين في النار يقول ثلاثا لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا). سنن ابن ماجه: كتاب اللباس/ باب موضع الإزار أين هو (3563) وفي مسند أحمد: مسند المكثرين/ مسند أبي سعيد الخدري (10603).

عن مجلس المشركين أياما فسمع أبو جهل بن هشام بذلك فأتاه وقال له: الناس يتحدثون عنك أنك الآن طفيلي على ابن أبي كبشة محمد بن عبد الله. قال: مسكين ما عنده حتى أتطفل عليه؟ ليس عنده شيء ولكن سمعت منه كلاما علمت أنه ليس من كلام الجن وليس من كلام الإنس وما هو إلا كلام رب العالمين لا أقدر أن أكفر بهذا الكلام بعد اليوم. قال له أبو جهل: إذا نعزلك عن الرئاسة علينا ونفعل ونفعل بك، تفكر في الجواب. قال: خلني حتى أتفكر. وقال له أبو جهل: هذا شعر فقط، قال: ليس بشعر أنا أدرى الناس بالشعر. قال: كهانة، قال: تعلمون أن محمدا ليس بكاهن أرأيتم فيه حالة الكهنة؟ قال: لا ليست فيه، قال: سحر. قال: لا ليس فيه سحر. قال له: كذب. قال: لا، محمد ما كذب قط هو الأمين، من لا يكذب على الناس لا يكذب على رب العالمين. قال: تفكر واتنا غدا بجواب. وفي الغد أتاهم وقال لهم: لعله سحر يوثر في القلوب فارتد[1]. قال تعالى «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا» دعني وهذا الرجل الذي خلقته وحدي. إن الله تبارك وتعالى خلقه وحده ليس له معين أو خلقت وحيدا خلقته هو وحيدا منفردا بلا أهل

---

1 - جاء في دلائل النبوة للبيهقي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر لها أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت "ذرني ومن خلقت وحيدا". دلائل النبوة: /باب اعتراف قريش بما في كتاب الله من الإعجاز. ج445/1. تقدم في الدرس 36.

ولا مال ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا﴾ أعطيته بعد ذلك هذا المال الكثير أو «ذرني ومن خلقت وحيدا» خلقته وجعلته وحيد زمانه منفردا في صفته بكثرة المال وكثرة الأولاد والجاه، «وجعلت له مالا ممدودا» واسعا متصلا من الزرع والضروع والتجارة ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر كان له اثنا عشر ولدا ذكورا ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم أو شهودا جلوسا عنده. كان له اثنا عشر ولدا كلهم رجل يجلسون حوله ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ يطمع الوليد أن يزيده الله ﴿كَلاَّ﴾ لا أزيده. لما نزلت «كلا» ما ولد له ولو سقطا حتى مات وصار ماله في الانتقاص حتى صار مسكينا قبل موته. «كلا»، فقد سلبه جميع ما عنده من المال والولد ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ معاندا هو عرف الحق فعانده ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ أكلفه ﴿صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب أو صعودا يصعد في جبل في النار إذا وضع يده عليه سقطت ذابت اليدان وسقط في النار ثم ترجع اليدان فإذا مس الجبل ذابت يداه وسقط في النار ثم كذلك وهلم جرا ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ في ما يقول في القرآن، لما آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وحمله أبو جهل على الكفر قال إنه يتفكر في ماذا يقول ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه قدّر أمر نفسه ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على أي حال كان تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ لُعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه قومه فيما يقدح به فيه ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في القبض والكلوح ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ سحر نقل عن السحرة فقط ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ كما قالوا ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أدخله ﴿سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيما لشأنها ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾ لا تبقي شيئا من لحم الكافر ولا عصبه إلا أهلكته، ثم يعود كما كان

﴿لَوَّاحَةٌ﴾ محرقة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ لظاهر الجلد ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكا وكّل الله على الجحيم تسعة عشر ملكا من خزنة النار. لما نزلت هذه جمع أبو جهل صناديد قريش: ألستم الرجال الذين يوجد منكم من يقاتل ألفا؟ قالوا نعم، قال: هذا محمد يهددنا بنار خزنتها تسعة عشر رجلا فقط، أتعجزون عن واحد جميعكم؟ قالوا: لا، قال: أنا أكفيكم ثمانية عشر واكفوني واحدا فقط. قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً﴾ ليسوا برجال إنما هم ملائكة لا يطاقون كما يتوهم اللعين ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ فِتْنَةً﴾ ضلالا ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ذكر الله العدد القليل وهم رؤساؤهم فقط تسعة عشر ولكن العدد ليس كذلك هم أكثر من ذلك. خزنة النار أكثر من تسعة عشر، ولكن الرؤساء فقط هم تسعة عشر ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ليستبين ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ صدق النبي صلى الله عليه وسلم وتسعة عشر سبق ذكره في التوراة فإذا سمع اليهود القرآن يذكر ما ذكر التوراة والنبي ما عرف التوراة تيقنوا صدق النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ والذين آمنوا كعبد الله بن سلام لما نزلت موافقة القرآن لكتبهم ومحمد لم يقرأ ولم يكتب تيقنوا بصدق القرآن ﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ لو جاء عدد في التوراة وعدد آخر في القرآن مختلفا لوقع ارتياب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَّشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ ولكن الحق أن عدد الملائكة في قوتهم وأعوانهم عدد لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا هِيَ﴾ سقر ﴿إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ وهذه النار يذكرها القرآن تذكرة للمؤمنين ﴿كَلاَّ﴾ ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾ قسم ﴿وَالَّيْلِ﴾ قسم ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ مضى ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ظهر ﴿إِنَّهَا﴾ سقر ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ إحدى البلايا العظام أعاذنا الله منها

﴿نَذِيرًا﴾ تذكرة ﴿لِلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو إلى الجنة ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر أو إلى النار ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون فناجون كائنون ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ بينهم ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. أهل الجنة يتساءلون سؤال شماتة عن المجرمين الذين في جهنم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ أي شيء أدخلكم النار ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ هذا هو السبب في دخول النار "فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى" دخلوا النار ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ البعث، لا بعث ولا جزاء ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ فلهذا إن الملائكة تشفع والأنبياء يشفعون والصالحين يشفعون ولا شفاعة لهم ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ ما بالهم ﴿عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ معرضين عن التذكرة، أي شيء حصل لهم في إعراضهم ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ وحشية ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أسد. يهربون من الموعظة كما يهربون من الأسد. قالوا نحن لا نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه "لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه" إذا أراد الله أن نؤمن به فهو يعلم عنوان كل أحد منا، يكتب كتابا إلى أبي جهل بن هشام، كتابا إلى شيبة، كتابا إلى الوليد، كتابا إلى عتبة، إلى الوليد بن المغيرة كل واحد منا يخصه بكتاب، كتابا يخبرنا بأمره ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ كلهم يحب أن تكون بينه مراسلة مع الله تبارك وتعالى ﴿كَلاَّ﴾ ردع عما أرادوه لا يمكن هذا ﴿بَل لاَّ يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ لا يخافون عذاب الآخرة ﴿كَلاَّ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ قرأه فسعد ﴿وَمَا تَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ كل بمشيئته تبارك وتعالى

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ هو المستحق لأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ هو الأهل لأن يعطي المغفرة.

سورة القيامة

مكية تسع وثلاثون أو أربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من آداب القراءة السكوت قبل الابتداء برأس السورة أدبا من أن تقول بسم الله الرحمن الرحيم وتنفي بعد ذلك مباشرة. ﴿لاَ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلاَ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ النفس التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف لتبعثن. النفس سبعة أقسام كما جاء في القرآن: الأولى النفس الأمارة بالسوء "إن النفس لأمارة بالسوء" هذه نفس الكفار والعصاة، فإذا أراد الله بالإنسان خيرا أرسل لها باعثا من سرها يلومها إذا قصرت في الطاعة أو إذا ارتكبت معصية فتصير النفس الأمارة تتقلب لوامة دخلت في حيز الخير واستحقت أن أقسم الله بها «ولا أقسم بالنفس اللوامة» فإذا أراد بها خيرا زائدا بعث لها من سرها إلهاما يلهمها على الخير "فألهمها فجورها وتقواها" هذه النفس الملهمة، فإذا كانت نفسا ملهمة تشتغل بالخير وتجتنب الشر مع اضطراب وتلون، فإذا استمرت على ذلك اطمأنت على الخير وتباعدت عن كل شر، صارت نفسا مطمئنة استحقت النداء من الحضرة "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك" إذا رجعت إلى الله تبارك وتعالى رضيت بجميع مجاري الأقدار لا تكون مرضية إلا بعد أن كانت راضية، هو ملك إذا لم ترض عنه فكيف يرضى

عنك؟ لابد أن ترضى عنه قبل أن يرضى عنك "راضية" فإذا كانت راضية تصير "مرضية" هذه ستة أقسام فترجع كاملة تصل إلى الكمال "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي" الكمل "وادخلي جنتي" ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ للبعث والإحياء ﴿بَلَى﴾ نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ وهي الأصابع نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة؟ ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ يكذب ﴿أَمَامَهُ﴾ يوم القيامة لا تعلم له شيئا وتريد تكذيبه؟ ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال استهزاء أو تكذيب ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ دهش وتحير لما رأى مما كان يكذبه ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب وذهب ضوؤهما وذلك يكون يوم القيامة ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار ﴿كَلَّا﴾ لا يمكن الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ يتحصن به ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر الخلائق جميعا إلى الله في ذلك اليوم فيحاسبون ويجازون ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره أو بما قدم من الطاعات وأخر من الطاعات ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ الإنسان في ذلك اليوم شاهد نفسه، تنطق جوارحه بعمله ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ لو اعتذر ما قبلت معاذيره ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعاني شدة لتلقي الوحي، كان إذا أتى جبريل وقرأ صار يقرأ مع قراءة جبريل يحب أن يقرأ القرآن أمام جبريل لئلا يغير شيئا أو يفلت شيء تكلفا وحرصا على أن لا يفوته شيء من القرآن، فكان إذا قرأ جبريل تراه يحرك لسانه ينطق بالكلمات التي ينطق بها جبريل، كأنه يأخذ القرآن من جبريل قال تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ بالقرآن

قبل فراغ جبريل ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦ﴾ خوف أن ينفلت منك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك، جمع القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وسلم على الله ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قراءتك إياه، جريانه على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يستمع إذا ذهب جبريل قرأه على الناس ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك. هذه الآية وحدها تعطينا الثقة في ديننا، هذه من أول ما نزل من القرآن يقول الله «إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه» تكفل الله لنبيه أن يجمع القرآن فجمع القرآن في الصدور والمصاحف جمعا خارقا للعادة حتى أنك لا تأتي بقعة إلا وتجد من يحمل القرآن في صدره، وتجد مصحفا جمع فيه القرآن، هذا في كل بيت، لا ترى محلا ليس فيه مصحف. لقيت راهبا في المغرب فوجدت عنده مصحفا. أخبرني سينغور[1] في هذا العام أن عنده مصحفا يقرؤه كل يوم، كل بلد تجد فيه القرآن وهذا لما ضمن الله لنبيه في بداية نزول الوحي «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ» جمع القرآن جمعا ما جمع لكتاب غيره «وَقُرْءَانَهُۥ» ضمن قراءة القرآن أيضا انظر إلى من يقرأ القرآن، الناس المسلمون يقرأون القرآن تقربا، والكفار يقرأونه احتياجا إليه ودعاية، والحديد يقرأ تجد كل إذاعة في كل وقت من الأوقات تردد القرآن حتى إذاعة إسرائيل، حتى إذاعة باريس، حتى فاتكان. تجول رئيس وزراء ابريطانيا عدو الإسلام في العالم فرجع، وقف في مجلس العموم البريطاني وبيده مصحف قال هذا الكتاب وتلك

---

1 - سينغور (ليوبولد سدار) (1906- 2001) سياسي سينغالي، رئيس الجمهورية السينغالية من سنة 1960 - 1980. عضو الأكاديمية الفرنسية.

البنية التي بمكة ما داما في الدنيا فلا قرار لنا في الدنيا[1] يجب علينا أن نحاربهما بكل ما نملك من قوة وإمكانية حتى يخرجا من الدنيا. هدْم الكعبة ومحو القرآن ونسي عدو الله أن إذاعة لندن في ذلك الوقت وهو رئيس الوزراء قبل الرابعة صباحا تردد القرآن بأحسن نغمة على رغمه، لأن الله ضمن لنا أن القرآن يقرأ، لابد أن يقرأ. قرئ بكل كيفية ما كنا نعرف وما لم نكن نعرف. هذا جمعه وقرآنه، «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» تفسير القرآن، ففسر القرآن كل هذه التفاسير المؤلفة، والرجال المفسرون للقرآن في كل بقعة إلى كل لغة في كل زمن إلى مجلسنا هذا، هذا كلا من ضمان الله لنبيه في بداية نزول القرآن. في كل هذا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فعلى هذا نثق بأن ما وعدنا الله في المستقبل سيكون هكذا ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ عادة الإنسان يحب ما حضر عنده. الدنيا لما كانت حاضرة أحبتها النفس والآخرة غيب مستقبل لا يعرفها إلا أولوا الألباب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾ حسنة مضيئة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ناظرة إلى ربها يرون الله سبحانه وتعالى كما ترون القمر ليلة البدر[2] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس ﴿تَظُنُّ﴾ توقن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة ﴿كَلاَّ﴾ ألا

---

1 – قال في مقدمة كتاب المستشرقون للمهندس زكريا هاشم زكريا: وأشير إلى صحيفة "فلادستون" رئيس الوزراء البريطاني في عهد الملكة فكتوريا في مجلس العموم البريطاني وهو يمسك بكتاب القرآن الكريم في يده قائلا: إنه ما دام هذا الكتاب باقيا في الأرض فلن يقر لنا قرار في بلادهم. ص11 من المقدمة.

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما ...). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" (7440).

﴿إِذَا بَلَغَتْ﴾ النفس ﴿التَّرَاقِيَ﴾ عظام الحلق هذا وقت الغرغرة ﴿وَقِيلَ﴾ لمن حوله ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ من يرقي هذا المتوفى الآن ليشفى ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن هو الميت ﴿أَنَّهُ﴾ ذلك اليوم ﴿الْفِرَاقُ﴾ بينه وبين الدنيا، أما المريض فيتحقق أنه ميت لا محالة ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ إحدى ساقيه تسقط على الأخرى عند الموت ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ سوق هذا العبد في ذلك اليوم إلى الله تبارك وتعالى. للموت علامات وعند علامة الموت هنالك علامات للسعادة وعلامات نعوذ بالله للشقاوة. إذا سقطت الساقان فلا ينتصبان أبدا وانفتحت العينان فلا تنطبقان، والفم انفتح فلم ينطبق، هذا المريض لا محالة يموت في ذلك اليوم، هذه سكرات الموت. وإذا رأيت الوجه نيرا والدموع تسيل منه فهذا العبد سعيد بإذن الله، وإذا رأيت العينين زرقاوين والوجه مكدرا فهذا علامة الشقاء ﴿فَلاَ صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلاَ صَلَّى﴾ هذا نزل في أبي جهل بن هشام ﴿وَلَكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان أدبر ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ يتبختر في مشيه إعجابا، هذه صفة مشي أبي جهل، يقول الصحابة كادت هذه الآية أن تصرح بأبي جهل «يتمطى» هذه كيفية مشيه تكبرا ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ لك ما تكره أولى لك ما تكره ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ تأكيد ليس لك إلا ما تكره. لقيه النبي لما نزلت الآية فأخذ بتلابيبه وخنقه النبي صلى الله عليه وسلم وحركه: يقول لك الله تبارك وتعالى «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» وتركه يرتعد[1] ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ لا يكلف بالشرائع ولا يحسب بشيء ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي كان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَى﴾ الإنسان ما هو؟ مني فقط صب في الرحم، في الماضي القريب كان

---

1 - السيوطي في الدر المنثور ج363/8.

منيا فقط صب في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله من تلك العلقة إنسانا ﴿فَسَوَّى﴾ عدل أعضاءه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المني ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ خرج ولد ذكرا وخرج ولد أنثى وما ذلك إلا مني فقط ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ الذي جعل المني ذكرا أو أنثى قادر على أن يبعث الإنسان بعد موته. لما نزل قال صلى الله عليه وسلم: بلى. فينبغي لمن قرأ هذه السورة أو سمع قارئا يقرؤها أن يقول بلى[1].

سورة الإنسان

مدنية إحدى وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ قد أتى على آدم زمان قال المفسر أربعون سنة، والصواب أربعون وأربعون وأربعون أي مائة وعشرون هو أربعون سنة طينا مسنونا، أربعون سنة صلصالا، أربعون سنة كالفخار، وبعد مائة وعشرين نفخ فيه الروح، وهو في تلك المدة ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا

---

1 - أخرج أبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله، سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب مقدار الركوع والسجود (753) وفي مسند أحمد: مسند المكثرين/مسند أبي هريرة (7086) وعن أبي هريرة رضي الله عنه كما عند الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ: "أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى" قال: (بلى). وإذا قرأ: "أليس الله بأحكم الحاكمين" قال: (بلى). مستدرك الحاكم: كتاب التفسير/ باب ذكر أدنى أهل الجنة وأفضلها منزلة (3931) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿مَّذْكُورًا﴾، مصور من طين لا يذكر ما يعتبره أحد، من جنس الجمادات، وبعد ذلك أحياه الله فصار إنسانا فيه الدم واللحم بعدما كان جمادا ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أما بنو آدم فخلقوا من أخلاط من المني ماء الرجل وماء المرأة الخليطين فصارا إنسانا ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف. خلقنا الإنسان من هذا الأصل لنختبره بأن نأمره وننهاه ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ بينا له السبيل ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان يختار إن شاء آمن وإن شاء بقي كافرا فبدأ بالأخير قبل الأول لاختصار أمره ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾ إذا كان كافرا فليس له في الآخرة إلا السلاسل والأغلال والسعير ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أما الأبرار المؤمنون بالله فيشربون من ذلك الخمر ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يقودونها حيث شاءوا من منازلهم، كانوا يقودونها «يفجرونها تفجيرا» ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ لأنهم كانوا إذا نذروا وفوا بنذرهم في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرا ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ نزل في أهل علي بن أبي طالب كان علي بات في بستان يهودي يسقي له حتى أصبح الصبح فأعطاه صاعا من شعير فأخذت فاطمة ثلث الصاع وصنعت عجينة فلما تم نضجها دخل مسكين: يا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مسكينكم، فدفعوه له وباتوا طاوين. غدا عجنوا الثلث الثاني فلما تم نضجه أتى يتيم وقال: يا أهل بيت النبي مسكينكم فدفعوه له[1]، والثالث كذلك

---

1 - قال البغوي: روي عن مجاهد وعطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب وذلك أنه عمل ليهودي بشيء من شعير فقبض الشعير فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ تصدقوا في ثلاث ليال كل ما كان عندهم فنزل في حقهم «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» حب الطعام وشهوتهم له «مِسْكِينًا» فقيرا «وَيَتِيمًا» لا أب له «وَأَسِيرًا» وهذا الأسير محقق أنه كافر ويقولون ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ شديدا ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ حسنا وإضاءة وجوه ﴿وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم ﴿جَنَّةً﴾ أُدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أُلبسوه ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السرر في الحجال ﴿لاَ يَرَوْنَ﴾ لا يجدون ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا﴾ لا حرا ولا بردا ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة ﴿عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ أدنيت ثمارها حتى يتناولها القائم والقاعد والمضطجع ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ من فضة ﴿قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا﴾ الطائفون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قدر الشاربين من غير زيادة ولا نقص ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلاً عَيْنًا﴾ أمدح عينا ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من شدة الجمال ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ من رأى الجنة رأى نعيما كبيرا وملكا كبيرا ﴿عَالِيَهُمْ﴾ فوقهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ ما غلظ من الديباج ﴿وَحُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا ﴿إِنَّ هَذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً﴾

الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك. تفسير البغوي ج:428/4.

فصلناه ولم ننزله جملة واحدة ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ صل التطوع فيه كما تقدم ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ شديدا أي يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾ قوينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلائق ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ طريقا بالطاعة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَّشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ أوعد الظالمين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

سورة المرسلات

مكية خمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا﴾ الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة الهبوب ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ الرياح تنشر المطر ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي للإعذار والإنذار من الله تبارك وتعالى جواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ محي نورها

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ شقت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي جمعت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ وقع الفصل بين الخلائق «ليوم الفصل» ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ تهويلا لشأنه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم أهلكناهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ممن كذبوا ككفار مكة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ اليوم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف وهو المني ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ حريز وهو الرحم ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة ﴿فَقَدَّرْنَا﴾ في ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي ضامة ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾، كفاتا تجمع الأحياء فوق الأرض وأمواتا في بطن الأرض ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ جبالا مرتفعة ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ عذبا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ انطَلِقُواْ إِلَى مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ انطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ هو دخان جهنم إذا ارتفع ﴿لاَ ظَلِيلٍ﴾ ليس فيه ظل ﴿وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ لا يرد عنكم شيئا من اللهب ﴿إِنَّهَا﴾ النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ ما يتطاير ﴿كَالْقَصْرِ﴾ من البناء ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ﴾ أي جمعُ جمالة جمع جمل ﴿صُفْرٌ﴾ حمر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ﴾ لا يتكلم أحد بشيء ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ لا اعتذار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾ أيها المكذبون ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ المكذبين قبلكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب ﴿فَكِيدُونِ﴾ تعالوا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ في تكاثف أشجار إذ لا شمس يظلل من حرها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعة ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئًا﴾ مهنّئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ أيها الكفار ﴿قَلِيلاً﴾ في الدنيا من الزمان ﴿إِنَّكُم

﴿مُّجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ﴾ صلوا ﴿لاَ يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ بعد القرآن من لم يؤمن بهذا القرآن أي حديث يؤمن به. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد.

الدرس الرابع والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة النبإ

مكية أربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَاءلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا يعني قريشا ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ يتساءلون عن أي شيء؟ يتساءلون عن النبإ العظيم. سؤال وجواب أو «عم يتساءلون عن النبإ العظيم» لأي شيء يتساءلون عن هذا النبإ العظيم الذي هو يوم القيامة، أو هو القرآن والمعنى متقارب، يتساءلون عن هذا القرآن، هذا الخبر العظيم، أم يتساءلون عن هذا اليوم العظيم الذي هو يوم القيامة. إن كان التساؤل بين الكفار، فالكفار يسأل بعضهم بعضا سؤال استنكار أو يتساءلون مع المؤمنين يسألون المؤمنين أو النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر يوم

القيامة ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه ﴿كَلاَّ﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ سيعلمون ما يحل بهم على إنكارهم له ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيد وجيئ فيه بثم للإنذار لأن الوعيد الثاني أشد من الأول، ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ الذي سخر لكم الأرض فصارت فراشا لكم ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ثبتت الأرض بالجبال ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا، الذي قدر على هذا أليس قادرا على أن يحيي الموتى؟ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وجعلنا نومكم راحة لكم لأبدانكم في الليل. الإنسان يشتغل النهار كله وإذا جاء الليل يستريح ينام، الذي أنامه قادر على أن يميته فالموت نوم مستمر فقط. والذي أيقظه بعد النوم قادر على أن يبعثه بعد الموت ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترا بسواده ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتا لطلب المعايش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيرا ﴿وَهَّاجًا﴾ وقادا يعني الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحاب التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ صبابا ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالتين ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وقتا للثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ينفخ إسرافيل في القرن النفخة الثانية للبعث ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ تأتون ذلك اليوم من قبوركم إلى الموقف أفواجا جماعات مختلفة. إذا نفخ في الصور قام كل إنسان من قبره، يقوم من القبر ألف، أو مائة أو عشرات، كلهم إلى المحشر وهم جماعات مختلفة. سأل معاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معنى "فتأتون أفواجا"؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لقد سألت عن عظيم، ثم أرسل عينيه

صلى الله عليه وسلم فقال: يحشر الناس فرقا مختلفة، منهم على صورة القردة ومنهم على صورة الخنازير ومنهم عُمي، ومنهم صم بكم، ومنهم مقطوعة أيديهم وأرجلهم، ومنهم منكسة رؤوسهم، ومنهم من يكسى جلبابا من النار، ومنهم من يمضغون ألسنتهم، ومنهم من رائحتهم أنتن من الجيف. فأما الذين جاءوا على صورة القردة فالقتاتون النمامون بين الناس يحشرهم الله على صورة القردة، وأما الذين يحشرون على صورة الخنازير فأكلة السحت، وأما العمي فالحكام الذين يجورون في حكمهم، وأما الصم البكم فالذين يسعون بين الناس وبين السلطان، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين تخالف أقوالهم أفعالهم، وأما الذين هم رائحتهم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات ويتركون حقوق الله، وأما الذين كسوا جلابيب النار فالمتكبرون، وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فالذين يوذون جيرانهم[1]. هذا معنى «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا»

---

1 - وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب أن معاذا بن جبل قال: يا رسول الله ما قول الله: "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا" فقال: (يا معاذ سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه ثم قال: عشرة أصناف قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكبين أرجلهم فوق وجوههم أسفل يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغات من قطران لازقة بجلودهم. فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأكلة السحت، والمنكسون على وجوههم فأكلة الربا، والعمي من يجور في الحكم، والصم البكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة من الذين يخالف قولهم أعمالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنا من الجيف الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون

جماعات مختلفة ﴿وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ﴾ شققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ تصير الجبال هباء منبثا ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصدة أو مرصدة ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ سجن بناه الله تبارك وتعالى ينتظر الكافرين، فرغ من بنائه. هذا السجن ينتظر الكفار ﴿مَآبًا﴾ مرجعا لهم يدخلونها ﴿لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ مقدر لبثهم فيها أحقابا دهورا لا نهاية لها. الحُقْب ثمانون سنة[1] والآخرة ليس فيها يوم ولا ليلة ولا عام ولكن يقدرون أنهم يلبثون أحقابا طويلة أي أزمانا لا نهاية لها ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما لا نوم في النار ﴿وَلاَ شَرَابًا﴾ لا يشربون شرابا باردا ولا لذيذا ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارا في غاية الحرارة. إذا استقبله بوجهه "يشوي الوجوه بيس الشراب" وإذا شربه الإنسان سقطت أمعاؤه ولابد من شربه لشدة العطش ﴿وَغَسَاقًا﴾ صديد أهل النار، القيح الصديد الأسود كعكر الزيت هو الذي يشربون، من غسق الليل إذا أظلم ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ جزاء موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث ﴿وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبا ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ في كتاب هو اللوح المحفوظ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن ﴿فَذُوقُواْ﴾ فيقال لهم في الآخرة وعند وقوع العذاب

حق الله وحق الفقراء من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والخيلاء والفخر). الدر المنثور ج390/8.

1 - في لسان العرب لابن منظور: الحُقْب ثمانون سنة وقيل أكثر، قال الفراء في قوله تعالى: "لابثين فيها أحقابا"؛ قال: الحقب ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما، اليوم منها ألف سنة من عدد الدنيا، قال: وليس هذا مما يدل على غاية كما يظن بعض الناس.. والمعنى أنهم يلبثون فيها أحقابا كلما مضى حُقب تبعه حقب آخر. اللسان: مادة (حقب).

عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ فوق عذابكم. أهل النار ليس لهم إلا زيادة عذاب، عذاب فوق عذاب. بيت من نار، فراش من نار، لباس من نار، أكل من نار، شراب من نار، مطر من نار، وإذا شكوا من هذا يكلفون الصعود على الجبل، جبل من نار إذا دنا منه الإنسان سقطت يداه من شدة الحر ولابد أن يصعد عليه، وإذا استغاث يدعى إلى الزمهرير، البرد الشديد سيأتي ذكره، ليس لهم إلا عذاب فوق عذاب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة، بيد أن هذا العذاب الشديد، أهل التقوى جعلنا الله وإياكم منهم، ناجون منه في محل يفوزون فيه وهو الجنة ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين ﴿وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب ﴿أَتْرَابًا﴾ على سن واحدة ﴿وَكَأْسًا﴾ خمرا ﴿دِهَاقًا﴾ مالئة محالها، والصواب «وَكَأْسًا» يعني كأسا فقط «دِهَاقًا» مملوءة من الشراب ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ الجنة عند شرب الخمر وغيرها ﴿لَغْوًا﴾ باطلا ﴿وَلاَ كِذَّابًا﴾ لا شيء في الجنة إلا سلاما سلاما، لا تسمع لغوا ولا تسمع كذبا عندما يشربون الخمر، بعكس أهل الدنيا حينما يشربون الخمر ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ كثيرا أعطاهم الله الجنة وأعطاهم ما يكفيهم، الحساب: الكفاية أو الحساب: الكثير، أو ما لا حد له. الإنسان إذا أعطي مراده يعطى حتى يقول حسبي حسبي. كان أهل الجنة كلهم يقول: حسبي حسبي، سماه جزاء أي لابد من تقدم عمل، وسماه عطاء لأن الجنة عطاء من الله تبارك وتعالى. (لن يُدخل أحدكم عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[1]

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب).

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ الذي يملك السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات ذلك الرحمن ﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾ الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا﴾ لا يطيقون أن يخاطبوه يوم القيامة من شدة الخوف منه. كل الخلائق يخافون من الله، الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون، فأحرى الكفار، لا يقدر أحد أن ينطق بحرف واحد خوفا من سطوة الله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ ذلك اليوم الذي يقوم جبريل أو جند من جند الله ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا﴾ مصطفين ﴿لاَ يَتَكَلَّمُونَ﴾ الخلق ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولا ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى الله له، من قال لا إله إلا الله ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ من آمن بذلك اليوم فليتخذ سبيلا وهو طاعة الله تبارك وتعالى ليسلم من العذاب في ذلك اليوم ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ﴾ كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي وكل آت قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ يعني فلا أعذب. يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا[1]. يروى أن الله تبارك وتعالى يحشر البهائم والطيور يوم القيامة، وكل بهيمة طعنت بهيمة أعطاها الله قرنا فتقتص منها فتطعنها

صحيح البخاري: كتاب المرضى/ باب تمني المريض الموت (5673)، صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى (5037). تقدم في الدروس 18، 24، 46، 48 و51.

1 - أخرج الحاكم في المستدرك عن جعفر الجذري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة في قوله عز وجل: "أمم أمثالكم" . قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابا، فذلك يقول الكافر: "يا ليتني كنت ترابا". أخرجه المستدرك: كتاب تفسير القرآن/ تفسير سورة الأنعام (3280).

كما طعنتها في الدنيا، وكل طائر أخذ بريش صاحبه يقتص الله له منه، وبعد ذلك يقول: كونوا ترابا فيكونون ترابا وعلى ذلك التراب يحشر الناس يوم القيامة. ونقل أبو العباس القسطلاني عن الحكم بن أبي الرجال إنكار انعدام شيء بعد وجوده. الصحيح أن المخلوقات يوم القيامة صنفان: أشياء جميلة رائقة يجعلها الله في الجنة من جملة نعيم أهل الجنة، وأشياء قبيحة يجعلها الله في النار عقابا لأهل النار[1].

سورة النازعات

مكية ست وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّازِعَاتِ﴾ قسم أقسم الجليل بالملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزعا بشدة إذا دنا وقت الوفاة للعبد فإن الله تبارك وتعالى جعل أرواح بني آدم كلهم في طست صغير في كف ملك الموت ينظر إلى جميع الناس كل يوم يختبر كل أحد خمس مرات هل حان أجله أم لا[2] فإذا دنا أجل أحد

---

1 - قال الثعالبي: اعلم رحمك الله أني لم أقف على حديث صحيح في عودها ترابا وقد نقل الشيخ أبو العباس القسطلاني عن الشيخ أبي الحكم بن أبي الرجال إنكار هذا القول وقال ما نفث روح الحياة في شيء ففني بعد وجوده، قد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها وأن هذه الحيوانات إذا انتهت مدة إعراضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثوابا لأهل الجنة، وما كان قبيح الصورة عقابا لأهل النار انتهى، والمعول عليه في هذا النقلُ، فإن صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب اعتقاده وصير إليه، وإلا فلا مدخل للعقل هنا والله أعلم. تفسير الثعالبي ج383/4.

2 - جاء في تفسير القرطبي: روى جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن)، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفسا وقر عينا فإني بكل مؤمن رفيق واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى أني أعرف

ومرض مرض الموت، رأى ملك الموت اسمه المكتوب في الديوان فيه محو، ورأى ورقته من سدرة المنتهى فيها ذبول، فعلم أن هذا قربت وفاته، فإذا كان كافرا محي اسمه من الديوان وبقي محل الكتب سوادا علم أن هذا كافر وتسقط ورقته، فيرسل خمسمائة من الملائكة ويعطيهم آلة فيها عدد ما في ابن آدم من المفاصل ثلاثمائة وثلاثة وستون رأسا، يطعن في وسط رأسه حتى يصل إلى قدميه فينزعها الملائكة نزعا شديدا فيصيح صيحة يسمعها جميع الخلائق إلا الثقلين الإنس والجن ولازال كذلك ينزع الروح من كل جزء من جسده فإذا فارق ما كان فيه من الروح فيموت. فإذا مات ضربوه بالمقامع فيغرق في الأرض ويضرب يضرب إلى أسفل الأرضين فيصير في سجين. هذا موت الكفار أعاذنا الله منه. «وَالنَّازِعَاتِ» تلك الملائكة الذين يميتون الكافر هذه الموتة السيئة هم الذين أقسم الله بهم لشرفهم عنده ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق. إذا حان أجل العبد وانمحى اسمه، وبقي محل المحو بياضا، وسقطت ورقته، أمر من على يمينه: اذهب إلى الجنة فخذ شيئا تحفة رائقة تذهب بها إلى عبد الله وتأخذ روحه برفق لا يحس به، فيأتي بشيء جميل فيفتح عينيه ينظر إلى هذا الجمال لا يطبق عينيه لشدة الجمال ويشمه رائحة من الجنة يتبعها نفسه فيخرج الروح برفق لا يحس حتى إذا خرج الروح كسوه وصاروا يبتهجون له ويفرحون حتى يصل إلى السماء الدنيا والثانية إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى[1]. هؤلاء الملائكة

بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج93/14.

1 - أخرج النسائي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب

الذين يسلون أرواح المسلمين برفق هم الشرفاء عند الله حتى أقسم بهم. المؤمن لا يحس بالألم، سكرات الموت فيها سبعون ألف جزء من الألم واحد منها لو جعل على أهل الأرض كلا لماتوا[1] ولابد أن كل إنسان يكابد تلك الآلام عند موته والمسلم لا يحس به. كان ولي من أولياء الله يقول كل ما رأيت في حديث الرسول أطلب من القرآن مصداقه وأجده، ولما رأيت حديث أن المؤمن لا يحس بالموت قرأت القرآن فلم أجد دليلا لهذا، فرأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقلت له: قولك إن المؤمن لا يحس بالموت من أين أجد له دليلا؟ قال له: في القرآن، قال له: قرأت المصحف كله ولم أر هذا، قال: اقرأه مرة ثانية، فقرأ المصحف كلا ولم ير هذا، فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال له: قرأت المصحف وما رأيت دليلا لهذا. قال له: الدليل في سورة يوسف، وقرأ سورة يوسف فرأى قصة النساء "فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله" النساء رأين جمال يوسف فشغلهن حتى قطعن أيديهن وما أحسسن بالألم[2]. من قدر على هذا قادر على أن يذيق الإنسان

ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتون به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار. سنن النسائي: كتاب الجنائز/ باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (1810).

1 - ذكره في روح البيان وعزاه للحديث. انظر روح البيان ج187/1.

2 - قال البروسوي في روح البيان: روي أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوي قوله عليه السلام: (يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين) فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال: يا رسول الله قال الله تعالى "ولا رطب ولا يابس إلا في

الموت وما يحس بالألم. فعلم أن هذا هو الدليل على أن المؤمن لا يحس بألم الموت. ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب القسم محذوف لتبعثن يا كفار مكة. قال ابن عباس: النفوس المؤمنة لا تخرج من الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة[1] كذلك النفوس الكافرة لا تخرج من الدنيا حتى ترى مقرها من جهنم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى إذا وقعت يرجف كل شيء أي يتزلزل ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية. النفخة الأولى هي الراجفة لأن عندها يرجف كل شيء أي يتزلزل والنفخة الثانية الرادفة أي تتبع الأولى بينهما أربعون سنة[2] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾

كتاب مبين" فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى. فقال صلى الله عليه وسلم: اطلبه في سورة يوسف. فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله: "فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن" أي لما رأين جمال يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع، وكذلك المؤمن إذا رأى ملائكة الرحمة ورأى إنعامه في الجنة وما فيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت. روح البيان ج5/ 136.

1 – روى الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين. صحيح البخاري: كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال (1338). صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (5115). تقدم في الدرسين 28 و49.

2 – أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/

خائفة قلقة وجلة هي قلوب الكفار ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة لهول ما ترى ﴿يَقُولُونَ﴾ أرباب القلوب والأبصار استهزاء قبل البعث ينكرونه ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ إذا متنا نرد بعد الموت إلى الحياة؟ والحافرة اسم لأول الأمر، رجع على حافرته إذا رجع من حيث جاء. نحن إذا متنا نرجع هكذا؟ هذا ما يمكن ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ بالية مفتتة كيف نحيا؟ ﴿قَالُواْ تِلْكَ﴾ رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ إذا كنا نرجع إلى الحياة بعد أن متنا حتى صرنا عظاما بالية مفتتة إن رجعنا نرجع غير كاملين لابد أن ينقص منا شيء. قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ الرادفة النفخة الثانية ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ فإذا نفخت ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ كل الخلائق ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ نفخة واحدة من ملك في أسرع من لحظة كل الخلائق مجتمعون بالساهرة أرض بالشام يحشر الناس عليها[1]. خلق الناس على كثرتهم والخلائق جميعا بمنزلة نفس واحد، وإماتتهم كذلك، وبعثهم كذلك، كما تريد إطفاء قنديل تنفخ فقط. هكذا يعدم إسرافيل جميع الخلائق وهكذا يعيدهم ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ هل جاءك خبر موسى ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ حينما دعي، ناداه ربه بالوادي المسمى طوى في طريقه من مدين إلى مصر. رأى

باب قوله تعالى ونفخ في الصور.. الآية (4814)، وفي صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ما بين النفختين (5253). قال النووي في شرح قول أبي هريرة في الحديث: (أبيت) معناه أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة. وجاء في فتح الباري: أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد " أربعون سنة " وهو شاذ. ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال "ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة " انظره في شرح ابن حجر للحديث(4814). تقدم في الدروس 16، 42، و43.

1 – جاء في تفسير القرطبي نقلا عن الثوري: الساهرة أرض الشام. القرطبي ج200/19.

نارا وحاجته النار فإذا النار هي الحضرة العليا تخاطبه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد في الكفر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَى أَن تَزَكَّى﴾ أدعوك يا فرعون إلى أن تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بالبرهان ﴿فَتَخْشَى﴾ فتخافه ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع وهي اليد والعصا ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله تبارك وتعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالفساد ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَى﴾ نادى فرعون في ملئه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقي ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه الله بالغرق ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ عقوبة هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ الكلمة الأولى قال في بدايته "ما علمت لكم من إله غيري" ولما جاوز الحد في الطغيان قال أنا ربكم الأعلى وبين الكلمتين أربعون سنة[1] فأهلكه الله أغرقه في القلزوم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَّخْشَى﴾ اللَّهَ تبارك وتعالى ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أيها المنكرون للبعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ تقولون إن الله يعجزه أن يعيدكم، الإنسان الصغير أشد خلقا أم السماء؟ ﴿بَنَاهَا﴾ هذه السماء بناها الله تبارك وتعالى خلقها ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تعبير عن كيفية البناء، رفعه إلى جهة العلو فهي سمك أو سقف فوقكم ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز نور شمسها أضيف إليها الليل لأنه ظلها، والشمس لأنها سراجها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، كثيرا ما يذكر خلق الأرض بعد خلق السماء، أو خلق السماء بعد خلق الأرض واختلف في أيهما خلق قبل، إن الله

---

1 – في تفسير ابن كثير قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة. ابن كثير ج469/4.

خلق الأرض قبل السماوات ثم استوى إلى السماء فخلقها فسواها سبع سماوات ثم عاد إلى الأرض فبسطها ودحاها سبع طباق[1]. أول ما أوجد الله تبارك وتعالى نور محمد صلى الله عليه وسلم من نوره تعالى. الحقيقة المحمدية: أول تجل برز من حضرة الله الحقيقة المحمدية فهي عبد الله مطلقا ليس لله عبد إلا هو فصدق فيه اسم العبد، عبد الله محمد فقط وكل العبيد أجزاء من محمد حتى الأنبياء والملائكة، فلما أراد الله أن يوجد خلقه بعد مرور أحقاب أحقاب من الزمان، وهذا قبل الزمان، والعبد مشتغل بالخدمة والأدب لسيده تبارك وتعالى، والعبد في غاية ما يكون من الجمال والنور والحسن، لما أراد الله أن يبرز هذه المخلوقات خلق له صورة مرآة فتجلى فرأى نفسه بهذا الجمال والحسن الباهر فاستحيى من ربه فعرق، من ذلك العرق صارت البحار، أكثر ما خلق الله البحار هي التي تحيط بالأرض من كل جانب وتحمل الأرض أسفل سافلين تحت الثرى. فلما أراد أن يبرز الأرضين والسماوات خلق ريحا فنفخت في البحر فاجتمع زبد فلم يزل الريح يحرك ذلك الزبد حتى جمد وخرج منه دخان، فمن ذلك الدخان خلقت السماوات ومن ذلك الزبد خلقت الأرضون فسوى الله السماوات سبعا والأرضين سبعا وهذه الأرضون

---

1 – روى البخاري في صحيحه: عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي (فذكر منها): وقال "أم السماء بناها إلى قوله دحاها" فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال "أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين" إلى قوله "طائعين" فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء... فقال (ابن عباس مجيبا): ...وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله دحاها وقوله خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلقت السموات في يومين... صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب سورة حم السجدة.

كلا يحملها البحر الذي أحاط بالأرض من كل جانب وذلك البحر فوق النون سمكة فقط خلقها الله رأسها وذنبها يلتقيان عند العرش الأرض والبحر الذي يحمل الأرض فوق تلك السمكة وتلك السمكة وضعت على صخرة وتلك الصخرة وضعت على قرني ثور وإذا أراد الله إعدام الخلق فتحت السمكة فمها فتصير البحار كلا في جوفها وتيبس في أسرع من لحظة كأن بحرا لم يكن قط[1]، الله تبارك وتعالى ركب المخلوقات الحسية هكذا ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ من الأرض ينفجر العيون ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ تنبت النباتات والعشب والشجر مما يأكل الناس وما يأكل الدواب ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض ﴿مَتَاعًا﴾ أي تمتيعا ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ الطامة الكبرى هي النفخة الثانية الطامة الداهية، الداهية العظمى هي النفخة الثانية عندما ينفخ إسرافيل النفخة الثانية للبعث والحشر ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ كل إنسان ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ أُظهرت النار المحرقة ﴿لِمَنْ يَّرَى﴾ لكل راء ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾ كفر ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ باتباع شهواتها ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه تبارك وتعالى ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمارة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المردي باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ "فريق في الجنة وفريق في السعير" العاصي في النار والمطيع في

---

1 - ذكره البغوي في تفسيره عن ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان فتكن في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فإذا وقعت في جوفه يبست. تفسير البغوي ج212/3.

الجنة. من أراد الجنة فالطريق إلى الجنة الخوف من الله تبارك وتعالى «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» والعمل الصالح وصحبة الصالحين ومحبتهم والخوف من الله تبارك وتعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها، عبر بالإرساء لأنها كالسفينة تأتي فجأة راسية فقط ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ ليس عندك علمها حتى تذكرها ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ منتهى العلم عند الله تبارك وتعالى لا يعلمه غيره، هذا هو الغيب الذي لا يمكن أن يطلع عليه إلا الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَنْ يَّخْشَاهَا﴾ من يخاف الساعة ينتفع بعظة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ﴾ في قبورهم ﴿إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ عندما تقوم القيامة يشك الناس أنهم ما مكثوا في الدنيا ولا في القبور إلا عشية أو ضحاها، أضاف الضحى إلى العشية.

العرب تضيف لأدنى سبب، المناسبة بينهما أن الوقت الذي يسمى الضحى تكون الشمس فيه قبل المشرق، والوقت الذي تكون فيه الشمس قبل المغرب يسمى العشية فبهذه المناسبة أضيف ضحاها إلى العشية هما طرفا النهار.

سورة عبس

مكية اثنتان وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ سبب نزول هذه السورة أن المصطفى صلى الله عليه وسلم جاءه عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى وقد كان بمجلسه صناديد قريش يطمع في إيمانهم: أبو جهل بن هشام، عتبة، الوليد بن عتبة، عقبة بن أبي معيط، الوليد بن المغيرة يكلمونه ويبين لهم الإسلام وإذا قال لهم هذا ليس حقا قالوا: بلى والدمى نعم هذا حق أقسمنا بالصنم، الدمى هي الأصنام، فطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في أن يقبلوا دعوته فدخل الأعمى عبد الله بن أم مكتوم فكلم النبي صلى الله عليه وسلم وقطع حديثه وهو مشغول بدعوة أشراف قريش. فلما شغله الأعمى وكلمه وقطع حديثه مرارا عبس النبي صلى الله عليه وسلم وجهه وأعرض عنه، فلما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم عوتب بهذه السورة[1] ﴿عَبَسَ﴾ كلح وجهه ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ عبد الله بن أم مكتوم. العبارة كأن فيها إعراضا جعل الضمير غيبة. النبي صلى الله عليه وسلم لما أعرض عن الأعمى نزل الوحي وكأنه معرض عنه قليلا «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى» لم يقل عبست وتوليت، لم يواجهه بالخطاب كأنه معرض

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن عائشة قالت أنزل "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: (أترى بما أقول بأسا) فيقول لا ففي هذا أنزل. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة عبس (3254) وفي الموطأ عن عروة: كتاب النداء للصلاة/ باب ما جاء في القرآن (426).

عنه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ خاطبه مقابلة ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ألم تعلم أنه يتعلم منك ويعمل بما يعلم ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ بالمال كصناديد قريش ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ تتعرض له وتقبل عليه وتعرض عن هذا المسكين ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ أنت ليس عليك إلا البلاغ، التبليغ للجميع من آمن آمن ومن لم يؤمن فلا عليك ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى﴾ اللّهَ تبارك وتعالى بالفعل وهو الأعمى ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تعرض عنه وتتشاغل ﴿كَلاَّ﴾ لا تفعل هذا فلما رجع قام المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: مرْحبا بمن عاتبني فيه ربي وبسط له رداءه[1] وخلفه في المدينة سبع عشرة مرة كلما أراد الخروج يقول: خليفتي فيكم عبد الله بن أم مكتوم الأعمى[2]. وهذا تعليم للمصطفى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره، فكل عالم وكل كبير منا ينبغي أن يسوي بين الفقراء والأغنياء في تبليغ العلم وتبليغ الخير ولا يوثر الأغنياء على الفقراء "كلاّ" لا تفعل هذا ﴿إِنَّهَا﴾ هذه السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق جميعا ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ حفظه فاتعظ به ذلك ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله تبارك وتعالى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن مس الشيطان ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ كتبة، الملائكة يكتبون الوحي ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ مطيعين لله تعالى وهم الملائكة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن بمنزلة الكرام البررة والذي يتتعتع فيه قبل أن ينطق بحرف يصعب عليه النطق

---

[1] – قال القرطبي نقلا عن الثوري: فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة. تفسير القرطبي ج213/19.

[2] – الإصابة في تمييز الصحابة: ترجمة عمرو بن أم مكتوم القرشي (5768). [اسمه عمرو بن زائدة وقيل عبد الله ولقبه ابن أم مكتوم. المباركفوري في تحفة الأحوذي]

بحروف القرآن فله بكل حرف أجران[1]. ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أشد كفر الكافر لعنه الله ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ يكفر بالبعث وهو من أي شيء ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ الإنسان أمسِ كان نطفة، وهذه النطفة الذي قدر أن يحييها إنسانا يعجز أن يبعثها بعدما كانت ترابا؟ أربعين ليلة نطفة، أربعين ليلة علقة، أربعين ليلة مضغة ثم نفخ فيه الروح ثم صار جنينا ثم خرج صبيا حتى صار شابا قويا جلدا يعارض ربه ويخاصمه ﴿ثُمَّ﴾ يسر ﴿السَّبِيلَ﴾ لخروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُ﴾ وهو الله تبارك وتعالى هو الذي يسر للولد طريق الخروج من بطن أمه ولو شاء لمات هنالك أو ماتت أمه، وهذا كثيرا ما يقع ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ خلقه من نطفة وصوره في الأرحام وفتح له طريقا حتى خرج من بطن أمه واتصل بالدنيا وبعد ذلك أماته فأقبره. وهذا مصير العبد لا يتركه الرب حتى يميته فيقبره، كل ما فعل الإنسان فالرب له بالمرصاد، ولكن الإنسان يعلم أنه ينتظر به هذا فقط آخره «ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ» ﴿ثُمَّ إِذَا شَا أَنشَرَهُ﴾ الذي أوجده حيا وأمهله ما شاء من الزمن وأماته وأقبره متى أراد أن يبعثه يبعثه لا محالة ﴿كَلَّا﴾ حقا ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ لم يفعل ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ به ربه حقا أن الإنسان ما امتثل أمر ربه، كل إنسان. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾ انظر كيف تأكل، هذه اللقمة التي تعيش بها، قدّره ودبّره لك حتى لم يبق إلا أن تأكل فقط ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا﴾ قبل أن تجد لقمة أمر الله السحاب فأمطرت ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات

1 – عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران). صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب عبس وتولى كلح وأعرض (4937) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ فضل الماهر في القرآن والذي يتتعتع فيه (1329).

﴿شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ هو القت الرطب ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ بساتين كثيرة الأشجار ﴿وَفَاكِهَةً﴾ ما يتفكه بها ﴿وَأَبًّا﴾ ما ترعاه البهائم ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ ألا تنظر إلى هذا الطعام؟ فن الهندسة خرج من هذه الآية «فلينظر الإنسان إلى طعامه» ليس نظر عبث فقط، بل نظر جد كيف جاءت اللقمة؟ استخدم الله هذه المخلوقات ليطعم الإنسان لقمة: ما وجدت اللقمة إلا بعد أن أمر السحاب بإنزال المطر، والرياح تسوق المطر إلى المحل المطلوب، والملائكة تسوق السحاب وتقدّر الماء، والرعد والبرق، والأرض شقت لتخرج النباتات، والحيوانات استخدمت البقر للزرع والإنسان والحديد للعمل، والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم كل هذه عملت في النباتات حتى سنبلت، حتى خرجت الحبوب وحتى حُصدت ودرست، خدم الرجال والنساء، وخدم النار والماء بالعجن والطبخ حتى صارت لقمة طيبة، قبل أن تأكل هذه اللقمة تعلم أن كثيرا من مخلوقات الله خدموا في هذه اللقمة، ما تنظر في هذا؟ إذا أكل الإنسان هذه اللقمة ماذا ينبغي أن يفعل؟ يتبع هوى نفسه وشهواته أم يعبد ويشكر الخالق الذي سخر له هذه الخلائق حتى عملوا له هذه اللقمة؟ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ النفخة الثانية، في السورة الأولى الطامة الداهية الكبرى، في هذه السورة الصاخة الداهية التي تصم الآذان من شدة صوتها تصم الأذن ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ يوم القيامة كل واحد من الناس يفر من أخيه مخافة أن يطالبه بحق ﴿وَأُمِّهِ﴾ الإنسان يفر من أمه مخافة أن يكون قد قصر في برورها ﴿وَأَبِيهِ﴾ مخافة أن يكون قد قصر في بروره ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ مخافة أن يكون قد قصر في حقها ﴿وَبَنِيهِ﴾ أولاده مخافة أنه لم يؤد حق الله فيهم ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ حال يشغله عن شأن غيره، كل أحد يقول نفسي نفسي، الولد عليه برور أبويه، والأب عليه أن يصلح

الأولاد. ما يطالب به الوالد إذا ولد له مولود أن يسميه اسما صالحا ويربيه، فإذا عقل لقنه الشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى يمرنه على أن يعرف أنه مسلم ويعلمه القرآن والكتابة، فإذا بلغ الحلم برئت ذمة الوالد إن أطاع الولدُ وصلح الحمد لله، وإلا فالوالد فعل ما عليه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة. يوم القيامة تجد وجوه المؤمنين نيرة لشدة سرورهم ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة جدا وهم المؤمنون ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ ظلمة وسواد ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أولئك الكافرون.

سورة التكوير

مكية تسع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ففي الحديث من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ "إذا الشمس كورت" "إذا السماء انفطرت"، "إذا السماء انشقت"[1] هذه السور الثلاث من قرأها فكأنما عاين يوم القيامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إذا كورت الشمس لُففت وذُهب بنورها فذلك يوم القيامة. الشمس الآن تكتسي أنوارا عظيمة. ويوم القيامة يأتي الملك فيأخذ جميع ما فيها من النور وتبقى سوداء كأنها جبل أسود. إذا وقع ذلك "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقطت على الأرض "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ وإذا سيرت الجبال ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ وإذا عطلت العشار النوق الحوامل أحب الأموال إلى العرب تركت بلا راع ولا حالب لم يتعرض لها أحد كأنها لا مالك لها، إذا وقع ذلك "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وإذا حشرت الوحوش جُمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وإذا سجرت البحار صارت

---

1 - عن عبد الرحمن وهو ابن يزيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة إذا الشمس كورت (3256).

البحار نارا "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ وإذا زوجت النفوس قرنت النفوس بأجسادها أو بشياطينها "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ وإذا سئلت الموءودة الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة، كانت العرب تفعل هذا في الجاهلية كما تقدم في سورة الأنعام ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ وإذا نشرت الصحف، صحف الأعمال فتحت وبسطت، منهم من يأخذ باليمين ومنهم من يأخذ بالشمال "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ وإذا كشطت نزعت السماء عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ وإذا سعرت أوقدت، أجّجت الجحيم "علمت نفس ما أحضرت" ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ وإذا أزلفت قرّبت الجنة لأهلها ليدخلوها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس في ذلك اليوم ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. هذه كلا أشياء تقع يوم القيامة ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة، أقسمُ ﴿بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد سميت الخنّس لأنها تخنس أي ترجع في مجراها وراءها، بينما ترى النجم في آخر البرج يكر راجعا إلى أوله، تغيب في المواضع التي تغيب فيها[1] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه أو أدبر ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا القرآن قول من الله أتى به رسول كريم هو جبريل أضيف إليه لنزوله به ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شديد القوى ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ الله ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة عند الله تبارك وتعالى ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾

---

1 - قال المراغي في تفسيره: ويرى بعض العلماء أن المراد بها الدراري الخمسة وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، لأنها تجري مع الشمس ثم ترى راجعة حتى تختفي في ضوئها فرجوعها في رأي العين هو خنوسها واختفاؤها هو كنوسها.

أي تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم. أخبروا أن محمدا مجنون. وصف القرآن جبريل بهذه الأوصاف، ونفى ما زعمته الكفار من الجنون بمحمد صلى الله عليه وسلم. المعتزلة ضلوا من هذه الآية قالوا إن جبريل خير من محمد لأن الله وصف جبريل بأوصاف عظيمة ومحمد ما تجاوز أن برأه من الجنون. نسوا ما تقدم في القرآن كلا من التنويه بمحمد صلى الله عليه وسلم. الملائكة والبشر اختلف في تفضيل بعضهم على بعض والصحيح أن جنس الملائكة خير من جنس البشر، أي مجموع الملائكة خير من مجموع البشر لأن الملائكة مجموعهم ما فيه نقص، كلهم "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون" بخلاف البشر وأما أفراد من الأمة من البشر فهم خير من الملائكة. يوجد منا أفراد هم خير من الملائكة، هذا هو الصحيح ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل جميع بني آدم مطلقا فكيف يقارن بينه وبين ملك وفي بني آدم من هم خير من الملائكة. وصف الله بني آدم بأنهم خير البريئة كما أنهم شر البريئة، إذا جمع خير البشر وشره واجتمع الملائكة ولا شر فيهم، نعم هذه الجماعة خير من هذه الجماعة، وأما إذا تخيرنا أفرادنا ففينا من هو أفضل من جميع الملائكة[1]. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل

---

1 - أثبت النسفي في تفسيره فضل بعض البشر على الملائكة قال: الحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم، وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر، وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة، ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله تعالى مع أنهم جبلوا عليها فضاهت الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسمانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف، بخلاف طاعة الملائكة لأنهم جبلوا عليها... تفسير النسفي ج1/ 265.

على صورته ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ البيّن ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ «بضنين» بخيل «على الغيب» على الوحي. إن محمدا يجود بتبليغ الوحي لكل أحد، ما ضن به. ومنهم من قرأ بظنين بمتهم ﴿وَمَا هُوَ﴾ القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مسترق للسمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾ بدل من العالمين ﴿أَنْ يَّسْتَقِيمَ﴾ من أراد اتباع الحق فهذا طريق الحق القرآن ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تبارك وتعالى فلا يكون إلا ما يريد الله تبارك وتعالى. من أراد به الهداية فذلك المهتدي ومن أراد به غير ذلك فلا هادي له ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق.

سورة الانفطار

مكية تسع عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ إذا انفطرت السماء أي انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ وإذا انتثرت الكواكب أي انقضت وتساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وإذا فجرت البحار اختلط العذب بالملح أو فجرت أوقدت نارا ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ وإذا بعثرت القبور قُلب ترابها وبعث موتاها، إذا وقع هذا كلا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس ﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ منها فلم تعمله. هذا يوم القيامة تنشق السماء، تنتثر الكواكب، تفجر البحار نيرانا، تبعثر

القبور، بُعثر بُعث ونثر. وقع النحت في كلام الله كما يقع في كلام العرب، النحت الجمع بين كلمات حتى تصير كلمة واحدة كما نقول البسملة المراد بسم الله الرحمن الرحيم، الهيللة والمراد لا إله إلا الله، الحوقلة والمراد لا حول ولا قوة إلا بالله، والحمدلة والمراد الحمد لله، بُعث ونثر بعثرت. وقع هذا النحت في كلام الله. ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته، أي شيء غر الإنسان حتى عصى الله تبارك وتعالى؟ من كرمه تبارك وتعالى يلقن الخصم الحجة «ما غرك بربك الكريم» يجب أن تقول غرني كرمه. المصطفى صلى الله عليه وسلم سمع قارئا يقول: «ما غرك بربك الكريم» قال: غره جهله[1] غره جهله غره جهله، صلى الله عليه وسلم، الإنسان هو الظلوم الجهول ذلك الجهل هو الذي غره ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ركبك في الصورة التي شاء. الذي فعل بك، خلقك في هذه الصورة الجميلة أي شيء غرك حتى عصيته؟ ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ يا كفار مكة تكذبون بيوم القيامة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴾ لها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ نار محرقة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها يقاسون حرها ﴿يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بمخرجين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تعظيم لشأنه ﴿يَوْمَ لَا

---

1 ـ أخرج عبد بن حميد عن صالح بن مسمار قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: "يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" ثم قال: (جهله). الدر المنثور ج439/8.

تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ هو ذلك اليوم، نفس الكافر لا تنفع أخرى شيئا بخلاف المؤمنين ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلهِ﴾ الأمر لله في ذلك اليوم لا لغيره، لا أمر لغيره فيه، لم يكن لأحد أن يتوسط فيه بخلاف الدنيا. أما الدنيا فكلهم يملك أمرا، ينازع الله تبارك وتعالى، وإذا وقع شيء لأحد يتدخل كل طرف. أما اليوم فلا شيء، لا ينصر أحد أحدا، ولا يفدى بالمال، ولا أنصار يعينونه على محاربة الله تبارك وتعالى، التسليم فقط، لا يكون إلا ما شاء. خرج الرشيد قافلا من الحج فسمع صوتا يناديه، يجرد اسمه: يا هارون، يا هارون، فأوقف الجيش وكان إذا سار يُجعل ستار أمامه حتى لا ينظر إليه أحد، فقال: ارفعوا الستار وأوقفوا الجيش ففعلوا. جاء الرجل: يا هارون يا هارون، قال له: أنت تعرفني تناديني باسمي؟ أنت تعرف من تخاطِب؟ قال: نعم أعرفك جدا. قال: ومن أنا؟ قال: أنت الذي إذا ظُلم أحد في أقصى المغرب وأنت في أقصى المشرق يواخذك الله به يوم القيامة. فارتعد وقال له: ما ترى من حالنا؟ قال له: انظره في كتاب الله وأظنك في الطرف الثاني "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم". قال: ما تقول في أعمالنا؟ نحن نعمل الخير كثيرا. قال: "إنما يتقبل الله من المتقين". قال هارون: ما تظن أن قرابتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا؟ قال: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون". قال: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ قال: "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى". قال له: ارفع إلي حاجتك أقضها لك وتمشي. قال: نعم تغفر لي ذنبي وتدخلني الجنة. قال: هذا لا أقدر عليه. قال له: إذا لا تقدر على قضاء حاجتي. قال له هارون: بلغني أن عليك ديونا كثيرة أحب أن أقضيها عنك. قال له: أنت أكثر مني دينا، أدّ حقوق العالمين، أدّ حقوق الناس، أنت أكثر مني حقوقا، والدين لا يقضي الدين، والنجس لا يطهر النجس. قال: أكتبُ لك نفقتك كل شهر تسلم

إليك. فضحك وقال: أنت عبده وأنا عبده وهو الرزاق، تظن أنه يتذكرك وينساني أنا؟ ما أشد جنونك. فغضب هارون وقال: لأقتلنه، هذا الرجل ساء الأدب معي اقتلوه – هو أخوه بهلول – قال بعضهم: لا لا لا يا أمير المؤمنين سامحه لا تقتله. فضحك بهلول وقال: ما أدري أيكما أشد حماقة؟ الذي يريد أن يقرب أجلا لم يحضر والذي يريد أن يؤجل أجلا حضر. أنا إذا حضر أجلي تشفعون في؟ أو إذا لم يحضر أجلي يقدر هذا المجنون أن يقتلني؟ فذهبَ عنه[1].

سورة المطففين

مكية ست وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ إذا كالوا من الناس، على بمعنى من يستوفون الكيل ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ إذا كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن. هذا التطفيف من أشد الموجبات للعقوبة. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: خمس بخمس: ما طففوا في الوزن ونقصوا في الميزان إلا وأخذوا بالسنين المجدبة، الجدب لا يأتي به إلا النقصان في الكيل والوزن؛ ولا فشا فيهم الزنا إلا ابتلوا بالطاعون والأمراض غير المعروفة، إذا رأيت الوباء والطاعون والأمراض غير المعروفة فسبب ذلك كثرة الزنى؛ ولا منعوا الزكاة إلا وحبس المطر؛

---

1 – حكاية بهلول مع أخيه هارون الرشيد أمير المومنين، ذكرها الغزالي في إحياء علوم الدين عن عبد الله بن مهران. الإحياء ج65/3 (دار الجيل) وقد تقدمت في الدرس 5 والدرس 35.

ولا حكموا بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى إلا وسلط الله عليهم عدوا من غيرهم؛ ولا نقضوا العهد إلا وجعل الله بأسهم بينهم هذه خمس بخمس[1]. التطفيف في الوزن والكيل من موجبات الجدب والسنين ﴿أَلاَ يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الذين يطففون في الكيل والوزن ما يعرفون أنهم سوف يبعثون ويوقفون بين يدي الله تبارك وتعالى في يوم عظيم هو يوم القيامة. سمي يوما عظيما لأن الشمس ذلك اليوم يضاعف لها حر عشر سنوات. حرارة عشر سنوات تجمع في شمس ذلك اليوم وهي الآن بيننا وبينها مسافة ألفي سنة، وتقرب إلى الرؤوس بمقدار عشرة أذرع فقط، خمس مترات هنالك يطير كل لباس وتقول كل جوف وكل دماغ هخ هخ هخ من شدة الحر، وقد تقدم طول ذلك اليوم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه ﴿كَلاَّ﴾ حقا ﴿إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ﴾ كتب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة في مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ما علمك هذا المحل لسوء حاله ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مختوم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ﴾ صيغة مبالغة ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديما ﴿كَلاَّ﴾ زجر ﴿بَل رَّانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فغشيها ﴿مَا كَانُواْ

---

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير (خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر) للطبراني في الكبير عن ابن عباس، الجامع الصغير 3945. تقدم في الدرس 14.

يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي فهو كالصدإ ﴿كَلَّآ﴾ حقا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ عن ربهم فلا يرونه ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ﴾ لداخلوا النار المحرقة، الران والرين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا أذنب عبد نكت الملك نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب واستغفر الله محيت وإن زاد ذنبا آخر نكتت نكتة سوداء جنب تلك النكتة، وإن عصى مرة أخرى كذلك فإذا استمر على المعاصي حتى استولت النكت على القلب صارت غطاء يغطي القلب بأجمعه. هذا هو الرين فلا ينفعه وعظ ولا ذكر ولا أي شيء، هذا هو الرين نعوذ بالله[1]. وهو السبب في الحجاب بين العبد وبين ربه في القيامة. ومهما حصل الحجاب حصل العقاب، متلازمان. «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ» الملك إذا احتجب عن إنسان فمعنى ذلك أنه يريد عقوبته. إذا أراد إكرام أحد يقبل مقابلته، وإذا أراد عقاب أحد لا يقبل مقابلته «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ» وهذا نعوذ بالله سوء الخاتمة. سوء الخاتمة الذي يذكره العلماء ويخاف منه كل عبد. ما هو سوء الخاتمة؟ سوء الخاتمة على درجتين: كبرى وصغرى، الكبرى أن يحصل للعبد عند خروج الروح إما الشك وإما الجحود في الألوهية، فيُقبض الروح وهو شاك في الإله أو جاحد تماما، فهذه هي الدرجة الكبرى. والثانية هي الصغرى أن يستغرق قلبَ العبد حبٌّ شيء من

---

1 – أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة ويل للمطففين (3257) وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب (4234). تقدم في الدرس 39.

شهوات الدنيا. تعلق قلبه بحب شيء حال موته، فيخرج الروح وهو مدبر عن الله مستغرق القلب في ذلك الذي يحب. فإذا خرج الروح في تلك الحالة حصل الحجاب بينه وبين الله[1]. ومهما حصل الحجاب نزل العذاب أعاذنا الله من سوء الخاتمة. إذا أراد الله بعبد خيرا يكون قلبه حاضرا مع الله وقت خروجه من الدنيا. (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة)[2]. والإنسان عندما يقع له التغير الكبير ويقرب انتقاله من هذه الدار إلى الدار الأخرى يأتي إليه أغلب أحواله. كان عبد من عباد الله الصالحين يكثر قراءة القرآن فلما وقع في سكرات الموت إن قيل له لا إله إلا الله يقول "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" إلى قوله "لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى" يكرر هذا حتى مات. وكان آخرُ حرفته بيع الخبيثة التبغ، وكان دائما يقول حزمة بفلس، حزمة بفلس، حزمة بفلس، فلما أخذته سكرات الموت وقيل له: لا إله إلا الله محمد رسول الله صار يقول: حزمة بفلس، حزمة بفلس حتى مات على ذلك. على الإنسان أن يدرب نفسه على شيء من أعمال الخير ويعلم أنه عندما يتغير يرجع إلى أغلب أحواله، إن كان ذكر الله يتعود ذكر الله وإن كان غير ذلك فنعوذ بالله. ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ كتب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ في مكان في السماء السابعة تحت العرش ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟ هو ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مختوم ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السرر في الحجل

1 - روح البيان ج359/3. تقدم في الدرس 21.

2 - (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) سنن أبي داود: كتاب الجنائز/ باب في التلقين (2709) وفي مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث معاذ بن جبل (21024).

﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة التنعم وحسنه ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يفك ختمه إلا هم ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي آخر شربه تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله تبارك وتعالى ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ تسنيم اسم عين في الجنة ﴿عَيْنًا﴾ أمدح عينا ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ انظر قدر العين التي يشرب منها أولياء الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ كعمار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ كان الكفار يستهزئون بضعفاء المسلمين فقرائهم عمار وبلال وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء ﴿وَإِذَا انقَلَبُواْ﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَاكِهِينَ﴾ معجبين بذكرهم رأينا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم من صفتهم كذا وكذا يعيروهم بالفقر والعري ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رأوا المؤمنين ﴿قَالُواْ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ هؤلاء الذين اتبعوا محمدا حتى صاروا بهذه الحالة من الفقر والبؤس هؤلاء مجانين ﴿وَمَا أُرْسِلُواْ﴾ الكفار ﴿عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يوم القيامة الآن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ الآن تبدلت الأحوال فصار الفقراء هم الملوك في الجنان ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون. أبو جهل وأشباهه في دركات النيران يضربون ويعاقبون ويصيحون فيضحك منهم ضعفاء المسلمين ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ يتكلمون فيما بينهم شماتة بالكفار هذا محل الشماتة، الشماتة ليست الدنيا محلها إنما هنالك، الكفار حقا جزاهم الله بأعمالهم.

سورة الانشقاق

مكية ثلاث أو خمس وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ إذا انشقت السماء ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ حق لها أن تسمع ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ مُدّت أي زيد في سعتها كما يمد الأديم لم يبق على الأرض بناء ولا جبل ولا قبر فتمتد الأرض ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عن كل شيء ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب إذا محذوف أي لقي الإنسان عمله، إذا وقعت هذه العلامات فكل إنسان يلقى عمله في ذلك اليوم ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ إلى لقاء ربك وهو الموت ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ فكلما أصبحت يا إنسان تكابد الأعمال فإنما تسير إلى لقاء الله فقط، فكل يوم أنت راحل إلى الله تبارك وتعالى وستلقاه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ هو المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ المؤمن يحاسب حسابا يسيرا، هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين يقول صلى الله عليه وسلم إن العبد المؤمن يدنيه ربه حتى يكون أقرب من قاب قوسين فيلقي عليه ستارا بينه وبين الخلائق: عبدي فلان عملت كذا في اليوم الفلاني؟ يقول: نعم. يقول تعالى: أنا الذي سترته عن الناس؟ يقول: نعم يا رب كما سترتني في الدنيا فاغفره لي اليوم. فيقول: غفرت لك، عملت كذا في اليوم الفلاني، عملت

كذا في اليوم الفلاني، يذكر له صغائر ذنوبه وهو فزع يعلم أن هنالك كبائر وموبقات، إذا انتهى إلى آخرها يقول الله تعالى: بدلوا جميع ما عنده من السيئات حسنات. يقول: يا رب أنا بقي لي سيئات كثيرة، عندما بُدلتْ سيئاته حسنات أقر. فضحك الجليل تبارك وتعالى وضحك المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال هنالك: بدلوا له كل سيئة حسنة[1]، كريمٌ منان. هذا هو العرض وأما من نوقش الحساب فقد هلك. من ناقشه الله في كل جليل وحقير وكبير وصغير هذا لا ينجو أبدا، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: من نوقش الحساب هلك، قالت عائشة: ألم يقل تبارك وتعالى "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا" قال: ذلكم العرض، ليس بحساب أما من نوقش الحساب فلا ينجو أبدا[2]. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِۦ﴾ هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء

---

1 - أخرج مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (277).

2 - عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن / باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا (4939). صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب إثبات الحساب (5123). تقدم في الدرس 40.

ظهره فيأخذ بها كتابه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ﴾ يومئذ عند رؤية ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه يا ثبوراه ﴿وَيُصَلَّى سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِۦ﴾ عشيرته ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ﴾ـــه ﴿لَن يَّحُورَ﴾ يرجع إلى ربه ﴿بَلَى﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ عالما ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ لا زائدة أقسم ﴿بِالشَّفَقِ﴾ الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس ﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جميع ما دخل عليه من الدواب وغيرها، كل ما جمع الليل ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ إذا اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض جواب القسم ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ تتكلفون أمرا بعد أمر، حالا بعد حال، الموت ثم الحياة ثم البعث ثم أحوال يوم القيامة حتى الجنة والنار ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ الكفار ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ لا مانع لهم من الإيمان وأي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون لأن يومنوا به لإعجازه ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مولم ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع لا منقوص ولا يُمن به عليهم.

سورة البروج

مكية اثنان وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ﴾ قسم ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة

﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة: كذا فُسرت الثلاثة في الحديث[1] فالأول موعود به والثاني شاهد بالعمل والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم لقد ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أصحاب الأخدود ملعونون ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ أوقدوا نارا تتوقد فيعذبون الناس بها ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ كان ملك من الملوك يعبد أصناما وعنده غلام خادم له فيرسله كل يوم إلى ساحر يتعلم منه السحر فرغب هو في عبادة الله، فإذا أرسله إلى السحر مال إلى الراهب وصار يتعبد معه إلى الليل ويرجع، يوم من الأيام وقع ثعبان كبير تنين في الطريق فخاف الناس كلا، فصاروا يرجعون عن حوائجهم خوفا من هذا الثعبان، فلما رأى الغلام ذلك قال: يا رب إن كان الساحر على الحق فأعني حتى أقتل هذا الثعبان، فضرب بسهمه فأخطأ، وقال يا رب إن كان الراهب هو الذي على الحق فأعني حتى أقتل هذا الثعبان بسهمي هذا ورمى بالسهم فقتل الثعبان، فتمكن في قلبه أن عبادة الله هي الحق، والراهب هو الذي على الحق لا الساحر، فانقطع للراهب يتعبد معه وفي الليل يرجع إلى الملك، حتى وصل إلى درجة أنه يبرئ الأكمه والأبرص، فكان جليس للملك قد عمي فدعا الله فرد الله بصره إليه، فقال له الملك: من أين لك هذا؟ قال له: بدعوة هذا الغلام فقال للغلام: كيف بلغت هذا؟ ما زال به حتى أقر له بأنه ترك تعلم السحر وتعلق بالراهب فعبد الله وعرفه والآن دعوته تشفي المرضى، فأرسل الملك إلى الراهب فقتله لأنه أفسد عليه الغلام وأخذ الغلام وقال إنه يقتله شر قتلة. اذهبوا به إلى قمة الجبل، أطول جبل طوله ثمانية

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة البروج (3262).

أميال، ارموه على وجه الأرض حتى يموت، فطلع الجيش حتى علوا الجبل فدعا الغلام الله فرجف بهم فماتوا جميعا ورجع الغلام. فقال: احملوه على سفينة حتى إذا بلغتم لج البحر ألقوه في البحر، فذهبوا إلى وسط البحر فدعا الغلام فأغرق الله السفينة وجماعة الملك فماتوا جميعا وأتى الغلام. قال له الملك: ما هذا؟ قال له: إذا أردت قتلي أنا أدلك على طريقة قتلي، إن لم تسلك تلك الطريقة لا تقتلني أبدا. قال: ما هي؟ قال: تجمع الناس كلا في صعيد واحد وتصلبني تربطني على خشبة بمرأى من جميع الناس وتأخذ سهمي وتقول: بسم الله رب الغلام. إن فعلت هذا أموت، وما لم تفعل هذا لا تقدر لي على شيء. فجمع الناس كلا في صعيد واحد وصلبه وأخذ سهما وقال: بسم الله رب الغلام فرمى ووقع السهم في صدغه فمات، ولما مات قال الناس كلا بكلمة واحدة: نشهد أن لا إله إلا الله رب الغلام. قال وزراء الملك قالوا للملك: أنت وقعت فيما كنت تخاف منه الناس كلا ارتدوا عن دينك، فحفر أخدودا وصار يدعو الناس كل من لم يرجع عن دينه إلى دين الملك ألقوه في النار، فصاروا يلقون الناس في النار حتى أتت امرأة مرضع تحمل ولدا صغيرا على ظهرها فأخذوها وأرادوا أن يدخلوها في النار فتقهقرت، تكلم الولد الرضيع: اصبري يا أماه فإنك على الحق حتى ألقوها في النار، فلما كان ذلك أرسل الله المَلَك فأخذ المِلِك وجيوشه وطبق عليهم الأخدود فماتوا عن آخرهم[1]، أولئك

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن صهيب (كان ملك في من كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال له: إذا جئت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا جئت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم

الراهب. فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فلا تدل علي. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا أجمع لك إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل، فإذا آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيئ بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما يبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيئ بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم به ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارم، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام ثم رماه، فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمّهْ اصبري فإنك على الحق). صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ باب قصة أصحاب الأخدود والراهب والغلام (5327).

الذين يقول الله تبارك وتعالى فيهم «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ» جمعوا بين قساوة القلب حتى حضروا بأنفسهم إيقاع الناس في النار ومباشرتهم لعذابهم و لم يرحموا فأهلكهم الله، صارت النار تخرج وتطلب كل من كان من جماعة الملك فتحرقهم ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته ﴿إِنَّهُ﴾ هو تعالى ﴿هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾ ولا يعجزه ما يريد ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿الْوَدُودُ﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٌ﴾ في لوح محفوظ من الشياطين ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب.

سورة الطارق

مكية سبع عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أقسم الجليل بالسماء والنجم الثريا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ما هو الطارق ﴿النَّجْمُ﴾ الثريا أو كل نجم ﴿الثَّاقِبُ﴾ المضيئ، الجواب: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ كل نفس عليها حافظ من الله تبارك وتعالى من الملائكة يحفظ ما عملت من خير وشر ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء أنت يا إنسان ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ اندفق من الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ يخرج من الصلب، كلمة "بين" زائدة، من بين الصلب أي من الصلب ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ ومن ترائب المرأة. الماء مني الرجل يخرج من الصلب ومني المرأة من الترائب، فلهذا يكون الولد أرحم به أبوه وأشد محبة فيه أمه لقرب الترائب من القلب، الصلب محل النخاع والنخاع فرع من الدماغ، والمني حقيقة مخرجه من الدماغ[1] ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الذي قدر على أن يصير المني إنسانا قادر على أن يبعثه بعد موته ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم يختبر وتكشف ضمائر القلوب في العقائد والنيات ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ صاحبة المطر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ صاحبة النبات ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ليس باللعب ﴿إِنَّهُمْ﴾ الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾

---

1 - تفسير القرطبي ج6/20.

أستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فَمَهِّلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد ﴿رُوَيْدًا﴾ قليلا قليلا فسوف يهلكون فأهلكوا ببدر.

الدرس الخامس والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنـا بهذا المحضـر
ولتعطفـي بنظـرة تأتي لنـا بالظفـر

سورة الأعلى

مكية تسع عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ نزه ربك، كلمة اسم زائدة قل سبحان ربي الأعلى، سبح اسم ربك نزه ربك عما لا يليق به ﴿الْأَعْلَى﴾ الرب الأعلى هو الله تبارك وتعالى. لما نزلت "فسبح باسم ربك العظيم" قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في ركوعكم) فلهذا تجد الراكع يقول سبحان ربي العظيم فلما نزلت «سبح اسم ربك الأعلى» قال: (اجعلوها في سجودكم)[1]

---

1 - أخرج أبو داود وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت: "فسبح باسم ربك العظيم" قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في ركوعكم) فلما نزلت: "سبح اسم ربك الأعلى" قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم). سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (736)، سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب التسبيح في الركوع والسجود (877).

فالساجد يقول سبحان ربي الأعلى والمناسبة في هذا أن في سورة الواقعة ذكر الشجر والراكع أقرب لحال الشجرة من الساجد. وهنا ذكر "غثاء أحوى" والساجد أقرب لغثاء أحوى. فلهذا الشارع وضع هذا الذكر هنالك وهذا هنا ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ خلق مخلوقه جميعه وجعله متناسب الأجزاء غير متفاوت ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ جافا هشيما ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلاَ تَنسَى﴾ ضمن الحق تبارك وتعالى أن يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فلا ينساه ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، كان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة أمام جبريل خوف النسيان فتكفل الحق تبارك وتعالى أن يقرئه القرآن ولا ينساه وأنه يجمع القرآن في صدره ويجمع القرآن ويقرأ ويفسر، وقد وفى بما وعد تبارك وتعالى. أقرأه القرآن فلم ينس منه شيئا إلا ما شاء الله. ما هذا الذي شاءه الله؟ هو المنسوخ والمنسوخ تقدمت أقسامه[1] ما نسخت تلاوته وحكمه كعشر رضعات معلومات قد يحرمن هذه كانت آية تتلى فنسخت تلاوتها ونسخ حكمها أيضا[2]، والشيخ والشيخة إن زنيا فارجموهما البتة هذه كانت آية تتلى نسخت تلاوتها وبقي حكمها إلى يومنا هذا[3].

---

1 - في الدرس الخامس.

2 - جاء في صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن. صحيح مسلم: كتاب الرضاع/ باب التحري بخمس رضعات (2634). وقد تقدم في الدرس5.

3 - أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما أجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وقد قرأتها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة رجم

وشيء نسخ حكمه وبقيت تلاوته كقوله تعالى "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين" آية البقرة[1] وكذلك عدة الحول متاعا إلى الحول بقيت التلاوة والحكم منسوخ[2]. هذا الذي نسخ يجوز أن ينساه المصطفى صلى الله عليه وسلم أو لا ينساه حتى يبلغه. إذا نزل الوحي تكفل الله بأن يحفظه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يبلغ للأمة. لا ينافي أنه بعد هذا كسائر القراء كان يقرأ في صلاته فيقف أو يترك آية، فإذا سلم يقول أين فلان وفلان؟ تركت الآية الفلانية فلم تذكروني. فيقولون: كنا نظن أنها منسوخة، يقول: لا[3]. شيء بلّغه حتى تقرر يجوز أن ينساه كسائر الناس، وهو المراد بقوله (إني لا أنسى ولكن أنسّى لأسن)[4] لولا أنه نسي وسها ما علمنا الحكم في هذا، ولكن المستحيل

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده. سنن ابن ماجه: كتاب الحدود/ باب الرجم (2543). وهو عند البخاري عن ابن عباس غير أنه لم يذكر (وقد قرأها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة..) صحيح البخاري: كتاب الحدود/ باب الاعتراف بالزنا (6829). تقدم في الدرس 5.

1 - هي الآية 180 أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس "إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين" فكانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث. سنن أبي داود: كتاب الوصايا/ باب ما جاء في نسخ الوصية للوالدين والأقربين (2485) وعند الدارمي: كتاب الوصايا/ باب الوصية للوارث (3131). تقدم في الدرس5.

2 - نقل ابن حجر عن ابن عبد البر قوله: لم يختلف العلماء أن العدة بالحول نسخت إلى أربعة أشهر وعشرا. فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب الطلاق/ باب "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا" إلى قوله "بما تعملون خبير" (5344).

3 - جاء في مسند أحمد عن عبد الرحمن بن أبزى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الفجر فترك آية فلما صلى قال: (أفي القوم أبي بن كعب؟) قال أبي: يا رسول الله نسخت آية كذا وكذا أو نسيتها قال: (نُسِّيتها). مسند أحمد: مسند المكيين/ (14823).

4 - عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني لأنْسَى أو أُنسَّى لأسن). الموطأ: كتاب النداء للصلاة/ باب العمل في السهو.(لا رقم له)

شيء نزل عليه يجب عليه تبليغه فينساه قبل أن يبلغه، هذا يكون خللا في النبوة وفي الشريعة هذا لا يجوز. لا ينسى شيئا إلا بعدما بلغه وتقرر عند الناس. هذا هو قوله «إلا ما شاء الله» ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام ﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ما دامت الذكرى تنفع فدم على الذكرى. وقد تقدم أن الذكرى تنفع المؤمنين ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَنْ يَّخْشَى﴾ من يخاف الله تعالى ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي الذكرى يتركها جانبا لا يلتفت إليها ﴿الأَشْقَى﴾ الشقي أو الكافر ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا. إن هذه النار جزء من سبعين جزء من نار الآخرة[1]. لما أهبط الله آدم إلى الأرض، وعلم الله أنه سيحتاج لشيء من النار لطعامه أمر جبريل فأخذ شرارة من جهنم وأطفأها في البحار سبعين مرة، وأتى بها إلى الدنيا فأحرقت جميع ما على وجه الأرض وطارت ورجعت إلى أصلها، فأخذها جبريل فأطفأها في الماء كذلك، ولم يزل كذلك حتى صارت بهذه المرتبة التي هي عليها الآن، هي ليست هي نار الآخرة، جزء من سبعين جزء من تلك النار. لهذا وصف نار الآخرة بالكبرى، ونار الدنيا بالصغرى. ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلاَ يَحْيَا﴾ حياة هنيئة أو حياة تنفع ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ فاز من تطهر بالإيمان ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبرا ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس أو صلاة

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها). صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ صفة النار وأنها مخلوقة (3265)، وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها /باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (5077).

الفطر على القول بأنها نزلت في صلاة الفطر[1] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تختارون الدنيا على الآخرة لقربها ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ما كان أبقى فهو خير لاسيما هو خير وأبقى «والآخرة خير وأبقى» والله خير وأبقى. الآخرة خير من الدنيا وأبقى والله خير منهما وأبقى ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي فلاح من تزكى وكون الآخرة خير وأبقى ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ المنزلة قبل القرآن ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي التي نزلت على إبراهيم الخليل والتي نزلت على موسى بن عمران لحديث أبي ذر: دخلت المسجد فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست قربه فقال لي: (يا أبا ذر إن للمسجد تحية وتحيته ركعتان قم فصلهما) فقمت فصليت ركعتين وجلست جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة وما هي الصلاة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (خير موضوع فأكثر منها أو استقلل) فقلت: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال صلى الله عليه وسلم: مائة وأربعة كتب عشرة على آدم، خمسون على شئث، ثلاثون على أخنوخ، عشرة على إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. وما كانت كتب إبراهيم؟ كانت أمثالا كلها: فعلى العاقل أن يتخذ ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو للذته من حلال من مطعمه ومشربه. وعلى العاقل أن لا يمشي إلا لثلاث: لتزود لمعاشه أو تزود أجر ثواب لآخرته، أو لذة لغير محرم. وعلى العاقل أن يحفظ لسانه مقبلا على شأنه بصيرا بزمانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه. قال قلت: وما كانت كتب موسى يا رسول الله؟ قال: كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف

---

1 – ذكره الطبري: عن ابن عباس قوله "فصلى" يقول صلى الصلوات الخمس، وقال آخرون عني به صلاة العيد يوم الفطر، وقال آخرون بل عني به وذكر اسم ربه فدعا. تفسير الطبري ج157/30.

يلعب. وعجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل، عجبت لمن يعرف النار ثم لا يهرب منها، عجبت لمن يعرف الجنة ولا يطلبها، عجبت لمن آمن بالقدر كيف يتعب. فقلت: يا رسول الله هل في كتابنا شيء من تلك الكتب المنزلة قبل القرآن؟ فقال: اقرأ إن شئت "بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى. فقلت: أوصني يا رسول الله. قال: أوصيك بتقوى الله، قلت زدني يا رسول الله، قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي وعليك بالصلاة فإنها لك نور يوم القيامة، وأمسك عنك لسانك)[1] وقال رسول الله

1 - أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله، جالس وحده. قال: (يا أبا ذر إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما). قال: فقمت، فركعتهما، ثم عدت فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله، إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: (خير موضوع، استكثر أو استقل) قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: (إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله). قال: قلت: يا رسول الله، فأي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال: (أحسنهم خلقا). قلت: يا رسول الله، فأي المؤمنين أسلم؟ قال: (من سلم الناس من لسانه ويده) قال: قلت: يا رسول الله، فأي الصلاة أفضل؟ قال: (طول القنوت). قال: قلت: يا رسول الله، فأي الهجرة أفضل؟ قال: (من هجر السيئات). قال: قلت: يا رسول الله، فما الصيام؟ قال: (فرض مجزىء، وعند الله أضعاف كثيرة). قال: قلت: يا رسول الله، فأي الجهاد أفضل؟ قال: (من عقر جواده وأهريق دمه). قال: قلت: يا رسول الله، فأي الصدقة أفضل؟ قال: (جهد المقل يسر إلى فقير). قلت: يا رسول الله، فأي ما أنزل الله عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي) ثم قال: (يا أبا ذر، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على الحلقة) قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: (مئة ألف وعشرون ألفا). قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: (ثلاث مئة وثلاثة عشر جما غفيرا). قال: قلت: يا رسول الله، من كان أولهم؟ قال: (آدم). قلت: يا رسول الله، أنبي مرسل؟ قال: (نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلا). ثم قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد). قلت: يا رسول الله، كم كتابا أنزله الله؟ قال: (مئة كتاب، وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة،

وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن). قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحيفة إبراهيم؟ قال: (كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه). قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: (كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل). قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: (أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء) قلت: يا رسول الله زدني: قال: (إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (أحب المساكين وجالسهم). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك). قلت: يا رسول الله زدني، قال: (قل الحق وإن كان مرا). قلت: يا رسول الله زدني. قال: (ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تأتي). ثم ضرب بيده على صدري فقال: (يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق). صحيح ابن حبان: ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها (360). وللسيوطي في الدر المنثور في رواية مختصرة أخرجها عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: (يا أبا ذر نعم: "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى"). الدر المنثور ج1/ص9.

صلى الله عليه وسلم: استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: يا رسول الله كلنا نستحيي، قال: ليس ذلك هو الحياء، الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى: الرأس وعى العينين من حفظ الرأس حفظ العينين واللسان والأذنين، وأن تحفظ البطن وما حوى: البطن حوت القدمين والفرج واليدين والبطن، كل هذا تضمنه البطن، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وأن تحفظ الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء[1].

سورة الغاشية

مكية ست وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَاكَ﴾ قد أتاك ﴿حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ حديث القيامة، سميت الغاشية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عبر بها عن الذوات ﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي ذات نصب وتعب بالسلاسل، والعمل مكابدة العذاب ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ تدخلها ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ حسنة ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾

1 – روى الترمذي وأحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حق الحياء، قال قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء). سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2382) وفي مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن مسعود (3489).

ترضى لسعيها بالطاعة في الدنيا لما رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حسا ومعنى، أما حسا فطول الفراش في الجنة مقدار ما بيننا وبين السماء ورفيعة القدر أيضا معنى ﴿لاَ تُسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةٌ﴾ نفس ذات لغو ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء عيون ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون معدة لشربهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجنب بعض يستند إليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط طنافس ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ما ينظرون في خلقة الإبل؟ ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته. فضرب المثل بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها. إن الله تبارك وتعالى خلق الخلائق قسمين: قسم خلقه خلقا حسنا عجيبا كالإنسان وفيه شهوة للإنسان وكذلك الذهب والفضة وكل ما فيه لذة. وخلق أشياء بالغة في الحكمة وليس فيها حسن ولا جمال، ليس فيها نصيب للشهوة. القسم الأول فيه قسم للحكمة وقسم للشهوة، ما دعانا للنظر إلى ذلك القسم سدا للذرائع، لأن الجليل لا يأمر بما فيه مفسدة للعبد ولو أمرنا بالتفكر في حسن الإنسان وما تضمن لربما دعانا ذلك إلى ما فيه شهوة، سكت عن هذا الجزء. والقسم الثاني خلقه الله تبارك وتعالى وفيه حكمة بالغة ولا شهوة في النظر فيه فأمرنا أن ننظر في هذا القسم «أفلا ينظرون إلى الإبل» الإبل من أكبر آيات الله تبارك وتعالى، حيوان أشرف الحيوانات لأن كل حيوان يقتنى، يقتنى للحلب أو للركوب أو لأكل اللحم أو للحمل عليه أو للتجمل "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون" وكل هذا في الإبل أعظم من غيرها. والإبل إذا حُلبت سقت جمعا كبيرا وأروت، وإذا نحرت أطعمت لحما كثيرا، وإذا رُكبت

قطعت مسافات بعيدة في راحة، وإذا حُمِّلت حملت حملا لا يحمله غيرها. وإذا أرادوا التجمل فالجِمال الكثيرة إذا عرضت ملأت بقعة من العالم أحسن ما يرى العرب. فلهذا كان الملِك إذا أراد أن يجود بعطاء عظيم أعطى مائة من الإبل، تكون بقعة واسعة من الأرض ممتلئة من الإبل لا يرى أحسن من هذا. هذا ولما كانت الإبل أشرف الحيوانات جُعلت فدية للإنسان. دية الإنسان لا تصح إلا من الإبل. وهي مع ذلك فيها عجائب كثيرة منها أنها تصبر مدة طويلة عن الأكل والشرب ما لا يصبر غيرها من الحيوانات وتنقاد لكل إنسان حتى الصغير إذا أخذ بزمامها انقادت له، وفي الإبل أنها تركب وهي باركة ويحمل عليها وهي باركة لا تجد حيوانا يقبل هذا إلا الإبل، وهي مع ذلك فيها عقل قوي حتى إن جماعة إذا ضلوا في فلاة وتركوا جملا كبيرا يقودهم إلى الطريق؛ فلما كانت الإبل أفضل من كل حيوان في كل فن من فنون المنافع من حلب وحمل وركوب وأكل لحم وتجمل وقنية وغيرها، أمرنا الله أن ننظر إلى الإبل كيف خلقت «إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت» يخاطب العرب وقريشا خصوصا وكان من عادتهم رحلة الشتاء والصيف. الإنسان يرحل مسافرا يركب بعيرا فيمر على الجبال فوقه السماء تحته الأرض لابد أن يتفكر. إذا تفكر إن نظر أمامه لا يرى إلا بعيرا فينظر إلى عجائب خلقته، فإذا التفت يمينا أو شمالا لا يرى إلا الجبال، فإذا نظر فوقه لا يرى إلا السماء وإذا نظر تحته لا يرى إلا الأرض، فإذ نظر في هذا وهو متفكر في خلوة لابد أن يعلم أن الذي خلق هذه الأشياء قادر وحكيم. فلهذا أرشدتنا الآية إلى النظر إلى الإبل «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» أليست عجيبة، البعير ينقاد للصبي ولا يكاد يؤذي أحدا حتى ولو وطئ إنسانا بخفه لا يتضرر من ذلك كما يتضرر لو وطئته دابة غيره

﴿فَذَكِّرْ﴾ ذكّرهم نعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ليس لك إلا التذكير ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ لست بمسلط عليهم، هذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدا.

سورة الفجر

مكية أو مدنية ثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الجليل بفجر كل يوم، أو فجر يوم النحر، أو فجر يوم عرفة، أو فجر يوم الجمعة، أو الفجر الأول وقت انفجار الأرواح من حضرة القدس[1]، [فصَلِّ صلاة الفجر في أول العصر] قال الشاعر[2]. «والفجر» ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي الحجة (ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله

---

1 - نقل القرطبي في تفسيره ج20/ 38-39 بعض هذه الأقوال عن علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة.

2 - هذا عجز بيت من أبيات ذكرها سيدنا ومولانا الشيخ أحمد التجاني في جواهر المعاني وهي:

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر ... وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر

وقدم إماما كنت أنت إمامه ... وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم ... فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

والأبيات مشروحة في جواهر المعاني ج2/56.

من عشر ذي الحجة، كل يوم الصوم فيه يساوي صوم سنة)[1] ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الشفع الزوج، آدم وحواء، أو الليل والنهار، أو الدنيا والآخرة، أو محمد وإبراهيم، والوتر آدم، أو الوتر الله تبارك وتعالى، أو الشفع كل والد وولد والوتر هو الله تبارك وتعالى[2]. (إن الله وتر يحب الوتر)[3] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مقبلا ومدبرا. أقسم خمس مرات والجواب محذوف لتعذبُن يا كفار مكة، ويل لهم ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ عقل ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ﴾ عاد عادان عاد الأولى وعاد الأخيرة وعاد الأولى هي عاد إرم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ﴾ في بطشهم وقوتهم ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُواْ الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه كما فعل بآسية

---

1 – أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر) واللفظ للترمذي. سنن الترمذي: كتاب الصوم/ باب ما جاء في العمل في أيام العشر (689)، وفي سنن ابن ماجه: كتاب الصيام/ باب صيام العشر (1718). وقد تقدم في الدرس 22.

2 – جاء في الدر عن إبراهيم النخعي قال: الشفع الزوج والوتر الفرد. الدر المنثور ج8/503. وفي القرطبي: قيل إن الشفع والوتر آدم وحواء لأن آدم كان فردا فشفع بزوجته حواء، فصار شفعا بعد وتر. رواه ابن أبي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس، تفسير القرطبي ج20/40. وروي عن مجاهد: "والشفع والوتر" قال: كل خلق الله شفع السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، والله الوتر وحده. الطبري ج30/171.

3 – أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (4835)، صحيح البخاري: كتاب الدعوات/ باب لله مائة اسم غير واحد (6410).

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ عاد الأولى منهم شدّاد الذي بلغت قوته مبلغا ما بلغته قوة إنسان هو الذي بنى جنة في الدنيا، قال: إن هودا يواعدنا بجنة في الآخرة وأنا أصنع جنة في الدنيا. فبنى قصرا بالجواهر واليواقيت وصنع بيوتا وجعل فيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهيأ كل شيء فيها وتهيأ مع جيشه ينتقل إلى تلك الجنة حتى يعلم هود أن لا حاجة له في الجنة، فلما قرب من القصر مسافة ميل تعرض له شخص وقال له: لي إليك حاجة. قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: ما تريد؟ قال: أخذ روحك. قال له: أمهلني حتى أدخل القصر. قال: لا لا، لا تتجاوز هنا. فقبض روحه فصرع هنالك[1]. ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ يظنون أن الإكرام هو وجود المال ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ ربه ﴿فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا﴾ ردع ليس الإكرام بالغنى، ولا الإهانة بالفقر، إنما الإكرام بطاعة الله تبارك وتعالى، والإهانة بمعصية الله وكفره، لا ينتبهون لذلك. أهل الدنيا يرون المال والجاه رفعة القدر عند الله تبارك وتعالى، والله لا ينظر إليهما، إنما المعتبر عند الله تبارك وتعالى هو الإيمان والطاعة، فمن رزقه الله الإيمان به

---

1 - ذكره القرطبي قال: روي أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة فقال: أبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة. ولما تم بناؤه سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. تفسير القرطبي 47/20.

وطاعته فقد أكرمه، ومن لا فقد أهانه ولو كثر عنده المال ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ لا تحسنون إليه مع غناكم ولا تعطونه حقه من الميراث ﴿وَلَا تَحُضُّونَ﴾ أنفسكم ولا غيركم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ إطعام المسكين ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ شديدا للَمِّهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرا فلا تنفقونه ﴿كَلَّا﴾ لا تفعلوا هذا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أمره ﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو مجيئ الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أوتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك[1] لها زفير وتَغيّظ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ إن الله تبارك وتعالى يحشر هذا الخلق في النفخة الثانية، ينفخ إسرافيل في الصور نفخة فيموتون جميعا وبعد أربعين سنة ينفخ مرة أخرى فيجتمع الخلائق جميعا في صعيد واحد، يحشر أبناء آدم من أول الدهر إلى آخر الدهر، فيجتمعون في صعيد واحد ويحشر الجن وهم عشرة أضعاف بني آدم يدورون عليهم عشرة أضعاف، ويحشر ملائكة الأرض وهم عشرة أضعاف الجن ثم يحشر ملائكة السماء الدنيا عشرة أضعاف ملائكة الأرض، ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة ثم تحشر ملائكة البيت المعمور عشرة أضعاف ذلك ثم تحشر ملائكة الكرسي عشرة أضعاف ما قبله، ثم يحشر ما في كل سرادق من سرادقات العرش سبعمائة ألف وسبعون ألف سرادق كل واحد يتضمن من الملائكة عشرة أضعاف ما قبله، والإنس في وسط الخلائق، أحيط بهم من كل

---

1 - أخرج مسلم عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها /باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (5076).

جانب "إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان" فيتجلى الجليل تبارك وتعالى بصفته المنتقم ويقول هؤلاء المخلوقات خلقتهم جميعا ورزقتهم وكلفتهم، ونظرت في كتبهم ما رأيت شيئا إلا أنهم كلهم خالفوا ما أمرت به وانتهكوا النواهي، آتوني بجهنم. فيذهب الملائكة إلى جهنم فيجعلونها في سبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك من الملائكة ويقولون لها: أجيبي ربك. فتقول: ما يصنع بي؟ يقولون: لا ندري. فتصغر جهنم حتى تصير كالجرو من الصغر فيؤتى بها للمحشر والناس يتكلمون: ما هذا؟ هذا خلق صغير عليه كثير من السلاسل والملائكة. يقول الله تبارك وتعالى: خلقت هؤلاء الخلائق وجاءوني وما أتوني بشيء، أحرقيهم جميعا. فإذا جهنم لها زفير وتغيظ تريد أن تتسلط على الخلائق "ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر" والملائكة مستمسكون بالعرش: يا رب سلم سلّم، وكل رسول يقول: نفسي نفسي. فيقولون: ما الرأي؟ - نذهب إلى آدم أبي البشر، فجاءوا إلى آدم: يا آدم أنت خليفة الله في أرضه خلقك بيده ونفخ فيك الروح وأسجد لك الملائكة هذه جهنم تريد أن تحرق المؤمن والكافر جميعا، فاشفع لأولادك. يقول آدم: نفسي نفسي، حواء زوجتي لا أفكر فيها اليوم لأني أخاف أن يعذبني الله بأني أكلت الشجرة، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح هو أول أنبياء الشريعة؛ فيأتون لنوح: يا نوح أنت أول الأنبياء وسماك الله عبدا شكورا، وهذه جهنم تريد أن تجمع المؤمن والكافر جميعا فاشفع للخلائق. فيقول: نفسي نفسي، لا أفكر في سام ولدي أحرى غيره لأني دعوت على قومي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله؛ فيأتون إبراهيم ويقولون له: يا خليل الله إن جهنم تريد أن تجمع الكافر والمؤمن، فاشفع لنا. فيقول: نفسي نفسي، كذبت ثلاث كذبات لم أدر هل يعذبني الله بها أم لا،

اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى كليم الله، فيأتون موسى: موسى بن عمران كلمك الله تكليما هذه جهنم تجمع بين المؤمن والكافر، فاشفع للخلائق. يقول: نفسي نفسي، هارون أخي لا أفكر فيه لأني قتلت نفسا لم أومر بقتلها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى روح الله، فيأتون عيسى عليه الصلاة والسلام: يا عيسى أنت روح الله وكلمته هذه جهنم تريد أن تجمع بين المؤمن والكافر فاشفع للناس. يقول: نفسي نفسي، مريم أمي لا أفكر فيها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد حبيب الله هو الذي يستحق هذا. فيأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن جهنم تريد أن تجمع المؤمن والكافر وتحرق الجميع. يقول صلى الله عليه وسلم: جهنم تأتي للمحشر قبل أن آخذ أمتي؟ ما يمكن هذا. جهنم في المحشر تريد أن تأكل الجميع. فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رب العزة تبارك وتعالى فيسجد، فيفتح الله عليه من الحمد ما لم يسبق له مثيل، قلت إن الفتح لا ينتهي حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يفتح له في ذلك المقام، ففتح عليه في الحمد، قال ما لم يسبق له مثله، فقال الله تبارك وتعالى: ارفع رأسك هذا ليس يوم عبادة، سل تعط واشفع تشفع، فقال: جنهم تدخل المحشر قبل أن أخرج أمتي؟ فيأتي ويضربها صفعة تفر مسافة سبعين ألف سنة، ويقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع في الأنبياء أولا ويشفع في العلماء ويشفع في الشهداء، فيقوم هؤلاء يشفعون أيضا بعد شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. هذا قوله تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" مقام يحمده فيه الأولون والآخرون[1] «يومئذ يتذكر

---

1 - حديث الشفاعة في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس

فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرهن أبو حيان في الحديث، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى). صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" (4712) صحيح مسلم: كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (287). حديث الشفاعة تقدمت أطراف منه في أكثر من درس.

الإنسان» ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ﴾ الله ﴿أَحَدٌ﴾ في ذلك اليوم يتولى الله العذاب بنفسه لا يكله إلى غيره ﴿وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ كذلك يكتف الجليل بنفسه ولا يوكل أحدا من شدة الغضب ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة وهي المؤمنة ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله تبارك وتعالى بعملك جامعة بين الوصفين ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ في جملة عبادي الصالحين ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

سورة البلد

مكية عشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لاَ﴾ زائدة ﴿ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أقسم الجليل تبارك وتعالى بمكة لأنها بلد حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له ذلك الوعد يوم الفتح ﴿وَوَالِدٍ﴾ هو آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ جميع ذريته، الوالد آدم وما ولد إبراهيم، أو والد آدم وما ولد محمد ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ إن الله تبارك وتعالى أقسم بهذه الأشياء أن الإنسان خلقه الله في كبد في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. خلق الإنسان في كبد في تعب، لا يزال الإنسان في كبد. إن الله خلق الإنسان وصوره في بطن أمه في الرحم يكابد ضيق المشيمة والرحم والبطن حتى أخرجه الله، إذا أخرجه الله أول ما يكابد قطع سرته عندما يولد توخذ سكين

فيقطع جزء منه ويلف لفا شديدا في قماش أي رباط شديد، يكابد هذا التعب. وبعد ذلك يكابد الإرضاع لابد من الرضاعة وإلا يموت، يكابد الرضاعة حتى يتمرن عليها، ويكابد نبات الأسنان بالحمى والصداع حتى تنبت أسنانه، وبعد ذلك يكابد الفصال، يفصل عن الرضاعة فيكابد هذا، وبعد هذا يكابد المشي حتى يقوى فيدخل المدرسة ويكابد سطوة المعلم وتربيته وهيبته، وبعد هذا يصير شابا يتعلق بالتزويج يكابد التزويج متعجلا، فإذا تزوج وصار له أولاد يكابد مشقة العيال، مرض الأولاد نفقة الزوجة وفتنتها، وهو بين ذلك يكابد مصائب عديدة: الضرب والسجن والفقر والمرض كل هذا ربما وقع، بعد أربعين سنة يكابد الهرم والشيب، فإذا مات يكابد سكرات الموت، فإذا ذهب إلى القبر يكابد سؤال الملكين وضغط القبر، وبعد ذلك البعث والحساب وأخذ الكتاب باليمين أو بالشمال والمشي على الصراط حتى يستقر في الجنة أو في النار. لا يزال يكابد نصبا دائما، خلق الإنسان في كبد حتى أن الدنيا إذا تفكرت تجد أن لا لذة فيها، كل ما نسميه لذة فإنما هو خروج من التعب فقط إذا فرج الله علينا من عذاب نسميه لذة، لذة الطعام إنما هي نجاة من مصيبة الجوع فقط، كاد الجوع أن يهلكنا ففرج الله علينا بالأكل، والشراب فرج من مصيبة العطش، والصحة فرج من مصيبة المرض، واللباس فرج من مصيبة ذل العري فكل ما نحسبه لذة الآن إذا تفكرت تجده خروجا من العذاب فقط، لا لذة في الدنيا، تعب على تعب، لا لذة إلا في الجنة. ﴿أَيَحْسِبُ﴾ سبب نزول هذه الآية أن أبا الأشد بن كلدة كان رجلا قويا ومن قوته كان يضع أديما ويضع قدمه عليه إذا اجتمع مائة شخص ليرفعوا قدمه لا

يقدرون حتى يتمزق الجلد[1] ولا يقدرون أن يزحزحوا قدمه هو من قوته ﴿أَيَحْسِبُ﴾ يظن الإنسان وهو أبو الأشد بن كلدة بقوته ﴿أَن لَّنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ والله قادر عليه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ في عداوة محمد ﴿مَالاً لُّبَدًا﴾ كثيرا ﴿أَيَحْسِبُ أَنْـــ﴾ـــه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره، والله عالم بقدره وأنه لا يكترث به ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ جعلنا ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ إن الله خلق الإنسان وأعطاه عينين ولسانا ينطق به وشفتين لصون اللسان، فالإنسان الفرق بينه وبين غيره من الحيوانات اللسان. اللسان نصف الإنسان. الفرق بين الحيوان الناطق وغيره اللسان، فبه يكمل المرء وبه ينقص. كل كمالاته مكتسبة بلسانه وكذلك نقائصه، اللسان شديد الخطر على الإنسان لأن الإنسان لسانه متهيئ للعمل دائما، وقوي حيث بلغ اللسان من القوة ألا يحجزه شيء عن العمل، القدمان ليس لهما شغل إلا المشي إذا جلست أو اضطجعت لا عمل لهما، واليدان البطش فقط، والعينان إذا أغمضتهما.. وأما اللسان فيتكلم دائما سواء كان صاحبه ماشيا أو قاعدا أو مضطجعا، في ملإ أو في غير ملإ، وكل أعضاء الإنسان تعجز أن تعمل في عدم إلا اللسان يعمل في الموجود والمعدوم، يكذب كثيرا، يتسلط على الخالق وعلى المخلوق، على الأنبياء وعلى الأولياء لا يعجز عن أحد، فلهذا جعل الله عليه حصنا هو الأسنان وحصنا ثانيا هو الشفتان فتنطبق الشفتان على هذا العدو فإنه كثير الخطر على الإنسان ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ طريقي الخير والشر ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ هلا جاوز الصراط وهو حي ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك

---

1 – نزلت في أبي الأشد واسمه أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديدا قويا يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعا ويبقى موضع قدميه. تفسير البغوي ج4/488-489.

﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ كيف تجوز الصراط وأنت حي ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من عتق رقبة فكأنما جاوز الصراط وهو حي لأن الرقبة فيها كل عضو فيك، كل عضو من أعضائها يعتق عضوا من أعضائك كأنك تجاوزت الصراط وأنت حي، هذه فائدة العتق[1] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أو إذا جاء يوم مجاعة تطعم الطعام للفقراء والمساكين ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يتيم بينك وبينه قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أو مسكينا ملتصقا بالتراب لفقره تطعمه طعاما ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على الخلق ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ مطبقة عليهم.

سورة الشمس

مكية خمس عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ﴾ أقسم الجليل بالشمس ﴿وَضُحَاهَا﴾ ضوئها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾ تبعها طالعا عند غروبها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾ بارتفاعه ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يغطيها بظلمته ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ بسطها ﴿وَنَفْسٍ﴾ أي جميع نفوس الناس ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ بالقدرة التي أوجدها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بيّن لها طريقي الخير والشر. أخر التقوى رعاية

---

1 – روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال: عتق النسمة وفك الرقبة. قال: يا رسول الله أوَ ليسا واحدا؟ قال: لا، عتق الرقبة أن تتفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها). تفسير المراغي ج162/30.

لرؤوس الآي، جواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَن دَسَّاهَا﴾ أخفاها بالمعصية ودسّاها ودسسها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بسبب طغيانها ﴿إِذِ انبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾ اسمه قُدار بن سالف عقر الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ اتركوا ناقة الله ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ وشربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العذاب ﴿بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ عمّهم بها فلم ينفلت منهم أحد ﴿فَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ تبعتها، أهلكهم ولا يخاف أحدا يقوم يطلب حقهم.

سورة الليل

مكية إحدى وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّيْلِ﴾ أقسم الجليل بالليل ﴿إِذَا يَغْشَى﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ تكشف ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ الذي خلق من ذكر وأنثى آدم وحواء أو كل ذكر وأنثى الجواب ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ الناس مختلفة أعمالهم فعامل للجنّة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَى﴾ الله ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ صدق بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ للجنة ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ عن ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ لا إله إلا الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيئه ﴿لِلْعُسْرَى﴾ النار ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ لا ينفع المال إذا تردى سقط الرجل في النار، أو إذا تردى إذا لبس أكفانه:

نصيبك مما تجمع الدهر كله   رداءان تطوى فيهما وحنوط

الإنسان ليس له من ماله إلا الأكفان. كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فسأله علي: هذا العمل الذي نعمل لشيء جفت الصحف عليه ورفعت الأقلام أم لشيء ينشأ؟ قال: بل لشيء رفعت الأقلام عنه وجفت الصحف. قال علي: إذاً أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له[1]. من أراد الله به السعادة يسره لعمل أهل السعادة ومن أراد به غير ذلك يسره لعمل أهل الشقاوة. فالأعمال حادثة والتقسيم قديم. كان واحد من الأولياء يقول: أنا لا أعبد أحدا أنال رضاه بعبادتي وسخطه بمعصيتي، يعني يعبد الله الذي رضاه وسخطه قديمان قبل عمل الإنسان. فهذه الأعمال علامات فقط نعلم أن من وفق لعمل الخير فهو من أهل الخير لا أن العمل سبب في السعادة، لأن السعادة سبقت والعمل طارئ. إذا سخرك الله لعمل الخير فذلك علامة للخير الذي سبق في الأزل، والعكس كذلك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ تبيين طريق الهدى ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ تتوقد ﴿لاَ يَصْلاَهَا﴾ يدخلها ﴿إِلاَّ الْأَشْقَى﴾ الشقي ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، أبو جهل بن هشام ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ أي التقي هو أبو بكر الصديق ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ متزكيا به عند

---

1 – أخرج الشيخان عن علي رضي الله عنه واللفظ للبخاري قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى" الآية) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فسنيسره للعسرى (4949)، وفي صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (4787). تقدم في الدروس 18،20، 26 و45.

الله تبارك وتعالى. نزل هذا في أبي بكر الصديق. كان بلال عبدا لأمية بن خلف، فلما دخل الإسلام قلبه صار أمية يعذبه ليرتد، أخذ مقمعة يضرب بها رأسه دائما، وإذا تعب اكترى من ينوب عنه في ضرب بلال، يضربونه ليلا ونهارا ليرتد وهو يقول: أحد أحد، أحد أحد. مر به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يضرب ويقول: أحد أحد فقال: أحد هذا سينقذك من هؤلاء، فذهب إلى أبي بكر وأخبره أن عبدا يعذب لا لشيء إلا لأنه يحب الله ورسوله، فجاء أبو بكر إلى أمية قال: عبدك بلال بن رباح تبيعه لي؟ قال: نعم إذا أعطيتني مائتي دينار أبيعه لك. فعدّ له أبو بكر مائتي دينار وأتى لبلال وسرحه وقال له: امش تحب الله ورسوله ولا يتعرض لك أحد. فقالوا: مائتا دينار يعطيها أبو بكر مجانا؟ لا يمكن، هذا يجب أن الرجل إذا عمل يرد له، لا يعرفون العمل لله[1]. فقال تعالى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ﴾ لكن فعل ذلك ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ أبو بكر أعطى مائتي دينار لا لتقضى له بل طلبا لمرضاة ربه تبارك وتعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ سوف يرضى بما يعطاه من الثواب في الجنة. فبهذه الآيات ذكروا أن أبا بكر خير من علي لأن أبا بكر قال الله في حقه «إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى» وعلي "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا

---

1 - جاء في تفسير أبي السعود قوله: والآيات نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول: أحد أحد، فمر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أحد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لأبي بكر رضي الله عنه: إن بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا؟ قال: نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت. تفسير أبي السعود ج168/9.

قمطريرا" عمل للخوف من العقاب وهذا عمل لوجه الله.

سورة الضحى

مكية إحدى عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد[1] ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم تأخر عنه الوحي خمسة عشر يوما وفي رواية شهرا، وفي رواية أربعين يوما[2] فصار الكفار يشمتون به يقولون محمد هذا شيطانه تركه، قلاه ربه وتركه حتى أتته أم جميل تقول ما أرى شيطانك إلا وقد تركك وقلاك الآن[3]، فربما يذهب النبي صلى الله

---

1 – أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي الحسن البزي المقري قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على إسماعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال: (كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم) فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما أمره بذلك وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك وأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك. الدر المنثور ج539/8. مستدرك الحاكم: كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم/ لا يقوم في الصف الأول إلا المهاجرون والأنصار (5376).

2 – جاء في تفسير القرطبي عن مدة فترة الوحي قبل نزول "والضحى": قال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل أربعين يوما. تفسير القرطبي ج92/20.

3 – أخرج الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما نزلت: "تبت يدا أبي لهب وتب" إلى "وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد" قال: فقيل لامرأة أبي لهب: إن محمدا قد هجاك، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملأ فقالت: يا محمد على ما تهجوني؟ قال: فقال: (إني والله

عليه وسلم يصعد على جبل طويل لكي يلقي نفسه على الأرض ليموت فيستريح من شماتة الأعداء صلى الله عليه وسلم فيزجره جبريل يقول له: لا، أنت رسول الله حقا[1]. وبعد مدة نزلت هذه السورة. أول ما بدأ الحق أقسم بأنه ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبغضه، والحكمة في ذلك أن الإنسان إذا أمر بشيء ينبغي أن يبدأ هو فيه، إذا نهى عن شيء ينبغي أن يتركه هو الأول والله وضع شريعته: البينة على المدعي واليمين على من أنكر. هذه شريعة الله، والله تبارك وتعالى ادعوا عليه أنه ترك النبي وأبغضه وهذا شيء كبير، والمدعي ليس عنده بينة لم يبق إلا أن المدعى عليه يحلف فأقسم الجليل تبارك وتعالى ﴿وَالضُّحَى﴾ أول النهار ﴿وَاللَّيْلِ﴾ الليل كله ﴿إِذَا سَجَى﴾ أي سكن ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وما أبغضك ردا على ما قال الكفار. أقسم بالضحى وأقسم بالليل، وهُنا حكم كثيرة في السورة الأولى أقسم بالليل قبل النهار وفي هذه السورة أقسم بالضحى قبل الليل لأن سورة والليل نزلت في أبي بكر وسورة والضحى نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر سبق له كفر وبعد ذلك أسلم وصار

ما هجوتك ما هجاك إلا الله)، قال: فقالت: هل رأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد، ثم انطلقت فمكث رسول الله أياما لا ينزل عليه فأتته فقالت: يا محمد ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، فأنزل الله عز وجل: "والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى". مستدرك الحاكم: كتاب تفسير القرآن/ شأن نزول سورة "والضحى" (3994).

1 - أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي في آخر الحديث قولها: ..وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك. صحيح البخاري: كتاب التعبير /باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة (6982).

مومنا فناسب أن يسبق في سورته الليل إشارة إلى جاهليته والنهار إذا تجلى. ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يسبق له كفر قط فناسب أن يقال والضحى قبل أن يقال والليل. والضحى ساعة من نهار فقط والليل الليل كله لأن الله تبارك وتعالى لما خلق بني آدم خصوصا أمر أن تمطر عليهم الأحزان ثلاثمائة سنة، بعد ثلاثمائة سنة أمر أن تمطر عليهم الأفراح ساعة واحدة[1] فتجد الدنيا كلا الفرح ساعة واحدة وغالب الزمان أحزان فقط، فلما كان الضحى إشارة إلى الفرح وهو جزء قليل والليل إشارة إلى الحزن وهو معظم الزمان، ذكر الضحى ساعة من النهار فقط ليس النهار كله والليل جميع الليل ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أخبر الحق تبارك وتعالى أن الآخرة خير للنبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا. جلس النبي صلى الله عليه وسلم حزينا فأتاه جبريل وقال له: ربك يقرئك السلام ويقول لك ما بالك حزينا؟ قال: أمتي أمتي[2]، فرجع جبريل وقال: من تعني بأمتك؟ أهل لا إله إلا الله أم غيرهم؟

---

[1] – قال الألوسي: روي أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت عن يساره غمامة فنادت ماذا أمطر؟ فأمرت أن تمطر الغموم والأحزان فأمطرت مائة سنة ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا إلى تمام ثلثمائة سنة ثم أظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء فنادت ماذا أمطر؟ فأمرت أن تمطر السرور ساعة. روح المعاني ج155/30.

[2] – أخرج مسلم في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم "رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية" وقال عيسى عليه السلام "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي) وبكى، فقال الله عز وجل: (يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك)؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: (يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم (301) انفرد به مسلم. تقدم في الدرس 42.

قال: بل أهل لا إله إلا الله. فأمر الله جبريل أن يمشي بالنبي إلى البقيع، فضرب على قبر فخرج رجل وجهه أبيض من القمر وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله في سرور فقال له: نم، وضرب على قبر فقام رجل مسود الوجه وهو يقول: واحسرتا على ما فرطت في جنب الله. قال له هكذا فأنزل الله عليه "وللآخرة خير لك من الأولى" ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ فقال صلى الله عليه وسلم: (إذاً لا أرضى وواحد من أمتي في النار)[1] هو كان يتفكر في أمته والله فرج عليه أنه سيرضيه في أمته ولم يقل وللآخرة خير لهم من الأولى لأن جميع الأمة ليسوا كذلك، والقرآن لا ينطق إلا بالحق ولو قال: وللآخرة خير لبعضهم أو لفلان وفلان أو من صفته كذا وكذا لافتضح الباقون فأسند إلى النبي الذي هو مجمع الأمة «وللآخرة خير لك من الأولى» معروف أن النبي صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، "لك" هذا ليس في محله، إنما هو لأهل السعادة من الأمة ولكن الله ستر الباقين بذكر النبي صلى الله عليه وسلم، كما يحكى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان جدبٌ في زمانه فصلى صلاة الاستسقاء مدة طويلة فلم يُستجب له، فشكا إلى الله تبارك وتعالى: يا رب استسقينا ولم تسقنا، لِم؟ أوحى الله إليه لأن فيكم نماما، ما دام فيكم لا تسقون، قال: يا رب من هو؟ قال: إذا ذكرته لك صرت نماما كمثله، وأنا أبغض فعله حتى أمسك المطر وأفعل كما يفعل[2]؟ لا، ستره الله. وبعد أيام أوحى الله إلى موسى أن النمام مات وجنازته

---

1 ـ قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: "ولسوف يعطيك ربك فترضى" قال: وفي الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار). ج20/ 96

2 ـ أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن نقلا عن كعب الأحبار: أصاب بني إسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا، فقال موسى: إلهي عبادك فأوحى الله إليه إني لا

هاهي موضوعة في باب المسجد، فهرول موسى إلى باب المسجد ليعرف من هو فوجد سبعين جنازة لم يعرف أيهم. سِتر الله الجميل. كذلك هنا «وللآخرة خير لك من الأولى» أي خير لأهل السعادة من أمتك ولكن لو صرح بهذا لافتضح الباقون «ولسوف يعطيك ربك فترضى» قال: (إذاً لا أرضى وواحد من أمتي في النار) فلهذا يقول العلماء إن أرجى آية في القرآن "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا" وأهل البيت يقولون إن أرجى آية في القرآن "ولسوف يعطيك ربك فترضى"[1] لأن النبي لا يرضى وأحد من أمته يدخل النار ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك ﴿فَآوَى﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ﴾ عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ هداك إليها ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾ فقيرا ﴿فَأَغْنَى﴾ أغناك بمال خديجة أولا ثم بمال أبي بكر لما ضعف مال خديجة، ثم بالغنائم بعدما ضعف مال أبي بكر ﴿فَأَمَّا

أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيهم رجلا نماما قد أصر على النميمة، فقال موسى: يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى أنهاك عن النميمة وأكون نماما؟ قال: فتابوا بأجمعهم فسقوا. تفسير القرطبي ج239/20.

1 – عن حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: جعلت فداك أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها بالعراق أحق هي؟ قال: شفاعة ماذا؟ قلت: شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: حق والله إي والله لحدثني عمي محمد بن علي ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول: أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم رضيت) ثم أقبل علي فقال: إنكم تقولون يا معشر العراق إن أرجى آية في كتاب الله: "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" قلت إنا لنقول ذلك، قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: "ولسوف يعطيك ربك فترضى) وهي الشفاعة. رواه ابن مردويه. كنز العمال: حرف القاف، كتاب القيامة/ تتمة الشفاعة (39758 مسند علي). تقدم في الدروس 12،42 و43

الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾ نزل في المصطفى صلى الله عليه وسلم كان عنده يتيم يقال له حارث ابن لخديجة زوجته من أبي هالة فزجره المصطفى فعوتب "فأما اليتيم فلا تقهر» ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ لا تزجر السائل لفقره. يحكى أن عثمان رضي الله عنه مر بالسوق ورأى عنقودا من التمر أعجبه لا يحبه إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، فاشتراه وحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدخل سائل وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه له النبي صلى الله عليه وسلم، فلما خرج أدركه عثمان وقال له: أنت ثمنه خير لك أعطيك ثمنه وترده إِلَيَّ وأعطيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فباعه المسكين لعثمان فرجع به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع السائل وطلبه من النبي أيضا فدفعه له النبي صلى الله عليه وسلم، فاشتراه عثمان ثانيا وثالثا، في المرة الثالثة رجع المسكين وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي: أسائل أم تاجر؟ فعوتب «وأما السائل فلا تنهر»[1] لا تزجر السائل ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ﴾ أخبرْ، التحدث بالنعم شكر. ذكر في هذه السورة أن النبي كان يتيما فآواه الله بعمه أبي طالب، سخر الله قلب أبي طالب فأحب النبي من المحبة ما لو كان أبوه حيا ما بلغ ذلك المبلغ، ورأى أبو طالب عجائب كثيرة للمصطفى صلى الله عليه وسلم في صغره، «ووجدك ضالا» أي ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة ليس معناه كافرا، فالنبي ما كان كافرا قط. ولد كامل الإيمان مفتوحا عليه ولكن ما عرف الشريعة إلا بعد نزول القرآن،

1 – ذكره الألوسي في تفسير روح المعاني: قيل إن عثمان أهدى إليه صلى الله تعالى عليه وسلم عنقود عنب، وقيل عذق تمر، فجاء سائل فأعطاه، ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه إليه عليه الصلاة والسلام ثانيا، ثم عاد السائل فأعطيه، وهكذا ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلامُ ملاطفا لا غضبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر؟ فتأخر الوحي أياما فاستوحش فنزلت. روح المعاني ج157/30.

أو ضالا في الفلاة، النبي صلى الله عليه وسلم في صغره ضل في الفلاة فركبت قريش كلهم يتطلبونه في جميع النواحي فوجده عدوه أبو جهل جالسا في واد. قال له: يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد. قال: أين تسكن؟ قال: الحرم. قال: تحب اللات والعزى والجبت والطاغوت؟ قال: لا، هذه أبغض الأشياء إلي. قال: ما تحب؟ قال: الله وحده. فحمله على ناقته وضع المصطفى وراء ظهره فامتنعت الناقة من القيام فضربها، فتكلمت الناقة: كيف أسير والإمام خلف؟ الإمام يكون أمام[1]. هذا أبو جهل عدو الله قص هذه القصة مع ذلك لم يؤمن "من يهدي الله فهو المهتدي" فوضع النبي أمامه فقامت الناقة مهرولة، قيل إن هذا الضلال يعني ذلك كونه ضل في الفلاة لا أنه ضال يعني كافرا، لا هذا ما سبق له قط.

1 - روي عن ابن عباس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضل وهو صغير عن جده في شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده لجده وهو متعلق بأستار الكعبة يتضرع إلى الله تعالى في أن يرد إليه محمدا، وذكر له أنه لما رآه أناخ الناقة وأركبه من خلفه فأبت أن تقوم فأركبه أمامه فقامت فكانت الناقة تقول يا أحمق هو الإمام فكيف يقوم خلف المقتدي. روح المعاني ج153/30.

سورة الشرح

مكية ثمان آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أي شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾ بأن غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴿الَّذِي أَنقَضَ﴾ أثقل ﴿ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فلهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لن يغلب يسرين عسر واحد)[1] العسر ذكر في الآية مرتين بالتعريف فكان تكرارا عسر واحد، أما اليسر ذكر مرتين بالتنكير فكل يسر غير الآخر. فلهذا قال: (لن يغلب يسرين عسر واحد) ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ اتعب في الدعاء أو

---

1 – قال الحاكم في مستدركه: قد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب: «لن يغلب عسر يسرين». وقد روي بإسناد مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم، أخبرناه محمد بن علي الصنعاني ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن أيوب، عن الحسن في قول الله عز وجل: "إن مع العسر يسرا"، قال: خرج النبي يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول: (لن يغلب عسر يسرين إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا). مستدرك الحاكم: كتاب تفسير القرآن/ تفسير سورة "ألم نشرح" (3998).

اتعب في العمل، إن الله يكره العبد البطال[1]. إذا فرغت من العبادة فانتصب للعمل للدنيا. ليس بأفضلكم من يعمل للدنيا دون الآخرة ومن يعمل للآخرة دون الدنيا حتى يعمل لهما معا، يقولون: اعمل لدنياك كأنك تخلد فيها واعمل للآخرة كأنك تموت غدا، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ تضرع إلى الله تبارك وتعالى.

سورة التين

مكية ثمان آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالتِّينِ﴾ أقسم الجليل بالتين مأكول ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ كذلك مأكول، أو التين والزيتون جبلان بالشام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ طور سينين الجبل الذي كلم الله تعالى فيه موسى. الزيتون جبل في المقدس، محل سكن عيسى في القدس فوق جبل الزيتون. وطور سينين الطور الذي كلم الله موسى عليه ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة. أقسم بالزيتون محل عيسى وطور سينين محل موسى والبلد الأمين مكة. هذا تفسير لآية في التوراة. في التوراة جاء الله من طور سينين إلى الزيتون إلى فاران، فاران معناه مكة[2]. يعني موسى وعيسى ومحمد صلى الله

1 – إن الله يكره الرجل البطال. أخرجه الزيلعي في كشف الخفاء: حرف الهمزة مع النون(763).

2 – قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ساعير: في التوراة اسم لجبال فلسطين، نذكره في فاران، وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا، وذكره في التوراة: جاء من سينا؛ يريد مناجاته لموسى على طور سينا، وأشرق من ساعير: إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم عليه السلام من الناصرة، واستعلن من جبال فاران: وهي جبال الحجاز، يريد النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا في الجزء العاشر في السفر الخامس من التوراة، والله أعلم. معجم البلدان/ ترجمة ساعير. وفيه أيضا: فاران: بعد الألف راء،

عليه وسلم خلفاء الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ خلق الله الإنسان في أحسن تقويم تعديل لصورته. أحسن ما خلق الله الإنسان. أقسم رجل أن زوجته طالق إن لم تكن أجمل من القمر، فأفتى العلماء بطلاقها. فلما سمع الشافعي أو أحد أصحاب أبي حنيفة بذلك قال إن الزوجة حلال، الله تبارك وتعالى يقول "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" إذاً الإنسان أحسن من القمر[1] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال كناية عن الهرم والضعف ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع. وفي الحديث إذا

وآخره نون، كلمة عبرانية معربة: وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة، وفي التوراة: جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران؛ مجيئه من سيناء تكليمه لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير وهي جبال فلسطين هو إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام، واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: وفاران جبال مكة. معجم البلدان/ ترجمة فاران. وقد تقدم في الدرسين 13 و35.

1 - قال القرطبي: أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما: أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر، فنهضت واحتجبت عنه، وقالت: طلقتني، وبات بليلة عظيمة، فلما أصبح غدا إلى دار المنصور فأخبره الخبر، وأظهر للمنصور جزعا عظيما، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طلقت، إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة فإنه كان ساكتا، فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟ فقال له الرجل: بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم يا أمير المؤمنين فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه. فقال المنصور لعيسى بن موسى: الأمر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل أن أطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك. تفسير القرطبي ج114/20.

بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل[1]. إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم. خلق آدم على صورته[2]، الإنسان إذا نظرت في صورته تجده محمدا. الرأس ميم والمنكبان حاء والبطن ميم والرجلان دال. إذاً خلق الإنسان على صورة محمد، وقد خرج روح الإنسان من حضرة القدس، فالروح من حضرة القدس والجسم صورة محمد، هذا أحسن تقويم. فإذا كفر بالله واتبع شهواته حتى لم يعد له شغل إلا بطنه وفرجه، خرج من الإنسانية وصار بهيمة "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل" وهذا الإنسان شر من البهيمة، وإذا تتبع الافتراس والقتل وسفك الدماء يصير من جنس السباع، خرج من الإنسانية وصار سبعا، وهو شر من سبع، وإذا تتبع المكر والخديعة والخيانة، خرج من الإنسانية ولحق بالشياطين، وهذا الإنسان شر من الشيطان، وإذا توجه نحو عبادة الله تبارك وتعالى بالذكر والمعرفة وصفاء الحال خرج من الإنسانية إلى الملَكية، وهذا خير من الملائكة، فلهذا سيأتي قريبا أن الإنسان شر البريئة وأنه خير البريئة. خلق في أحسن تقويم إذا غلب عليه ذكر الله ومعرفة الله وعبادة الله حتى لحق بالملائكة فهو في

---

1 - جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة (2996).

2 - هذا طرف من حديث أخرجه الشيخان ولفظه: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن). صحيح البخاري: كتاب الاستئذان/ باب بدء السلام(6227) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (5075). وقد تقدم في الدروس 13 و23 و44.

أحسن تقويم، وإذا رجع حيوانا بهيمة أو سبعا أو شيطانا رجع إلى أسفل سافلين، هذا لا يقع للذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلهذا استثناهم الله تبارك وتعالى ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ هو أقضى القاضين؟ بلى. الإنسان إذا كان شابا قويا ينبغي له أن يعمل أحسن الأعمال فإذا صار مريضا يكتب الله له ما كان يعمل شابا قويا، فإذا هرم وبلغ ستين سنة كتب الله له أفضل ما كان يعمل. إذا كان شابا وقال أنا صبي فقط، اشتغل باللعب والشهوات حتى هرم، متى يجد خيرا؟ الأحسن أن يعمل خير الأعمال في قوة الشباب، فإذا بلغ ستين سنة وصلى جالسا كتب له ثواب من صلى قائما، وإذا كان مسافرا وتعب وصلى قاعدا كتب له ثواب من صلى قائما، وإذا مرض كذلك، هذا له أجر غير ممنون إن الله لا ينقص من عمله شيئا.

سورة العلق

مكية عشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ﴾ أول سورة نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم بغار حراء نزل جبريل - كما تقدم - وصار يقول له اقرأ، فيمتنع ويقول ما أنا بقارئ لست من أهل القراءة حتى سأله: ما أقرأ؟ اقرأ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ اقرأ حال كونك مبتدئا «باسم ربك الذي خلق» الخلائق. قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ ﴿اقْرَأْ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي لا يوازيه كريم ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾

الخط ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأول من خط به إدريس عليه الصلاة والسلام[1] ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها ﴿كَلَّا﴾ حقا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ نزلت في أبي جهل بن هشام. لما نزلت اقرأ وصار النبي يقرأ ويصلي أقسم أن النبي لا يقرأ بمكة أبدا ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ لأنه رأى نفسه كثير المال فطغى فلما دنا من النبي فر منه، فقيل له: ما صدك عنه؟ قال: رأيت ثعبانين وعنق بعير توجه إلي، علمت أني إذا دنوت منه أكلني[2] ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ الرجوع ﴿أَرَأَيْتَ﴾ ألا تتعجب ﴿الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِذَا صَلَّى﴾ أبو جهل ينهى المصطفى عن الصلاة ﴿إِن كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن كَذَّبَ﴾ هو أبو جهل ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان ﴿أَلَمْ

---

1 – ورد في حديث أبي ذر أخرجه ابن حبان في صحيحه: باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها (360). تقدم في هذا الدرس.

2 – في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، قال فأنزل الله عز وجل لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى" يعني أبا جهل "ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه". صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب قوله "إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى" (5005).

يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ما صدر منه ﴿كَلاَّ﴾ ردع له ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ قسم إن لم ينكفّ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنجره بناصيته إلى النار وهو حي ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وصفها بذلك مجازا والمراد صاحبها ﴿فَلْيَدْعُ﴾ فقال ليفعل محمد كل ما شاء ولكن القراءة لا تكون بمكة أبدا، أنا أكثر أهل مكة شبانا لأملأن الوادي من الشبيبة ليردوا محمدا عن القراءة قال تعالى «فَلْيَدْعُ» ﴿نَادِيَهُ﴾ أهل ناديه أي شبانه الذين توعد بهم ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو دنا لأخذته الزبانية عيانا[1] ﴿كَلاَّ﴾ ردع ﴿لاَ تُطِعْهُ﴾ يا محمد ﴿وَاسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ منه بطاعته فلهذا انكف عدو الله و لم يزل له مقالات وأفعال مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى أخذ ببدر وقتل بالسيف.

سورة القدر

مكية خمس أو ست آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ إنا أنزلناه القرآن أي جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا من العرش إلى السماء الدنيا «في ليلة القدر» ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب منه ﴿لَيْلَةُ

1 - في صحيح البخاري عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي فقال لو فعله لأخذته الملائكة. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة (4958).

﴿الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ألف شهر ليس فيها ليلة القدر خير منها ليلة القدر، ثلاث وثمانون سنة وثلث سنة. أعطى الله أمة محمد هذه الليلة تداركا لقصر أعمارهم لأن الأمم قبلنا يعيش شخص تسعمائة سنة، ثمانمائة سنة، وهؤلاء أعمارهم ما بين الستين إلى السبعين غالبا فأعطاهم الله ليلة القدر ثلاث وثمانون سنة ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبريل ﴿فِيهَا﴾ في تلك الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله ﴿سَلاَمٌ هِيَ﴾ ليلة القدر ليلة سلام ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هي في كل رمضان وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (التمسوها في العشر الأواخر في تاسعة تبقى يعني ليلة إحدى وعشرين، في سابعة تبقى ليلة ثلاث وعشرين، في خامسة تبقى)[1] ليلة خمس وعشرين، ومنهم من يقول إنها ليلة سبع وعشرين، استنبط ابن عباس ذلك من كلمة "ليلة القدر" ثلاث مرات في السورة، ليلة القدر تسعة حروف، تسعة حروف ثلاث مرات سبع وعشرون قال إن ليلة القدر توافق ليلة سبع وعشرين[2]، وقيل تنتقل ولكن على كل حال كل عام تكون في رمضان، في الأخير من رمضان، في الأوتار منه، خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبر الناس بليلة القدر فتلاحى رجلان تخاصما فرفعت فقال جئت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فرفعت وعسى أن تكون خيرا لكم ولكن التمسوها في

---

1 - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى). صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح/ باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (2021).

2 - روح البيان ج481/10.

الأوتار من العشر الأواخر من رمضان[1] وقد رأيتني صبيحتها أسجد في ماء وطين. فوكفت السماء تلك الليلة وصار الماء في المسجد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح في الماء والطين. قال الراوي ولقد رأيته وإن جبهته وأنفه لممتلئ طينا وماء ليلة إحدى وعشرين[2]. وهي تنتقل وقيل توافق دائما ليلة الجمعة، إذا هذه الأوتار ما وافق الجمعة منها فله احتمال قوي أقوى من غيره إن كانت لا تكون إلا في الجمعة.

1 - أخرجه البخاري في الصحيح عن عبادة بن الصامت قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: (خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة). صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس (2023).

2 - في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في رمضان العشر التي في وسط الشهر فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ثم قال: (كنت أجاور هذه العشر ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر فمن كان اعتكف معي فليثبت في معتكفه وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر وقد رأيتني أسجد في ماء وطين) فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إحدى وعشرين فبصرتْ عينِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ونظرتُ إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طينا وماء. صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح/ باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (2018). صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها (1993).

سورة البينة

مدنية تسع آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ «الذين كفروا» هم اليهود «والمشركين» عبدة الأصنام لا يزالون على ما هم عليه حتى تأتيهم الحجة الواضحة هي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾ مستقيمة ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ القرآن ﴿وَمَا أُمِرُواْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ﴾ يعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَاءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد ﴿وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ دين الملة القيمة المستقيمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرا خلودهم فيها ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيئَةِ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيئَةِ﴾ الخليقة ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

سورة الزلزلة

مدنية ثمان آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حركت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكها الشديد ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كنوزها ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا لَهَا﴾ إنكار لتلك الحالة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم ﴿تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ تخبر الأرض بكل ما صنع عليها ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ لأن الله أمرها بذلك. لذلك في الحديث (تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها[1] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ ينصرفون ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين فآخذ ذات اليمين وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاءهم من الجنة والنار ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يرى ثوابه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يرى جزاءه.

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية "يومئذ تحدث أخبارها" قال: (أتدرون ما أخبارها) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها). سنن الترمذي: كتاب التفسير/ باب ومن سورة إذا زلزلت (3276).

سورة العاديات

مكية إحدى عشرة آية

الله أكبر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عدت ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ الخيل توري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ الخيل تغير ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ بمكان عدوهن أو بذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾ غبارا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدو أي سرن وسط العدو ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ لكنود بربه كفور بنعمته تبارك وتعالى ﴿وَإِنَّهُ﴾ الله ﴿عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ لشهيد على ذلك أو إنه الإنسان لشهيد على نفسه بذلك يشهد على نفسه بصنعه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وإنه لشديد الحب «لحب الخير» المال ﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأُخرج ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ من الموتى بعثوا ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ فيجازيهم على كفرهم وإيمانهم.

سورة القارعة

مكية ثمان آيات

الله أكبر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْقَارِعَةُ﴾ القيامة تقرع القلوب بأهوالها ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ لعظم شأنها ﴿يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ مسكنه النار ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ ما هي هذه النار ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة.

سورة التكاثر

مكية ثمان آيات

الله أكبر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْهَاكُمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متّم فدُفنتم، كانوا يتفاخرون حتى عدوا الرجال الذين في القبور[1] ﴿كَلاَّ﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلاَّ﴾ حقا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علما يقينا ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ قسم سترون الجحيم عيانا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ سترون الجحيم يقينا عينا ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ لتسألن عن النعيم يوم رؤية الجحيم. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يقول الله للعبد ألم أصح جسمك ألم أسقك

1 - أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بريدة قال: نزلت "ألهاكم التكاثر" في قبيلتين من الأنصار وهما بنو حارثة وبنو الحرث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما أفيكم مثل فلان وفلان؟ وقالت الأخرى مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول: أفيكم مثل فلان وتشير إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك. فأنزل الله هذه السورة. عن المراغي في تفسيره ج229/30.

من الماء البارد؟[1] يقول الإنسان: مالي مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت[2].

سورة العصر

مكية ثلاث آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ﴾ قسم بصلاة العصر أو بزمن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ جواب القسم ﴿لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾.

سورة الهمزة

مكية تسع آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ عياب للناس ﴿لُمَزَةٍ﴾ الهمزة الهمز باللسان واللمزة الغمز بالعين ونزلت في أمية بن

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب سورة ألهاكم (3281).

2 - في صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال: (يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت). صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ (5258).

خلف والوليد بن المغيرة[1] ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ عدّ ماله فوجده كثيرا أو أعده للحوادث ﴿يَحْسبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فظن أنه يخلد في الدنيا لكثرة ماله ﴿كَلاَّ﴾ ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التي تحطم ما ألقي فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسعرة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ القلوب فتحرقها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوصَدَةٌ﴾ إنها موصدة مغلقة عليهم ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ فتكون داخل العمد.

سورة الفيل

مكية خمس آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ نزلت في قصة أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء كنيسة ليصرف الحج إليها عن مكة فتغوط رجل من بني كنانة ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا للكنيسة فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم طيرا أبابيل فهلكوا قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين يوما[2] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أبرهة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ جعل ﴿كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ هدم الكعبة ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ في جهنم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كزرع أكلته الدواب وداسته وأفنته.

---

1 – ذكره المراغي في تفسيره ج236/30.

2 – ذكره القرطبي في تفسيره ج194/20.

سورة قريش

مكية أربع أو خمس آيات

الله أكبر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ الكعبة ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ من أجل جوعهم ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ فعل ذلك «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ» عادة قريش «رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام. أهل مكة هم قريش جيران البيت واد غير ذي زرع لا ينبت في مكة أي نبات فكانوا يجوعون دائما وكان عادة قريش إذا جاع أحد ولم يجد شيئا اعتزل الناس وحبس نفسه حتى يموت فقام هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم: بيست العادة عادتكم، قوموا فتخيروا رجالا إذا جاء وقت الشتاء يخرجون إلى اليمن ويطلبون الميرة، وإذا جاء وقت الصيف خرجوا إلى الشام ويطلبون الميرة، فأمنوا من الجوع بحيلة هاشم جد المصطفى صلى الله عليه وسلم[1]. فلما أطعمهم الله من جوع وأمنهم من خوف أمرهم الله أن يعبدوا رب هذا البيت الذي فعل لهم هذا، وكل هذا فعله لقريش،

---

1 - جاء في الدر المنثور: أخرج ابن الزبير بن بكار في الموفقيات عن عمر بن عبد العزيز قال: كانت قريش في الجاهلية تحتفد وكان احتفادها أن أهل البيت منه كانوا إذا سافت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلى براز من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بخلتهم حتى نشأ هاشم بن عبد مناف، فلما نبل وعظم قدره في قومه قال: يا معشر قريش إن العز مع الكثرة، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالا وأعزهم نفرا، وإن هذا الاحتفاد قد أتى على كثير منكم وقد رأيت رأيا قالوا: رأيك راشد فمرنا نأتمر، قال: رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم، فأعمد إلى رجل غني فأضم إليه فقير عياله بعدد عياله، فيكون يوازره في الرحلتين، رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله وكان ذلك قطعا للاحتفاد. الدر المنثور ج636/8.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لولا أن أخشى أن يتكبروا لأخبرهم بفضلهم[1].
قريش اسم دابة في البحر[2] هي أقوى دابة في البحر تتعرض للسفن وتغرقها ولو بلغت ما بلغت من الكبر - والتصغير تصغير تعظيم - إذا توجهت لسفينة لا يمنعها من الغرق إلا إذا أرسلوا لها ضوء من النار فيصدها عنهم، وأما سفينة صادفتها فإلى الغرق فقط، وكما تأكل الدواب وتأكل السفن كذلك قريش في القبائل فسموا أنفسهم قريشا.

سورة الماعون

مكية وآياتها سبع

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نزلت هذه السورة في العاص بن وائل أو أمية بن خلف أو أبي جهل بن هشام ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ الجزاء ﴿فَذَلِكَ الَّذِي

---

1 - روى أحمد في مسنده عن محمد بن إبراهيم أن قتادة بن النعمان الظفري وقع بقريش فكأنه نال منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قتادة لا تسبن قريشا فلعلك أن ترى منهم رجالا تزدري عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتهم بالذي لهم عند الله عز وجل). مسند أحمد: مسند القبائل (25905).

2 - في دلائل النبوءة للبيهقي ج1/ 140 عن أبي ريحانة العامري أن معاوية قال لابن عباس فلمَ سميت قريش قريشا؟ قال لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته. قال فأنشدني في ذلك شيئا قالوه شعر الجمحي فأنشد يقول:

وقريش هي التي تسكن البحـــــــــر بها سميت قريش قريشـــا
تأكل الغث والسمين ولا تتـــــــــــرك منها لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلا كميشـــا
ولهم آخر الزمــــــان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

﴿يَدُعُّ﴾ يدفع ﴿الْيَتِيمَ﴾ بعنف ﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لبخله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الذين يتركون الصلاة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون عن الصلاة ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ حق الله في أموالهم.

سورة الكوثر

مكية ثلاث آيات

الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم نزلت يوم العيد في المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم توفي ولده عبد الله، والرسول صلى الله عليه وسلم له سبعة أولاد أربع بنات زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة سيدتهن وثلاثة ذكور القاسم وعبد الله وإبراهيم. القاسم هو الكبير عبد الله هو الطيب وهو الطاهر من لم يتبحر في السيرة يجعلهما ولدين فيقول إن المصطفى له ثمانية أولاد ولكن الطيب هو الطاهر كلاهما لقب لعبد الله لأنه هو المولود بعد النبوة فسموه طيبا وسموه طاهرا. لهذا لما كان لا نبي بعده فأولاده الذكور ماتوا في الصغر جميعا لأنه خاتم النبيئين ولو عاش أولاده لكانوا أنبياء ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم. فلما مات عبد الله يوم النحر قال أبو جهل أو أمية بن خلف أو الوليد بن المغيرة إن محمدا هذا مبتور من كل خير، كل ولد ذكر رجاه يموت فقط، هذا لا يرجو خيرا فحزن المصطفى

صلى الله عليه وسلم لهذا فنزلت عليه هذه السورة[1]. وهذه السورة كالتتمة لما قبلها والمقدمة لما بعدها. ذكر صورة للعدو المنافق الكافر الذي مضى في سورة الماعون وصفه بثلاثة أوصاف: البخل، وترك الصلاة، ومنع حق الله في ماله. والنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الكوثر: العطاء الكثير، وأمره بالصلاة ضد ذلك، وأمره بالنحر، أي هو له الخير الكثير فليعط كثيرا لا يكن كالرجل البخيل، وليصل لربه لا يكن كالرجل الذي ترك الصلاة، ولينحر يتصدق بلحم الأضاحي لا يبخل لا يمنع حق الله في ماله. وقد تقدم من سورة الضحى إلى هنا كل سورة أكرم الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث كرامات في والضحى أقسم الله تبارك وتعالى أنه ما ودعه وما قلاه والآخرة خير له من الأولى هذه ثلاث كرامات، وفي آخر السورة "ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى" هذه ثلاث كرامات أيضا. وفي سورة الشرح "ألم نشرح لك صدرك" شرح له صدره "ووضعنا عنك وزرك" وضع عنه وزره، ورفع له ذكره، ثلاث كرامات. وفي سورة اقرأ أعطاه القرآن وقهر عدوه وناداه للسجود والقرب من الله "فاسجد واقترب". وفي سورة القدر أعطاه ثلاث كرامات: أعطاه ليلة القدر "ليلة القدر

---

1 - في الدلائل ج1/ 340: أنبأنا أبو عبد الله قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد قال حدثنا يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر عن محمد بن علي قال: كان القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص لقد أصبح محمد أبتر من ابنه فأنزل الله عز وجل "إنا أعطيناك الكوثر" عوضا يا محمد عن مصيبتك في القاسم "فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر" كذا روي بهذا الإسناد وهو ضعيف والمشهور أن الآية في أبيه [العاص] فيما أنبأنا أبو عبد الله الحافظ قال أنبأنا عبد الرحمن بن الحسن القاضي قال حدثنا إبراهيم بن الحسين قال حدثنا آدم قال حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله "إن شانئك هو الأبتر" قال نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه قال: أنا شانئ محمد قال الله من يشنؤه من الناس هو الأبتر.

خير من ألف شهر" لأن ليلة القدر فيها ثلاث كرامات: تنزل الملائكة والروح فيها، و"سلام هي حتى مطلع الفجر". وفي سورة "لم يكن" أعطاه ثلاث كرامات: جعل عدوه شر البرية الذين هم اليهود، وجعل أمته خير البرية، وأعطاهم الجنة والرضوان. وفي سورة الزلزلة أخبر أن الأرض تشهد لأمته صلى الله عليه وسلم بما قاموا به من أعمال الخير وأهم سيتفرقون من المحشر ويرون أعمالهم ويفرحون بذلك وأن مثقال ذرة من خير عملوه يرونه، ثلاث كرامات. وأقسم بالعاديات خيل النبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بثلاثة أوصاف "والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا" وذكر في سورة القارعة أن أمته في عيشة راضية وأن موازينهم ثقيلة وأن أعداءهم في نار حامية، وفي سورة التكاثر: قال إن عدوه سيرون الجحيم، يروها عين اليقين، ثم ليسألن عن النعيم. وفي سورة العصر: كل الناس في خسر إلا أمته وصفهم بثلاثة أوصاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر. وفي سورة الهُمزة: وصف عدوه بثلاثة أوصاف ذميمة أن عدوه لا يخلد، وأنه سيدخل الحطمة، وستوصد عليه، وأهلك عدوه الذي تعرض لمكة بثلاثة أنواع جعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. وفي سورة الماعون جعل عدوه بخيلا يمنع طعام اليتيم، وتاركا للصلاة، وتاركا لحق الله في ماله. لما أكرمه بثلاث كرامات في كل سورة من هذه السور خاطبه "إنا أعطيناك الكوثر" أعطيناك شيئا كثيرا ما هو الكوثر؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنه حوض في الجنة من شرب منه لا يظمأ أبدا، وأول من يشرب منه فقراء هذه الأمة من المؤمنين الدنس

ثيابا الذين لم يتزوجوا بالمنعمات. فلما سمع عمر بن عبد العزيز بهذا الحديث جعل ثوبه الذي يلي جسده وسخا دائما لا يغسله ليدخل في هذا[1]. والكوثر هذا الحوض أو الكوثر الخير الكثير، المبالغة في الخير هو الكوثر الخير الكثير البالغ لأقصى حد هو الكوثر[2]. ما هو هذا الكوثر؟ قيل القرآن "ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" وقيل الإسلام الذي عم العالم كلا، وقيل أولاده صلى الله عليه وسلم ذريته وهذا أنسب لسبب النزول لأنه مات ولده فعيروه بفقدان الأولاد فأعطاه الله أولادا كثيرين، لم يترك إلا أولاده من فاطمة بنت الرسول، ولا تحل بقعة في العالم إلا ووجدت شريفا منتسبا إليه صلى الله عليه وسلم. أعطاه خيرا كثيرا وكلهم مباركون، أو الخير الكثير أتباعه صلى الله عليه وسلم كل من اتبعه في دينه وهم

---

1 – أخرج الترمذي وابن ماجه واللفظ له عن أبي سلام الحبشي قال بعث إلي عمر بن عبد العزيز فأتيته على بريد، فلما قدمت عليه قال: لقد شققنا عليك يا أبا سلام في مركبك، قال: أجل والله يا أمير المؤمنين، قال: والله ما أردت المشقة عليك ولكن حديث بلغني أنك تحدث به عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحوض، فأحببت أن تشافهني به، قال: فقلت: حدثني ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأول من يرده علي فقراء المهاجرين الدنس ثيابا والشعث رءوسا الذين لا ينكحون المنعمات ولا يفتح لهم السدد) قال فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ثم قال: لكني قد نكحت المنعمات، وفتحت لي السدد، لا جرم أني لا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ، ولا أدهن رأسي حتى يشعث. سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الحوض (4293)، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2368).

2 – عن ابن عباس رضي الله عنه قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه . صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر (6578).

أكثر عدد يتبع نبيا. قال تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة[1] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: بينا نحن في القيامة إذ طلع جماعة كبيرة سدت الأفق فيتطاول الأنبياء كلهم يرجو أن تكون أمته، إبراهيم الخليل، موسى الكليم كلهم يطمع في هذا فرأيتهم غرا محجلين قلت: أمتي ورب الكعبة فإذا هم أمتي فدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب، ثم طلعت جماعة ثلاثة أضعاف الجماعة الأولى فتطلع الأنبياء كلهم يطمع أن تكون أمته فإذا هم أمتي، قلت أمتي غر محجلون أمتي ورب الكعبة فدخلوا الجنة بلا حساب، فطلعت فرقة ثالثة ثلاثة أضعاف ما قبلها قال: أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا نعم، قال: ثلثي أهل الجنة، الذين يدخلون الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه الأمة المحمدية[2]، فالخير الكثير أتباع محمد

---

1 – جاء في الجامع الصغير للسيوطي ج1/ رقم 3366 : (تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة) لعبد الرزاق في الجامع عن سعيد بن أبي هلال مرسلا. وأخرج أبو داود في سننه عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) سنن أبي داود: كتاب النكاح/ باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (1754) ومثله للحاكم في مستدركه: كتاب النكاح/ باب تزوجوا الودود الولود (2727).

2 – عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: لا رقية إلا من عين أو حمة فذكرته لسعيد بن جبير فقال حدثنا ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا أمتي هذه قيل بل هذا موسى وقومه قيل انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق ثم قيل لي انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب) ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال: (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أمنهم أنا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال سبقك بها

الذين دخلوا الجنة بسببه صلى الله عليه وسلم، أو الخير الكثير نبوته صلى الله عليه وسلم والمعجزات التي أعطاها الله له صلى الله عليه وسلم، فإن الله أعطاه القرآن بعدما كان آدم أول من نزلت عليه الكتب، كتب آدم ما هي؟ كلمات فقط: "فتلقى آدم من ربه كلمات" كتب إبراهيم التي ذكرنا آنفا كلمات فقط "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات" كتب موسى ما هي؟ صحف فقط صحف كهذه الجرائد "صحف إبراهيم وموسى" وكتاب محمد صلى الله عليه وسلم كتاب مهيمن على جميع الكتب، استغرق جميع ما أنزل الله من كتب، وكل ما عند الأنبياء من المعجزات فعند محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأكثر منه. كان لنوح سفينته نجته من الغرق هو وأتباعه. كان محمد يوما حول نهر في جانبه عكرمة بن أبي جهل قبل إسلامه فقال له: أسلم. قال: حتى يأتيك ذلك الحجر الذي وراء النهر. فقال الرسول: يا حجر فلبى قال: آتني، فغاص في الماء ولم يغرق حتى وصل إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: ما تشهد لي؟ قال: أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيئين. فقال لعكرمة: ما يكفيك هذا؟ قال: حتى يرجع لمحله فرجع إلى محله واستقر فيه. هذا أغرب من سفينة نوح. ونار إبراهيم، احترق صبي حتى عم الحرق جميع جسده فتفل عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فصار كأن لم

عكاشة). صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (5705)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (323).

وعن محمد بن زياد الألهاني قال سمعت أبا أمامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثياته. سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2361) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد / باب صفة أمة محمد (4276).

يحرق. نار إبرهيم "بردا وسلاما" قبل أن تمسه ولكن هذا احترق بالماضي ورجع كأنه لم يحرق. هذا أغرب من نار إبراهيم، وفلق البحر لموسى ولمحمد صلى الله عليه وسلم شق القمر فوق سبع سماوات، وداود لين له الحديد وكان يسبح له الجبال والدواب، ومحمد صلى الله عليه وسلم أخذ قبضة من الحصباء فسبحت في يديه حتى سمع الناس كلا تسبيحها ووضعها في يد أبي بكر فسبحت وفي يد عمر فسبحت هذا أغرب من تسبيح الجبال مع داود. وسليمان سخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، والمصطفى صلى الله عليه وسلم أتاه البراق وتجاوز سبع طباق في أقل من ثانية. فلهذا خاطبه الله تبارك وتعالى بقوله: «إنا أعطيناك الكوثر». «إنا أعطيناك» لم يقل إنا آتيناك لأن العطاء تفضل فقط والإيتاء ربما كان تفضلا وربما كان غير تفضل. آتينا داود ومحمد أعطيناه لنعلم أن هذا عطاء ليس في مقابلة أي شيء. والكوثر نهر في الجنة أو خير كثير أعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَانْحَرْ﴾ نسكك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ والعطاء إذا أعطيت إنسانا شيئا وطلبت منه شيئا تيقن أنك لا تسترد عطاءك، إذا وهبت لإنسان ويخاف أنك تأخذ منه العطاء بعد ذلك وكلفته بشيء بعد العطاء يأمن من سلب العطاء كأنه جازاك. ليعرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن عطاءه دائم لا يسلب كلفه «صل لربك وانحر» أعطاه شيئا ولكن كلفه في مقابلة العطاء شيئا ليأمن من السلب.

سورة الكافرون

مكية وآياتها ست

الله أكبر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة[1] قال تعالى: «قل ياأيها الكافرون» ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله ﴿وَلاَ أَنَاْ عَابِدٌ﴾ في المستقبل ﴿مَا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام. هذه السورة تساوي ربع القرآن[2] والحكمة في ذلك أن القرآن أمر ونهي. أمر يتعلق بالقلوب وبالجوارح ونهي يتعلق بالقلوب وبالجوارح وهذه السورة أتت بالمنهي الذي يكون في القلب فصارت ربعا.

---

1 - جاء في الدر المنثور في سبب نزولها: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكر آلهتنا بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله: "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" الآية، الدر المنثور ج9/1.

2 - أخرج الترمذي في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن). سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ ما جاء في إذا زلزلت (2828).

سورة النصر

مدنية وآياتها ثلاث

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ إذا نصر نبيه هو كلفه أن يعادي جميع الخلائق حيث أن موسى ليس له إلا عدو واحد وهو فرعون، وكان في غاية الخوف، ومحمد صلى الله عليه وسلم كلف بالتبرئة من جميع من يعبد غير الله فصار العالم كلا عدوا له. قال: ما لي إذا عاديت جميع هؤلاء فيك؟ قال: نصر الله والفتح. لما عادى جميع الخلائق أتاه نصر الله ﴿وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ إذا فتحت مكة وتفرقوا ما بقوا في مكة لم تحصل نتيجة، ولكن فتح مكة ودخل القوم في الإسلام أفواجا أفواجا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وعده بالنصر وكلفه التسبيح لأن التسبيح في مقابلة النصر، لا ناصر إلا الله فينبغي للعبد أن ينزه هذا الرب، والفتح مقابله الحمد فسبح بحمد ربك. لما وجد الفتح حمد ربه، ولما رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا أفواجا هذا فيه داع لتكبير النفس أو رؤية النفس فأمر بالاستغفار «واستغفره إنه كان توابا».

سورة المسد

مكية خمس آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال لهم إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال أبو لهب عمه: تبا لك ألهذا دعوتنا؟[1] فنزل ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أبو لهب هالك عبر باليدين والمراد جميع أبي لهب ﴿وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ولده ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ تلهب ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أم جميل ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ الشوك والسعدان تلقيه في طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم إذاية له ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ من ليف، تحتطب الشوك وتلقيه في طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم. اللهم صل على سيدنا محمد.

1 - أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت "وأنذر عشيرتك الأقربين" صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: (يا بني فهر يا بني عدي) لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب" صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "وأنذر عشيرتك الأقربين .." (4770) وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب في قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" (307).

الدرس السادس والخمسون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة الإخلاص

مكية أربع آيات

الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قبل أن نتكلم في تفسير هذه السورة نقدم فصولا:

الفصل الأول في فضائل هذه السورة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن[1]. من قرأ الإخلاص ثلاث مرات فكأنما ختم

1 – عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد" يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وكأن الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (7374). وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن) قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن). صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة قل

القرآن. ومعنى ذلك ووجه ذلك والحكمة في ذلك أن القرآن جاء لمعرفة الله تبارك وتعالى، ومعرفة الله في أفعاله وصفاته وذاته و«قل هو الله أحد» تضمنت من معرفة الذات ما لم تتضمن سورة غيرها. فعلى هذا والحضرات الثلاث حضرة الذات وحضرة الصفات وحضرة الأفعال، فهي وفت بالتعريف بحضرة الذات فلهذا ورد أنها تعدل ثلث القرآن[1]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا مع جبريل عليه السلام فأقبل أبو ذر، فقال جبريل: هذا أبو ذر مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو تعرفون أبا ذر؟ قال: هو عندنا أشهر منه عندكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بم نال هذا؟ قال: بصغره في نفسه وكثرة قراءته قل هو الله أحد. وكان رجل يؤم في مسجد قباء كلما صلى بالجماعة قرأ بعد الفاتحة قل هو الله أحد وبعد ذلك يقرأ سورة أخرى. فشكا جماعته منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين لإمامهم إما أن تترك هذه السورة أو تقرأها وحدها. قال: لا أتركها أبدا إن شئتم فقدموا إماما غيري، وأما أنا فلا أترك هذه السورة أبدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولم ذاك؟ قال: إني أحبها يا رسول الله. قال:

هو الله أحد (1344). وجاء في الدر المنثور أخرج العقيلي عن رجاء الغنوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرار فكأنما قرأ القرآن أجمع). الدر المنثور ج678/8.

1 - نقل ابن حجر في فتح الباري عن القرطبي قوله: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد الصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال، وذلك لا يصلح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثلثا اهـ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن/ باب في فضل قل هو الله أحد.

حبك إياها أدخلك الجنة[1]. هذا تقرير. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك فوقع غيم فسأل جبريل ما هذا؟ قال: لكثرة الملائكة الذين ينزلون للصلاة على جنازة معاوية بن معاوية[2] قال: ولم هذا؟ قال: كثيرا ما كان يقرأ قل هو الله

---

1 - أخرج البخاري في ترجمته لباب الجمع بين السورتين في الركعة من كتاب الأذان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنهم كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح ب: "قل هو الله أحد" حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال: (يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة)؟ فقال: إني أحبها فقال: (حبك إياها أدخلك الجنة). وأخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أخبروه أن الله يحبه). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (7375). ومن صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة قل هو الله أحد (1344).

2 - أخرج ابن سعد وابن الضريس والبيهقي في الدلائل والشعب من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس ذات يوم بضياء وشعاع ونور لم نرها قبل ذلك فيما مضى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ضيائها ونورها إذ أتاه جبريل فسأل جبريل: ما للشمس طلعت لها نور وضياء وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى؟ قال: ذاك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه، قال: بم ذاك يا جبريل؟ قال: كان يكثر قل هو الله أحد قائما وقاعدا وماشيا وآناء الليل والنهار، استكثر منها فإنها نسبة ربكم ومن قرأها خمسين مرة رفع الله له خمسين ألف درجة وحط عنه خمسين ألف سيئة وكتب له خمسين ألف

أحد. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوى إلى فراشه واضطجع على جنبه الأيمن وقرأ مائة من قل هو الله أحد، إذا مات ينادي مناد سر بيمينك حتى تدخل الجنة[1]. وورد أن من قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاما[2]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: من قرأها عشر مرات بني له قصر في الجنة، وعشرين قصران في الجنة، وثلاثين ثلاثة قصور، قال عمر: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله. قال: الله أوسع من ذلك[3]. ولها أسماء كثيرة أنهاها المفسرون إلى عشرين، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. من أسمائها الإخلاص والتفريد والتجريد والتوحيد والنجاة لأن من قرأها نجا من عذاب الله تبارك وتعالى، والنسبة لما ورد في سبب النزول قالوا: انسب لنا ربك، فهي نسبة الله تبارك وتعالى،

حسنة، ومن زاد زاد الله له، قال جبريل: فهل لك أن أقبض الأرض فتصلي عليه؟ قال: نعم فصلى عليه. الدر المنثور ج8/672-673. سنن البيهقي الكبرى: باب الصلاة على الميت الغائب بالنية (7061).

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب تبارك وتعالى: يا عبدي ادخل على يمينك الجنة). سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في سورة الإخلاص (2823).

2 - أخرج الدارمي في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة). سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن/ باب في فضل قل هو الله أحد (3303).

3 - أخرج الدارمي حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له بها قصر في الجنة ومن قرأ عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له بها ثلاثة قصور في الجنة) فقال عمر بن الخطاب والله يا رسول الله إذن لتكثرن قصورنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أوسع من ذلك). سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن/ باب في فضل قل هو الله أحد (3295)، وفي مسند أحمد عن معاذ بن أنس: مسند المكيين (15057).

والولاية من دام على قراءتها يكون من أولياء الله تبارك وتعالى، والمعرفة من عرفها كان عارفا بالله، والجمال فهي جمال الله تبارك وتعالى، والنور والمقشقشة أي المبرئة من الشرك والمعوذة لأنها إحدى المعوذات الثلاث، وسورة الأساس لأنها أُسِّست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد أو أساس الدين، والمحضر لأن عند قراءتها تحضر الملائكة، والمذكرة تذكر قارئها الله تبارك وتعالى، وسورة الصمد وسورة براءة، وسورة النور، هذه بعض أسمائها[1]. وهذه السورة نزلت لما

---

1 - جمع الألوسي في روح المعاني لسورة الإخلاص عدة أسماء قال: **سورة الإخلاص** : وسميت بها لما فيها من التوحيد، ولذا سميت أيضا **بالأساس** أصل لسائر أصول الدين، وعن كعب كما قال الحافظ بن رجب أسست السماوات السبع والأرضون السبع على هذه السورة قل هو الله أحد، ورواه الزمخشري عن أبي وأنس مرفوعا ... وتسمى أيضا **سورة قل هو الله أحد** كما هو مشهور يشير إليه الأثر أيضا **والمقشقشة** .. **وسورة التوحيد، وسورة التفريد**، وسورة التجريد، **وسورة النجاة، وسورة الولاية، وسورة المعرفة**، لأن معرفة الله تعالى إنما تتم بمعرفة ما فيها، وفي أثر أن رجلا صلى فقرأها فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذا عبد عرف ربه، وسورة الجمال قيل لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال إن الله جميل يحب الجمال فسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال أحد صمد لم يلد ولم يولد ولا أظن صحة الخبر، **وسورة النسبة** ... وسورة **الصمد**، **وسورة المعوذة** لما أخرج النسائي والبزار وابن مردويه بسند صحيح عن عبد الله بن أنيس قال: إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضع يده على صدري ثم قال: قل، فلم أدر ما أقول، ثم قال: قل هو الله أحد فقلت حتى فرغت منها، ثم قال: قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق فقلت حتى فرغت منها، ثم قال: قل أعوذ برب الناس فقلت حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهم قط، **وسورة المانعة** قيل لما روى ابن عباس أنه تعالى قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرج به أعطيتك سورة الإخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي وهي المانعة تمنع كربات القبر... **وسورة المحضر** قيل لأن الملائكة عليهم السلام تحضر لاستماعها إذا قرئت، **وسورة المنفرة** قيل لأن الشيطان ينفر عند قراءتها، **وسورة البراءة** قيل لما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلا يقرؤها فقال: أما هذا فقد برئ من الشرك، ... **وسورة المذكرة** لأنها تذكر خالص التوحيد، **وسورة النور** قيل لما روي من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن لكل شيء نورا

سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل له قريش شققت جماعتنا وسببت آلهتنا وسفهت عقولنا، الآن إن كنت تريد المال نجمع لك الأموال، وإن كنت تريد زوجة نزوجك ما تختار من النساء، وإن كنت مجنونا داويناك بكل ما نملك، وإن كنت تحب الرئاسة ملكناك علينا. قال: لست بمجنون ولا أريد أموالا ولا امرأة ولا رئاسة، إنما أنا رسول الله أدعوكم إلى عبادة الله وحده. قالوا: نحن عندنا ثلاثمائة وستون صنما وحوائجنا مختلفة إلى الآن لم تقض فكيف إذا لم يكن عندنا إلا إله واحد؟ هذا ما يمكن وقالوا: انسب لنا إلهك الذي تدعونا إليه، أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من أي شيء؟ فنزلت: "ليس كمثله شيء" ونزل "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" ونزل في التعريف بذاته هذه السورة «قل هو الله أحد»[1].

ونور القرآن قل هو الله أحد، **وسورة الإيمان** لأنه لا يتم بدون ما تضمنته من التوحيد، وقد ذكر معظم هذه الأسماء الإمام الرازي وبين وجه التسمية بها. روح المعاني ج30/265-266. وللسيوطي في الدر المنثور روايةً عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كطهارة الصلاة يبدأ بفاتحة الكتاب كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وبنى له مائة قصر في الجنة وكأنما قرأ القرآن ثلاثا وثلاثين مرة وهي براءة من الشرك ومحضرة للملائكة ومنفرة للشياطين ولها دوي حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله إليه وإذا نظر إليه لم يعذبه أبدا. وروي عن كعب قال: إن الله تعالى ذِكْره أسس السموات السبع والأرضين السبع على هذه السورة قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه. الدر المنثور ج8/682-683.

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله "قل هو الله أحد الله الصمد" سنن الترمذي: تفسير القرآن/ سورة الإخلاص (3287)، وللحاكم في مستدركه: كتاب تفسير القرآن/ باب تفسير سورة الإخلاص (4033).

«قُلْ» يا محمد صرَّحَ بقلْ في أول السورة لنعرف أن القرآن جاءه هكذا هو يبلغ لنا القرآن كما ينزل عليه لا ينقص ولا يزيد، حتى كلمة "قل" إن قيل له قل هو الله أحد يقرؤه كما نزل عليه. ومعلوم أن قل يا أيها الكافرون في رأسها قل، وقل هو الله أحد والمعوذتان في رأس كل منها قل. وهذه السورة "تبت يدا أبي لهب" ليس فيها قلْ، وإنا أعطيناك الكوثر وإذا جاء نصر الله كذلك ليس فيها قلْ، لأن في سورة الكوثر تكلموا في جانب النبي صلى الله عليه وسلم عابوه بأنه ليس له ولد، فلما عابوا النبي صلى الله عليه وسلم تكلم الله في الذب عن النبي صلى الله عليه وسلم "إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر" لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد عن نفسه رد الله عنه، ولما دَعَوْا إلى عبادة غير الله تبارك وتعالى أُمِر بأن يقول "قل يا أيها الكافرون". لما تكلموا في النبي أجاب الحق تبارك وتعالى، فإذا تكلموا في الله فالرسول هو الذي يجيب "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد". وأتاه النصر أيضا وليس له فيه تعمل "إذا جاء نصر الله والفتح" وأما "تبت يدا أبي لهب" فإن أبا لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيى الحق تبارك وتعالى أن يأمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسب عمه لهذه القرابة منه، فباشر الحق سب أبي لهب بنفسه "تبت يدا أبي لهب" من غير أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتدخل في ذلك، حتى موسى عليه السلام فرعون ليس أباه حقيقة ولكن رباه، يأمره "فقولا له قولا لينا" فإذاً لا يناسب أن يؤمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يسب عمه، فتكلم الحق، وأيضا هو تكلم في النبي صلى الله عليه وسلم قال له: تبا لك ألهذا دعوتنا؟ فتكلم الحق "تبت يدا أبي لهب" و "قل هو الله أحد" تكلموا في جانب الحق، نسبوا إليه ولدا. السب في حق النبي صلى الله عليه وسلم هو أنه لا ولد عنده، والسب في جانب الحق تبارك

وتعالى أنهم نسبوا إليه ولدا. فالإنسان ناقص بفقدان الولد. والحق تبارك وتعالى كامل بذاته غني بذاته وباق إلى الأبد، إلى أبد الأبد. نحن نفتقر للأولاد لأي شيء؟ لأننا إذا كنا في شيء نحب أن يشاركنا أولادنا فيه، وإذا متنا خلفنا أولادنا يعملون كما كنا نعمل، هذا هو مراد الإنسان في الولد، والله تبارك وتعالى الذي لا يحتاج إلى معين ولا يموت ماله وللولد؟ الولد نقص في جانب الله تبارك وتعالى كما أن فقد الولد نقص في جانب الإنسان. ولما سبوا النبي وقالوا إنه ليس عنده ولد قال الله "إنا أعطيناك الكوثر" ولما سبوا الحق تبارك وتعالى أن عنده ولدا أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرد عن الحق «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد» ﴿قُلْ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿هُوَ﴾ ضمير شأن ﴿اللَّهُ﴾ اسم الجلالة ﴿أَحَدٌ﴾ «قل هو الله أحد» أحد مبالغة في واحد. أحد ليس واحدا فقط، فالعرب يقولون فلان لا يقاومه واحد يصدق أن تقول ولكن يقاومه اثنان أو ثلاثة، وإن قلت فلان لا يقاومه أحد، لا يقال يقاومه اثنان أو ثلاثة. فبهذا العرب لم يستعملوه إلا إذا سبقه نفي إلا هنا أتى من غير سبقية نفي لأن الإثبات قوي، قامت قوة الإثبات مقام النفي، أحد، فذكر «هو»، وذكر «الله» وذكر «أحد»، يشير إلى المقامات الثلاث مقام المقربين «هو» ومقام أصحاب اليمين «الله» ومقام أصحاب الشمال «أحد». العارفون المقربون عند الله تبارك وتعالى لا يغيب الله عن قلوبهم لحظة فهم يتذكرونه دائما فإذا قيل "هو" يكفيهم ذلك من ذكر الله لا ينظرون إلى أنه ضمير بل هو هو،هو حتى تجد بعضهم يذكر يكرر هذا ويقول هو هو. وبعضهم يقول إنه هو الاسم الأعظم. «هو» مقام المقربين، و«الله» مقام أصحاب اليمين، أهل المراتب العموم الذين لا يعلمون الحق تبارك وتعالى حقيقة المعرفة يحتاجون لأن يقال هو الله ولكن عندما سمعوا الله تذكروا، وأما أصحاب

الشمال فينكرون وجود الله تبارك وتعالى ويقبلون تعدد الآلهة فاحتاجوا إلى أن يقال لهم صريحا «أحد». هذا هو الله أحد[1] «قل هو الله أحد» قل يا محمد هو الله أحد لا شريك له. أحد في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله. قال له يهودي هو أحد وأنت أحد وأنا أحد. قيل له: لا، أنت لست أحدا، إنما أنت مخلوق بين نطفتين ماء المرأة وماء الرجل وأخرجك الله إلى الدنيا وأنت بين الليل والنهار والأكل والشرب واليقظة والنوم، والحياة والممات، مع أنك مركب من أجزاء عديدة، لست أحدا، فالله تبارك وتعالى هو المنفرد بالأحدية، الأحدية لا توصف بها إلا حضرة الله تبارك وتعالى «قل هو الله أحد» ﴿اللَّهُ﴾ كرر الجلالة ﴿الصَّمَدُ﴾ هو المقصود في جميع الحوائج، عرّف «الصمد» ونكّر "أحد" لأن الصمد معروف عند الجميع وأحد ما يعرفه إلا القليل "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" المشركون والكفار كلهم اتفقوا على وجود الله تبارك وتعالى وأنه المقصود في جميع الحوائج فصار معروفا عند الجميع فلهذا جاء الصمد بالتعريف، وأما كونه أحدا فذلك هو محل الكفر، فلهذا نكر أحد. وهذا بالذات هو سبب تكرار كلمة الله، لو لم يكرر الله لا يمكن أن يأتي أحد نكرة ويأتي الصمد معرفة "قل هو الله أحد الله الصمد" هذا يجوز ولكن أحد الصمد هذا في اللغة العربية لا يجوز، فجاء أحد منكرا والصمد معرفا، لأن بينهما لفظ الجلالة "الله أحد الله الصمد" والله تبارك وتعالى حيث أنه أحد وهو الصمد، وأحد لا يعرفه إلا أولو الألباب، والصمد معروف عند الجميع فلهذا قال «هو الله أحد الله الصمد» ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ الله تبارك وتعالى ليس له ولد، ولم يولد ليس له والد، حذر من مريم التي قيل إنها إله وهي ولدت

---

1 – ورد ذكر هذه المقامات الثلاثة في تفسير روح المعاني ج278/30.

عيسى، من يصح أن يخرج منه ولد لا يصح أن يكون إلها. ومريم ولدت عيسى ليست بإله «ولم يولد» حذر من عيسى، عيسى قالوا إنه إله وهو مولود ولدته مريم، من كان له والد فلا يمكن أن يكون إلها، فعيسى ليس بإله، «لم يلد ولم يولد» لِم لم يقل لم يولد ولم يلد والإنسان قبل أن يكون والدا يكون مولودا؟ إذاً كونه مولودا سبق كونه والدا والقرآن قدّم «لم يلد» على «لم يولد». الجواب أنهم ادعوا لله ولدا وما ادعوا قط له والدا فردِ على دعواهم قبل أن يذكر أن لا والد له. ادعوا أن لله ولدا وهم المدعون قسمان: منهم من يقول إن لله ولدا. ومنهم من يعتقد أن الله ليس له ولد ولكن اتخذ عيسى ولدا له "ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله" ادعوا أنه وَلَد بالماضي "وقالوا اتخذ الله ولدا" فرد على قولهم "ولَدَ الله" بقوله "لم يلدْ" ورد على قولهم "اتخذ الله ولدا" بقوله "لم يتخذ ولدا" فالله ليس له ولد حقيقي ولم يتبن أحدا، إنما الكل عبيده تبارك وتعالى «لم يلد ولم يولد» الله تبارك وتعالى ليس له ولد وليس له والد. ادعوا في الماضي له ولدا فنفى الولد في الماضي ولم يدعوا عليه ولدا في المستقبل فلم يحتج لأن ينفي ولدا مستقبلا أي لن يلد الله لم نحتج لأن نقول هذا، لم يقل أحد إن الله سيلد، "هو الله أحد" «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الله الذي هذه صفاته لا يوجد إله ثان يتصف بهذه الصفات فيكون مماثلا له. ورد أن معرفة هذه السورة جنة حاضرة. الإنسان إذا عرف معنى "قل هو الله أحد" فقد دخل الجنة في الحال لأن الجنة أن يجد الإنسان ما يوافق شهوته وعقله، إذا وجدت ما يوافق شهوتك ولم يوافق عقلك فليس هذا بجنة، وإن وافق العقل ولم يوافق الشهوة فليس بجنة، أما إذا وجدت ما يوافق العقل والشهوة فقد دخلت الجنة، والإنسان فيه شيئان: فيه عقل وفيه نفس، عقله له مطلب ونفسه لها مطلب، العقل مطلبه أن يجد أمينا يستودع

عنده جميع ما يملك من الحسنات، والنفس تحتاج لغني جواد تعلق عليه أطماعها كلا فتطلب منه جميع رغباتها، ومعرفة الله إذا عرفت الله تجده أمينا كلما أودعت عنده تجده محفوظا إلى الأبد وتجده غنيا كل ما تحتاج إليه تسأله ويعطيك، إذاً من عرف الله وجد مراده. وهنالك شك أو تردد في النفس هل هنالك إله آخر يتصف بهذه الصفات فنفى وجود إله يتصف بهذه الصفات فعلمت أن هذا الواحد الذي هو الأمين الذي تودع عنده الحسنات وهو الغني الذي تعلق عليه الأطماع هو هذا الواحد فقط لا يوجد له ثان، فاسترحت عن تطلب أي شيء فهذا دخول للجنة، من عرف الله دخل جنة حاضرة لا يحن ما دام فيها إلى الجنة المستقبلة.

سورة الفلق

مكية خمس آيات

الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ سبب نزولهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِر سحره لبيد بن الأعصم يهودي كان في المدينة، أخذ شيئا من شعرات الرسول صلى الله عليه وسلم وصور صورة الرسول كاملة فعقد عقدا إحدى عشرة عقدة فجعل في كل عقدة إبرة، نصب إبرة على صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفعل شيئا من السحر ينفث فيها حتى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم مرضا شديدا فدخل عليه جبريل ومعه ملك آخر فقال المَلَك: ما بال الرجل؟ قال الآخر: هو مطبوب أي مسحور. قال: من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال:

وأين السحر؟ قال: في بئر ذي أروان. والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع فأرسل عليا إلى البئر فدخل البئر فوجد السحر أثر في ماء البئر حتى أن ماء البئر صار كالدم، فاستخرج صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم وإحدى عشرة عقدة وإحدى عشرة إبرة فأتى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل بهتين السورتين: سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، عدد هذا إحدى عشرة عدد العقد والإبر التي في السحر فقرأ المصطفى صلى الله عليه وسلم وكلما قرأ آية انحلت عقدة وخرجت إبرة فأحس المصطفى صلى الله عليه وسلم بالعافية في محل من جسده، حتى قرأ إحدى عشرة آية فكأنما نشط من عقال فبرئ من ذلك المرض وعفا عن الساحر لم يتعرض له قائلا: إن الله تبارك وتعالى كفاني شره فلا أحتاج لأن أثير فتنة[1]. والمصطفى صلى الله عليه وسلم صار كلما أراد أن ينام قرأ

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة قالت سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان، قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: لا أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شرا وأمر بها فدفنت. صحيح البخاري كتاب الطب/ باب السحر (5766) وللسيوطي في الدر نقلا عن البيهقي في الدلائل عن عائشة قالت: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يهودي يخدمه يقال له لبيد بن أعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذوب ولا يدري ما وجعه فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نائم إذا أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه: ما وجعه؟ قال: مطبوب قال: من طبه؟ قال:

بالإخلاص والمعوذتين وينفث على سائر جسده[1]. من دام على هذا لا يضره سحر ولا أي عمل شر قصد به. «قل أعوذ برب الفلق» ولما كانت هذه الموجودات جميعا في طي العدم فالحق أخرجها من العدم إلى الوجود، والمخلوقات كثيرة عالم الخلق وعالم الأمر أي الملك والملكوت، أو الغيب والشهادة، أو الدنيا والآخرة، أو الحس والمعنى، وإن شئت قلت الروح والجسد، فلما أخرج الله هذه الموجودات من ليل العدم ناسب أن يشبّه بليل خرج صبحه فقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ رب الصبح فلق الصبح، لما انشق الفجر وانتشر الضوء انتشارا لا يرجع إلى ظلام هذا هو الصبح، الله هو الذي خلق هذا «برب الفلق» ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر كل ما خلق الله تبارك وتعالى. الموجودات قسمان: قسم عار من الشر كعالم الأمر، لا شر فيه وقسم فيه شر وهو عالم الخلق، فلهذا استعاذ بالله من شر ما خلق ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ كل ما يجري من الشر في هذا العالم غالبا يدبر في ظلام الليل، فلهذا خص ذلك الوقت بالذكر «غاسق إذا وقب» أي من شر الليل إذا

لبيد بن أعصم قال: بم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة وجف طلعة ذكر بذي أروان وهي تحت راعوفة البئر. فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فإذا فيها مشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مشاطة رأسه وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا فيها إبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأتاه جبريل بالمعوذتين فقال: يا محمد "قل أعوذ برب الفلق" وحل عقدة "من شر ما خلق" وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها وجعل لا ينزع إبرة إلا يجد لها ألما ثم يجد بعد ذلك راحة فقيل: يا رسول الله لو قتلت اليهودي فقال: (قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد) فأخرجه. الدر المنثور ج8/687.

1 – أخرج البخاري في الصحيح عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات. صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن/ باب في فضل المعوذات (5018).

أظلم ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ السحرة كبنات لبيد اللاتي ينفثن بالسحر في العقد ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ومن شر كل حاسد إذا ظهر حسده. إذا ذكر الحسد لا يذكر شيئا بعده، فهو أكبر الكبائر وفوق جميع الشرور، لا شر مثل الحسد[1]. قال المصطفى صلى الله عليه وسلم إن الحسد كاد أن يكون كفرا، استعاذ المستعيذ باسم الله تبارك وتعالى من شر جميع خلقه. هذا كان يدخل فيه الليل وما جمع الليل، وكان يدخل فيه النفاثات في العقد، وكان يدخل فيه الحاسد إذا حسد، ولكن خصهم بالذكر اهتماما بشأنهم. والحسد من الكبائر الموبقات وكاد أن يكون كفرا، والحاسد لا يسود، يقول العرب: الحسود لا يسود لأن الحاسد أراد عزل الحق تبارك وتعالى[2]. فالإنسان جُبِل على كره الطواعية لغيره ولا تجده يطيع غيره إلا لسبب، فإذا زال السبب زالت الطاعة، والله تبارك وتعالى مع أنه هو الذي أوجدنا من العدم وأرواحنا بيده، وأرزاقنا منه تبارك وتعالى، يعطينا هذا من الفضائل ويستحق العبادة منا فإذا لم يكن يجري إلينا أي نفع لا نطيعه، إذاً الحسود لا يسود، الإنسان لا يطيع إنسانا أو شيئا ما إلا لسبب، فمن أراد إزالة ذلك السبب فقد أراد عزل ذلك المطاع. إن كان الإنسان يبخل بنفسه ويحسد فضل غيره فلا يكون سيدا متبوعا أبدا، والحسد لا يضر إلا الحاسد كل ما فعل الحاسد

---

1 - نقل الثعالبي عن الحسين بن الفضل قال: ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم أنه أخس الطبائع. تفسير الثعالبي ج453/4. وقال النسفي: الاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها. تفسير النسفي ج365/4.

2 - نقل السيوطي في الدر عن البيهقي في شعب الإيمان عن الأصمعي رضي الله عنه قال: بلغني أن الله عز وجل يقول: الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. الدر المنثور ج692/8.

في حق المحسود يقصد ضره، يرجع الضر على الحاسد غالبا، فلهذا تجد العرب يقولون: ما رأينا ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد، يتصرف وتصرفاته تضره دائما فيزداد غضبا وحسدا وإلى الأبد.

سورة الناس

مكية ست آيات

الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَعُوذُ﴾ أستعيذ بالله ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ استعاذ المستعيذ باسم الله تبارك وتعالى الرب، وباسمه الملك، وباسمه الله إله الناس ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ استعاذ بالله من شر الشيطان هو الذي يوسوس في قلب الإنسان يأمره بالفحشاء والمنكر. «الْخَنَّاسِ» الذي يخنس إذا ذكر العبد ربه تبارك وتعالى ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ سواء كان ذلك الشيطان من الجن أم من الإنس، الشيطان قسمان شيطان الإنس وشيطان الجن، شيطان الجن مستتر يوسوس في قلب الإنسان، وشيطان الإنس يأتي الشيطان على صورة صديق لك يحسن لك القبيح حتى يجرك إليه.

سورتان السورة الأولى ما ذكر فيها إلا اسم واحد من أسماء الله، واستعيذ بذلك الاسم من شرور كثيرة: "برب الفلق" الرب فقط "من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد". وهذه السورة ذكر فيها ثلاثة أسماء من أسماء الله تبارك وتعالى «برب الناس ملك الناس إله الناس»

واستعاذ من شر واحد هو شر الشيطان. أربعة شرور استعاذ منها باسم واحد. وشر واحد استعاذ منه بثلاثة أسماء لأن الشرور التي في السورة المتقدمة شرور دنيوية، مضرتها في الدنيا فقط، والشر في هذه السورة شر ديني، فلهذا صار الاهتمام به أولى من غيره فاستجرْتَ باسم الرب باسم الملك باسم الله تطلب السلامة من شر الشيطان فقط. وأيضا ذكر في هذه السورة رب الناس، ذكر الناس ثلاث مرات "رب الناس ملك الناس إله الناس" لأن الإنسان له أطوار؛ بنو آدم ثلاثة أقسام: صغار يحتاجون للتربية وشبان أقوياء يحتاجون لملك يَسُوسهم، وكبراء عباد رجعوا إلى الله يفتقرون إلى إله يعبدونه، فذكر في السورة أنه رب الناس، الصبي الصغير لا تخف عليه فإن له ربا يربيه، "ملك الناس" الشاب القوي الطاغي لا يتجبر فإن له ملكا جبارا يسوسه وهو الله تبارك وتعالى، والإله "إله الناس" الشيخ الكبير الذي رجع إلى الله يعبده يعلم أن له إلها يستحق العبادة. قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأهما مع سورة الإخلاص.

الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد سورة الفاتحة فسرناها ولكن هي من تفسير المفسر[1] الذي فسر الجزء الأخير، فلهذا تجد الجلال يجعل الفاتحة في أسفل المصحف.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قولوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي ملكهم ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المنعم، رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو الملك يوم الحساب قولوا ﴿إِيَّاكَ﴾ وحدك ﴿نَعْبُدُ﴾ لا نعبد غيرك، تقديم المفعول يقتضي الحصر ﴿وَإِيَّاكَ﴾ وحدك ﴿نَسْتَعِينُ﴾ قولوا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اطلبوا من الله تبارك وتعالى الهداية على الصراط المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي صراط الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، كما ذكر في سورة النساء. ذكر الإنعام تأنيسا للنفس لأنه لو ذكر غير الإنعام لخاف الإنسان، ولكن صراط المستقيمين فيهم من قتلوا، وفيهم من ذبحوا، وفيهم من حبسوا، لو قال: صراط الذين قُتلوا أو صراط الذين ضُربوا أو ذُبحوا أو حبسوا لخافت النفس من هذا فقال «صراط الذين أنعمت عليهم» "أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله" ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لا صراط المغضوب عليهم وهم اليهود، غضب الله عليهم ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ النصارى ضلوا حتى اتخذوا عيسى إلها أو ثالث إله أو ابنا لله، وكل هذا ضلال، فالضلال يطلق على النصارى كما أن الغضب غضب الله يطلق على اليهود.

1 – وهو جلال الدين المحلي

سورة البقرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قولوا بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك، الحروف المقطعة في أوائل السور أسرار ألقاها الله تبارك وتعالى في كتابه لا يعلم تأويلها إلا الله والمقصود إعجاز العرب. القرآن معجز قال "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" تحدى بالقرآن كله أن يأتوا بقرآن كمثل هذا القرآن فعجزوا فتحدى بعشر سور "قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات" فعجزوا، فتحدى بسورة واحدة قدر "إنا أعطيناك الكوثر"، "فأْتوا بسورة من مثله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا" فعجزوا لم يفعلوا إلى الآن. بيد أن القرآن مع إعجازه إذا نزلت آية فهموها وعرفوا ما فيها من العربية لأنهم عرب فصحاء، وهذه الحروف جاءت لا يشمون لها رائحة أصلا، أشد عليهم من بقية القرآن "الم" ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ هذا الكتاب ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ أنه من عند الله تبارك وتعالى. ذكر أنه لا ريب في أن القرآن منزل من عند الله تبارك وتعالى مع أنه يوجد من ارتاب في ذلك. أبو جهل وأشباهه لهم ريبة، ولِم قال لا ريب في ذلك؟ بعض المفسرين يقولون لا ريب لا بمعنى النهي، أي لا تشكوا في ذلك، ولكن لا ريب فيه، الشمس شمس وإن لم ترها العميان، القرآن لا شك فيه أنه من عند الله فمن شك فيه فلحماقته وسفهه فقط، وإلا فهو جاء بصورة لا تقبل الشك أنه من عند الله تبارك وتعالى فلهذا قال «لا ريب فيه» لا عبرة بمن يرتاب فيه لجنونه وحماقته فقط ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هاد للذين يصيرون إلى التقوى «هدى للمتقين» ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الذين آمنوا بالغيب، آمنوا بالجنة والنار والصراط والحساب والجزاء ولم يروها ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ ويؤدون الصلاة بكيفيتها، الله أمرنا بالصلاة، ولم يأمر بمجرد الصلاة، بل بإقامتها، وهذا يقتضي منا

إتمام الأركان والشرائط وأمرنا أن نؤديها في الوقت "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" وفي الجماعة "اركعوا مع الراكعين" وبخشوع "الذين هم في صلاتهم خاشعون" من جمع هذه الصفات فقد صلى، ومن صلى وأخل بشيء منها فكأنه لم يصل، صلى رجل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلما سلم جلس حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (ارجع فصل فإنك لم تصل) فقام فصلى كما صلى فقال له: (ارجع فصل فإنك لم تصل) مرارا فقال له: والله يا رسول الله ما أحسن غير هذه الكيفية التي صنعت، فعلمه كيفية الصلاة إذا أحرمت فتقف حتى تقرأ وتركع حتى تعدل وترفع رأسك حتى يكون صلبك مستقيما ثم تهوي ساجدا وتسكن، علمه كيفية الصلاة[1] وقال له لو دمت تصلي بهذه الكيفية مدة حياتك إذا مت تموت، ميتة جاهلية «الذين يقيمون الصلاة» ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وينفقون من بعض أموالهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الذين آمنوا بالقرآن وآمنوا بما قبله من الكتب. الإيمان بالأنبياء قبل محمد لا ينفع إلا بعد الإيمان بمحمد والإيمان بالكتب القديمة لا ينفع إلا بعد الإيمان بهذا القرآن. من أعرض عن كامل عصره فلا ينتفع ولو آمن بمن قبله جميعا وعبد عبادة الثقلين.

---

1 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد وقال: (ارجع فصل فإنك لم تصل) فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم: (فقال ارجع فصل فإنك لم تصل) ثلاثا فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: (إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها). صحيح البخاري: كتاب الأذان/ باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات (757)، وفي صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (602).

«يؤمنون بما أنزل إليك» شرط في الانتفاع بالإيمان بما أنزل من قبلك ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ صدق الله العظيم. في هذه السورة من القرآن ذكر صفات أربعة من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. أول ما ذكر "هدى للمتقين" والتقوى صفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال الله في حقه "وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى" هذا أبو بكر[1]. "يؤمنون بالغيب" صفة عمر بن الخطاب لما آمن نزل قوله تبارك وتعالى "يا أيها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" هذه صفة عمر[2]. وإقامة الصلاة صفة عثمان رضي الله عنه "أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة" هذا عثمان[3]. والإنفاق صفة علي كرم الله وجهه، نزل فيه "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية" هذه نزلت في علي[4]. فكل من اتصف بهذه الصفات إنما اتبع أحدا من أولئك الخلفاء.

---

1 - القرطبي عن ابن عباس. تفسير القرطبي ج88/20.

2 - قال ابن عباس نزلت في إسلام عمر. تفسير القرطبي ج42/8.

3 - أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية: "أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه" قال: ذاك عثمان بن عفان، وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان. الدر المنثور ج214/7.

4 - قال السيوطي في الدر: أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية" قال نزلت في علي بن أبي طالب كانت له أربعة دراهم فأنفق بالليل درهما وبالنهار درهما وسرا درهما وعلانية درهما. الدر المنثور ج2/100-101.

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم. اللهم صل على محمد سيد الأولين والآخرين.
اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما اللهم اغفر لحينا وميتنا وكبيرنا وصغيرنا وذكرنا وأنثانا وحاضرنا وغائبنا وحرنا وعبدنا وطائعنا وعاصينا. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حسنة وقنا عذاب النار سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

تقريظ للسيد محمد عبد الله بن السيد للتفسير

أقرائح النجبـــاء حرن فقد دعـــا سعد السماع لنا العجائب أجمعا

قذف المحيـــط جواهرا من غبـــه ملئت بها السعـــدا هدى وتريعا

أبدى أبو إسحـــاق من وقتيِّـــه علما أحار به العقـــول ووسعا

فابقين في صافي الشهود وجلن في صافي العلوم مؤصلا ومفرعـــا

واسمعن علم الأولين والآخريـــــ ــــن فهاهما جمعا وتفصيـــلا معـــا

وارتعن في روض المعاني واعتبِرْ نَ تَرَيْن معتبرا أجـــلَّ ومرتعـــا

واعجبن من بحر محيط فوق كـــر سيٍّ نراه أمـــامنـــا متربعـــا

يملي من أنبـــاء السمـــاء أصحها ويري من العلم الأدق والانفعـــا

هذا الكتاب وترجمـــان كنـــوزه يملي ويفتح كي نذوق ونسمعا

حشر المعـــاني جملـــة في نطقـــه والعلم نافعـــه لديـــه قد أودعـــا

فغدا يترجم كيف شاء وكل نص شـــا أعد لما سيذكر موضعـــا

تحجوه في أم الكتـــاب مدرسا وتراه أنشئ في الكتاب وأرضعا

وتخـــال جبريـــل المبلغ فكـــره ولسانه الهادي الأميـــن مسمعا

الله أكبـــر قد تلقـــف نـــوره إفك الشكوك فما أجل وأبدعا

بهـــر العقـــول مدرســـا ومربيـــا ومنـــوِّلا ومحـــذِّرا ومشجِّعا

فُكَّا خليليَّ القيـــود لوصله وتعلقـــا بوصالـــه وتولعا

واستنجداه فإنه البحر الذي عظمت مثاعب جوده أن تدفعا

وتوخياه ووالياه فقد دحى أرض الرقي وسقفه قد رفعا
جئناه منتجعين فائض سره متعلقين به رجا وتولعا
جئنا الوحيد الوارث الحق الذي جمع الهدى ودعا إليه واندعى
الجامع البحر المحيط الفائض الـ أهدى البرى النبه السخي اللوذعا
الطاهر العذب الحليم الشمري العالم النقح الأجل الأورعا
المرشد الأتقى النصوح الجابر الـ أذكى اللبيب المستقيم الموسعا
الأطيب الأصفى الأعف الأفصح الْ أهدى طريقة الأعز الأخشعا
ملأ العفاة مواهبا والصادقيـ ـن معارفا والمقتفين تخشعا
والمخلصين هداية ومحبة والحاسدين تحسرا وتوجعا
خلق المكارم كلها طبعا له فاستاقها طوع الإشارة خضعا
وتراه مدرسة الحنيفة دائما ونرى مجالسه لأحمد مجمعا
أملي أبا إسحاق مدحك معجزي جهرا ولو كنت البليغ المصقعا
إذ كل مكرمة تساق لمدحة أنت اللباب للبها وهي الوعا
ولأنت معجزة النهى فهما إذاً فلينصفني من تعقل أو وعى
عطفا لرهن للهوى متقاعس أسنى وأشهر في الكبول وأسوعا
مهما تشبه بالكرام تفاؤلا رجعت به الأهوا فكع وأقمعا
أيدوم ذا مني وأنت مؤملي حاشاك أن أنأى أو أن أتبدعا
من ذا يكون لكربتي إن لم تكن أرد السراب أم أستضيف البلقعا
نقيت حبالك أن يدنسني هوى أو أن أذل لمن سواك أو أخضعا
لازال حبك للسعادة مدركا أبدا وقصدك للنوائب مصرعا
ورضاك مكتنفي وحبك مسرحي وجميع سعيي تحت أمرك مهطعا

تم الكتـــاب وعم بـــاهر حسنـــه	وبدا الصواب به وعم وأنصعا
تاريخ (هطف الخير أسبل نحونا)*	في منتهـــى رمضان مأدبة الدعا
وعلى الحبيب محمـــد نفس الهـــدى	صلـــى وسلـــم من براه مشرعا

* تاريخ هطف الخير أسبل نحونا = 1383هـ.

فهرست الجزء السادس